المركز القومى للترجمة

تريفور كلارك

رجل شريف ماجد

سيرة وأزمان
الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا



ترجمة وتقديم
صبرى محمد حسن

1533

المشروع القومى للترجمة

الجزء الرابع



هذه هى السيرة الذاتية الأولى للحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا، رئيس وزراء نيجيريا المستقلة. والكتاب يعد دراسة وافية لحياة الرجل وأزمانه، فضلا عن كونه أيضا تبصرا جديدا فى تاريخ أكثر الدول الإفريقية سكانا فى القرن العشرين، وربما تكون أهم الدول الإفريقية، على حد قول البعض. الكتاب قصة فريدة لرجل فريد يرويها واحد من أولئك الذين يعرفون أبا بكر حق المعرفة.

تصميم الغلاف: عبد الحكيم صالح

رجل شريف ماجد

سيرة وأزمان الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا

(الجزء الرابع)

المركز القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : 1533
- رجل شريف ماجد: سيرة وأزمان الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا (الجزء الرابع)
- تريفور كلارك
- صبري محمد حسن
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

A Right Honourable Gentleman:

The Life and times of Alhaji Sir

Abu bakar Tafawa Balewa

By Trevor Clark

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

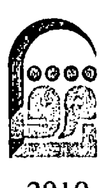
رجل شريف ماجد

سيرة وأزمان الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا

(الجزء الرابع)

تـألـيـــــف : تريفور كلارك

ترجمة وتقديم : صبرى محمد حسن



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

كلارك ، تريفور.
رجل شريف ماجد: سيرة وأزمان الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا
(ج٤) تأليف: تريفور كلارك، ترجمة وتقديم: صبرى محمد حسن.
ط١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٢٤٤ ص ، ٢٤ سم
١ - السياسيون النيجيريون .
٢ - باليوا ، أبو بكر تافاوا ١٩١٢-١٩٦٦
(أ) حسن ، صبرى محمد (مترجم)
(ب) العنوان ٩٢٣,٢٠٦٦

رقم الإيداع ٢٠٠٩/٢٢٣٤٩
الترقيم الدولى 978-977-479-715-5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

الفصل الرابع والأربعون

تعيينات عسكرية
ذات مغزى وتضخم الحكومة تضخمًا كبيرًا، ووفاة محزنة

قضاء يوم مع صديق أفضل من قضاء عام مع عدو(*)

جرى تكليف اللواء كروستوفر ولبى - إيفرارد بنجرنة سلاح الضباط فى الجيش النيجيرى على أن ينتهى ذلك فى العام ١٩٥٦، وأن خلفه لابد أن يكون نيجيريا. لقد تمتع إيفرارد بصفته قائداً عامًا للجيش بوقته عندما كان قائداً عامًا، وكان يتمنى تمديد عقده، لكنه لم يندهش عندما لم يتحقق ذلك. أمضى الرجل الأشهر القليلة المتبقية من عقده فى التفكير والجدل حول اختيار من سيخلفه. لم يكن القائد العام فى شك فيمن سيخلفه، لكن الرجل كان مصممًا على أن تكون تزكيته لواحد من أفضل ضباط الجيش، وأن تكون التزكية على أساس غير حزبى. كان أولئك الذين زكّاهم إيفرارد من أصحاب المعايير المختلفة.

وصى اللواء كلاً من وزير الدفاع ورئيس الوزراء بتعيين العميد بابا فيمى أولاتوند Olatunde أوجندايب Ogundipe البالغ من العمر اثنين وأربعين عامًا ولديه خبرة قوة

(*)ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى: A guid (good) frien is ne'er tint (lost), but an ill ane's at hand "الصديق الحق لا يضيع مطلقًا، لكن الصديق غير الحقيقى زائل".
(المترجم)

الحدود الملكية لغرب إفريقيا فى كل من الهند وبورما، وتخرج فى العام ١٩٥٣ وجرى إلحاقه بصورة مؤقتة على الجيش البريطانى لنهر الراين، والذى كان قائد كتيبة عظيم جداً، وقائد عظيم أيضًا للواء كاتانجا فى الكنغو، كما عمل أيضًا رئيسًا لأركان قوات الأمم المتحدة فى الكنغو لمدة سبعة أشهر. كان إيفرارد يرى أن بابا فيمى ليس سياسيًا بالمرة، وهو يحظى بشعبية وقبول فى سائر أنحاء الجيش. جاء ذلك الاختيار مفاجئًا للسياسيين كلهم، الذين لم يخبروا مطلقًا الحياة العسكرية من داخلها، ويسلمون بأن الجيش ليس سوى خدمة مدنية يرتدى من يؤدونها زيًا فاتنًا موحداً، لم يكن أوجندايب معروفًا فى كادونا. جاء صمويل Samuel آدسوجو Adesujo آدميوليجون Ademulegun، قائد لواء كادونا، فى الترتيب الثانى من حيث الأفضلية، وهو بالقطع ضابط كفء لكنه صاحب عقلية سياسية، ولا يتمتع باحترام الجميع ولا يحظى بالقبول فى سائر أنحاء الجيش، على الرغم من بروزه تمامًا أثناء العمليات التى جرت فى منطقة التيف. كان رأى اللواء كرستوفر ولبى - إيفرارد فى العميد زكارى ميمالارى أنه أحدث من الاثنين السابقين فى مدة الخدمة، على الرغم من ذكائه، وكفاءته وشعبيته، وقال إنه تخرج قبل أوجندايب بحوالى ستة أشهر، وأن أوجندايب صاحب تمرس أكبر على التقاليد البريطانية، كما أمضى نصف مدة خدمته بين الصف والجنود قبل الوصول إلى رتب الضباط. وأضاف اللواء كرستوفر أيضًا أن المقدم جوون Gowon هو والمقدم أوجوكو Ojukwu كانا أحدث كثيراً، من حيث الأقدمية، عن الضباط السابقين.

أسفر ذلك عن وضع العميد جونسون آجوى - إيرونسى فى المرتبة الثالثة بعد الاثنين السابقين. كان آجوى إيرونسى، وهو من عمر أوجندايب، قد أمضى فصلين دراسيين تلميذاً عامًا فى كلية إبسوم فى إنجلترا قبل أن تنضب موارد والده المالية. وجرى إلحاقه بسلم الترقى العسكرى لأنه كان خادم الملكة الخاص أثناء زيارتها لنيجيريا، وتولى أيضًا منصبًا قياديًا فى الكنغو، وكان هو أقدم العاملين هناك، لكنه

كان أضيق الناس أفقًا، وكان أقل العسكريين تأهيلاً عسكريًا، أو فكريًا وأنه (فى رأى ولبى - إيفرارد) لن يكون على ما يرام إذا ما تولى منصب القائد العام. ومع ذلك، كان اللواء كرستوفر يعرف أن آجوى - إيرونسى كان من المفضلين عند رئيس الدولة. كان معروفًا عن خطأ، بين الناس على أنه من الأجبو، بحكم أن أمه من يوميا هيا، على الرغم من أن والده من سيراليون، لكن السواد الأعظم من زملائه الضباط الشماليين لم يعرفوه على أنه من الأجبو. أما المرشحان الآخران فكانا من اليوروبا.

كانت أغلبية مجلس الوزراء الفيدرالى، وهى أصلاً من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تفضل آدميوليجون، من منطلق أنه ضابط كفء ويحظى أيضًا بحظوة المستشار السياسى الرئيسى ووزراء الإقليم الشمالى، الذين كانوا يعرفونه يوم أن كان فى كادونا (التى كان يتودد فيها إلى رئيس الوزراء، بارتداء زى الهوسا المُهدى إليه، وخَلع نعليه عندما يكون فى مجلس رئيس الوزراء)، كما كان اللواء كرستوفر ينظر إلى آدميو ليجون على أنه "ذكى" ومحل ثقة، كانت هناك أقلية معارضة تنظر إلى الرجل باعتباره قبليًا متكبرًا متآمرًا مع السياسيين، لا يعرف التسامح ومبالغ فى طموحه (كان الرجل قد حصل بالفعل على مجموعة من أنواط اللواءات، عندما كان يجرى استدعاؤه ليحل محل القائد العام أثناء غيابه)، لكن زواجه، الذى لا يعد أمرًا نادرًا فى بلاد اليوروبا، جعله يجمع بين زوجة تدين بالإسلام وأخرى تدين بالمسيحية، الأمر الذى أجداه نفعًا بشكل عام. لم يكن الحاج السير أبو بكر متأكدًا من احتمالات علاقات ذلك الرجل المستقبلية مع حكومة وطنية تضم حزب جماعة العمل، وفيها أولوو نائبًا لرئيس الوزراء. كان أبو بكر يتطلع أيضًا إلى المزيد من الإشارات التى يمكن أن يستعملها فى طمأنة حلفائه من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين غير الراضين عن ذلك الرجل، يزّاد على ذلك، أن أبا بكر بقى على ثقته بأن نظام الولاء بريطانى الطابع فى الجيش النيجيرى، وبغض النظر أيضًا عن أصول الضباط، وعن الأماكن التى تلقوا فيها تدريبهم، يعد نظامًا سليمًا ويمكن الاعتماد عليه. كان الدكتور آزكوى يسعى حثيثًا

إلى الحاج محمد رباط أملاً فى التأثير عليه، كان ذلك السعى يتم من خلال الوسيط الرئيس أوكوتاى – إيبوه، مع ضغط آخر عن طريق مبادوى، وعن طريق إمبو Mbu والأجانب المؤثرين أمثال بيوس Pius أوكجبو (السفير النيجيرى لدى الجماعة الأوربية)، وتوصل أبو بكر إلى استنتاج مفاده أن مساندة أجوى ـ إيرونسى يمكن الدفاع عنها بأسباب منطقية بحكم أقدميته (مسألة الترقية الاستثنائية تثير الشكوك فى المجتمعات التقليدية)، وأن محمد رباط بصفته وزيراً للدفاع يستطيع تصحيح الأخطاء إذا ما انحرفت عجلة القيادة. هذا يعنى أن سياسة الرجل غلبت حكمة الحصيف المعتاد على الشخصية، واستطاع إقناع أبى بكر المتردد، الذى كان يعتمد عليه اعتماداً كبيراً فى الرأى الثانى فى معظم الأمور.

كان من الصعب تماماً على رئيس الوزراء إقناع المستشار السياسى الرئيسى وجمهور أعضاء الحزب أن "إجباويا" سكيراً، بطىء الكلام، ومن أصل متواضع يمكن أن يكون رئيساً مسالماً لقيادة الجيش العامة، وجرت حول ذلك مناقشات حامية، أحضر أبو بكر ميتاما سول بالطائرة إلى كادونا لكى يقنع رئيس الوزراء بالموافقة على تعيين الرجل، وبعد نقاش أولى دام مدة ساعة مع عيسى كيتا، الذى ذكَّر رئيس الوزراء بملاحظة الدكتور آزكوى التى مفادها أن الأجبو بعد فشلهم فى الانتخابات يستطيعون الحصول على السلطة الآن عن طريق الرصاص فقط، وبعد ست ساعات من الشجار العنيف مع رئيس الوزراء، استطاع الحاج ميتاما سول كسب ذلك العراك فى نهاية المطاف، ومع ذلك أصر المستشار السياسى الرئيسى على أن "البلاد ستندم على هذه الفعلة". ومن سوء الطالع أنه على الرغم من الاستخبارات التى جرى وضعها أمام هرم الحكم فى كادونا، وعلى الرغم أيضاً من التشجيع السطحى للمجندين المحدثين الأفضل نوعية، فإن هرم الحكم لم يستطع تخليص نفسه من الصورة الكريكاتورية لكادر الضباط الشماليين الذين هم عبارة عن سكيرين مسلمين مارقين، أو أصحاب عقول أو أذهان من الدرجة الثالثة، أما فيما يتعلق بضباط الحزام الأوسط، فقد غلب

على هرم الحكم تجاهلهم. وكانت النتيجة أن الحكومة الإقليمية لم تنتبه إلى الجيش وتأخذه مأخذ الجد إلا بعد فوات الأوان.

لم يصدق مجلس الوزراء رسمياً على ذلك التعيين، وعندما رُقِّى "جونى إيرونسى" فى مطلع شهر مارس قال: "الجيش يؤيد الحكومة القائمة". وجرى توديع ولبى - إيفرارد وداعًا حارًا، وعزف له البروجى "نوبة الودا ع الهوساوية" المأخوذة عن تقاليد قوة الحدود الملكية لغرب إفريقيا. كانت الدوائر الدبلوماسية الأكثر تواكلاً لا تزال توافق على أنه بغض النظر عن التجارب والخبرات التى فى أماكن أخرى من القارة، وفى الجيوش الإفريقية الثلاثة فى غرب إفريقيا التى رحل عنها الآن آخر القادة المقيمين، فإن السياسة لم يكن لها وجود فى تلك الجيوش، فى حين كان السياسيون الأكثر تواكلاً يحسون أن هذه القوات الصغيرة المسلحة تسليحًا خفيفًا لا يمكن أن تكون لها طموحات خطيرة.

تواصل ظهور التوترات إلى العلن داخل منظمة الوحدة الإفريقية، وبخاصة داخل اتفاق ساحل العاج، داهومى، وفولتا العليا، والنيجر. وفى شهر مارس، طار الرؤساء هامانى ديورى، رئيس النيجر، وموريس ياميوجو، رئيس فولت العليا، إلى ليجو، ومعهم أيضًا نائب رئيس الجمعية الوطنية فى السنغال ومعه اثنان من وزراء داهومى، لكى يبلغوا رئيس الوزراء أن مجلس الدولة الفرانكفونى (الناطق بالفرنسية) سوف يرفض حضور اجتما ع منظمة الوحدة الإفريقية القادم فى أكرا فى شهر سبتمبر، إلا إذا توقف الدكتور نيكروما عن مساندة المؤامرات التى تحاك ضدهما ودعمها (كان التآمر على هامانى ديورى قد انتهى باغتيال الرجل فى اليوم الحادى والثلاثين من شهر أبريل، وادعى ياميوجو أن أوسا جيفو قد رشح بالفعل الذى سيخلفه بعد إزاحته بالقوة). أُصيبت غانا بالكدر اعتباراً من "العمل ٦٠٠ "Job 600 (الذى يعد آخر مظهر من مظاهر بذخ نيكروما وتبذيره، وإن شئت فقل مركز مؤتمرات أكرا الجديد) الذى يمكن أن يتحول إلى فيل أبيض، وجرى إيفاد كِيزون - ساكى Quaison - sackey لمقابلة

الحاج السير أبى بكر على أمل جعل المقاطعين يحيدون عن موقفهم. كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ميالاً إلى جانب المقاطعة فى ضوء فشل غانا فى تسليم كل من إيكوكو Ikoku وأدبانجو Adebanjo، وهما من حزب جماعة العمل، بناء على طلب حكومتهما، وبعد عودة المستشار السياسى الرئيسى من زيارته لإثيوبيا أعلن بطريقة غير حكيمة "لم تقرر حكومتى بعد الذهاب من عدمه". كان حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، الذى راح يتساءل عن بقاء مجلس الدولة على قيد الحياة، بعد وفاة كل من تكتل منروفيا وتكتل الدار البيضاء، يفضل حضور المؤتمر ويحبذه – ما دام أن نيكروما يجرى تحديه والهجوم عليه علنًا أو الترفع عنه وصدُّه تمامًا.

تلبَّد الموقف بمزيد من الغيوم، وعلى مستويين. أول هذين المستويين، هو اجتماع رؤساء الدول فى باماكو، وحضرته كل من غانا، وغينيا، والجزائر، ومالى وجاء شبيهًا بإحياء اجتماع الدار البيضاء. فى واحد من الأحاديث الإذاعية أشار أبو بكر قائلاً: **"الشىء عندما يموت يصبح فى عرف الأموات... وليس هناك من الأسباب ما يمنع رؤساء الدول الإفريقية من الاجتماع على شكل جماعات صغيرة لمناقشة أى موضوع يختارونه هم... أفضل ما يمكن عمله مع بلد يحاول فرض إيديولوجيته على أعضاء منظمة الوحدة الإفريقية الآخرين، هو تجاهل تلك الأيدولوجية وتجاهل الموضوع نفسه".** يزاد على ذلك حدوث مظاهرات نيجيرية معادية جرى تنظيمها ضد اللجنة العليا فى أكرا، احتجاجًا على إلقاء القبض على ستة من "المرتزقة" النيجيريين فى الكنغو، على الجانب التشومبى Tshombe، واتهمهم كل من الثوار الكنغوليين ووزير خارجية السودان، وجرى احتجازهم عمدًا فى تانزانيا فى ذلك الوقت. وهنا نجد أبا بكر وهو يتساءل، **"لماذا يجرى الزج بنيجيريا فى هذا الأمر؟"** يوضح وجهه نظره فى العلاقات النيجيرية – الغانية، وكيف أنها تشبه العلاقة التى بين فيل ينمو ويكبر فى هدوء ونملة غاضبة متعجِّة، وأشار أيضًا إلى "جنون غانا – كالعادة"، وتفنيد نوح باماكى لهذه القصة تفنيدًا قاطعًا، ورفض أبو بكر قطع العلاقات الدبلوماسية مع غانا بسبب **"هذا**

الموضوع الصغير... لابد أن خطأ ما جرى فى غانا. إذا ما كان فى هذا البلد مطلوب للعدالة نتيجة ارتكابه جريمة أو شيئًا من هذا القبيل، فإن كل ما يجب عمله هو السفر إلى غانا، وسنجد هذا الشخص هناك، وسبب ذلك أن غانا تعطى حق اللجوء السياسى لكل الأشخاص غير المرغوب فيهم". قامت نقابات العمال النيجيرية بالتظاهر المضاد على سفارة نيكروما فى ليوبولد فيل Leopoldville.

على كل حال، راح أبو بكر يتحرك بطريقته التوسطية المعتادة لإنقاذ ماء وجه نيكروما، والأهم من ذلك، مؤازرة منظمة الوحدة الإفريقية. أرسل أبو بكر برقية إلى أمين عام منظمة الوحدة الإفريقية ديالو تيللى Telli عن المحادثات التى دارت بين ياميوجو وهامانى ديورى، ونصحه بأنه ما دام أن بعض أعضاء المنظمة لا يزالون غير ميالين لحضور الاجتماع الذى تقرر انعقاده فى أكرا، بسبب موقف غانا الدولة المضيفة، والذى اعتبره الأعضاء مناقضًا لميثاق منظمة الوحدة الإفريقية، فإن تيللى يتعين عليه بأسرع وقت ممكن الدعوة إلى اجتماع طارئ لمجلس وزراء المنظمة، ويفضل أن يكون ذلك الاجتماع فى شهر مايو، وذلك من باب محاولة التغلب على هذه المعضلة. والذى لا شك فيه، أن كويزون - ساكى سوف تجرى محاكمته فى غانا من قبل متهميه وزراء خارجية كل من ساحل العاج، وفولتا العليا والنيجر، لكن ليس بواسطة رئيسه شخصيًا. فى تلك الأثناء سعى هامانى ديورى إلى المستشار السياسى الرئيسى طالبًا مساعيه من أجل إقامة ربط تليفونى مع سكتو Sokoto، لكن عندما انتوى الشيخ شاجارى تسهيل هذه المسألة، بحكم مسئوليته المؤقتة عن الاتصالات من ناحية، ولأنه هو الآخر من سُكُتو، تدخل الحاج السير أبو بكر مصرًا على أن الإقليم ليس من اختصاصه الاتصال مباشرة ببلد أجنبى. قام مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية أيضًا بتأجيل مناقشة مسألة جمهورية الكنغو الديموقراطية التى كان من المقرر مناقشتها فى اليوم التاسع من شهر مارس، باعتبار هذه المسألة مسألة فرعية من ناحية، وبعد أن بلغ المنظمة من ناحية أخرى أن تشومبى قطع وعدًا بإجراء انتخابات

عامة، تحت رقابة منظمة الوحدة الإفريقية، والسماح بحرية الحركة فى سائر أنحاء بلاده، وبشرط واحد فقط هو قيام البقية الباقية من المتمردين بإلقاء أسلحتهم. وأن الأمر متروك لاجتماع قمة رؤساء الدول فى أكرا.

ازداد وقع الأحداث الخارجية، التى تميزت بالعنف فى معظمها، وتكاثرت إلى نهاية شهر أبريل. جاءت تلك الأحداث حسب التسلسل التالى، اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية الفيتناميين ببدء العدوان، تبادل هارولد ولسون الرسائل مع إيان سميث وإيفاده لرئيس مجلس اللوردات هو وسكرتير الكمنولث لمواصلة النقاش حول الإصلاح فى روديسيا، أصبح سيرتس Seretse خاما Khama أول رئيس لوزراء بتشوانالند Be-chuanaland، كما أصبح جورج برايس أول رئيس لوزراء هندوراس البريطانية بعد حصولها على الحكم الذاتى، دخول مشاة الأسطول الأمريكيين فى أول اشتباك لهم مع عصابات الفيتكونج Vietcong وتحول ذلك الاشتباك إلى حرب، ألقى الرئيس جونسون خطاباً فى اجتماع مشترك ضم مجلس الشيوخ والكونجرس، وأيد فيه قانون الحقوق المدنية الذى يضمن للمواطنين الزنوج حقوقًا انتخابية كاملة، فى الوقت الذى فرضت فيه جمهورية جنوب إفريقيا قيوداً عنصرية صارمة على الرياضة بكل أشكالها وعلى المسارح أيضًا، جرى التمديد لقوات الأمم المتحدة فى قبرص ثلاثة أشهر أخرى مواصلة لعملها فى حفظ السلام، أسفرت المظاهرات فى المغرب عن وقوع بعض الوفيات، حل ديودلى Dudley سيناناياك Senanayake محل السيدة/ سيريمافو Siri-mavo باندرا نيكه، رئيسة وزراء سيلان، استيلاء القوات الكنغولية الجمهورية الديموقراطية هى والمتمردين على آخر معقل من معاقل التمرد فى الشمال - الشرقى، وسط وعود بانتخابات بدا فيها حزب تشومبى الجديد "كوناكو" CONACO (تحالف مكون من مائتى حزب من الأحزاب الصغيرة) واثقًا بنفسه فى بداية الأمر، على الرغم من "أخطائه" واسعة الانتشار، من تفوقه على أى تحالف معادٍ مكون من الحركات اللوممبية، التى ثبت عدم فاعلية جيشها من الناحية الإدارية ومن الناحية القتالية أيضاً،

رفض الفيتناميون الشماليون النداء الموجه لهم من سبعة عشر رئيسًا من رؤساء دول عدم الانحياز، بالتفاوض على السلام بلا شروط مسبقة، وعرضًا آخر من الرئيس جونسون (مدعومًا من هارولد ولسون رئيس وزراء بريطانيا)، هددت اشتباكات الحدود بين الهند وباكستان باندلاع حرب بين عضوين رئيسيين من أعضاء الكمنولث، هدد اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بإرسال قوات إلى فيتنام، وأصبحت أوغنده أول بلد غير شيوعى ينضم إلى روسيا فى استنكارها للوجود الأمريكى فى فيتنام، أسفر الانتخاب الذى أجرى فى السودان (باستثناء الجنوب، حيث العنف) عن عودة محجوب رئيس وزراء حزب الأمة إلى السلطة، قيام الولايات المتحدة الأمريكية بإنزال قوات فى جمهورية الدومينكان، لحماية مواطنيها وترحيلهم قبل صدور قرار من مجلس الأمن بوقف إطلاق النار بصفة دائمة.

جرى تعديل الدستور الغانى كيما يسمح بترشيح رئاسى واحد، الأمر الذى حتم موافقة سكرتير الحزب الشيوعى الشعبى، فشلت محاولة جعل المتمردين الكنغوليين يتشاورون فى القاهرة نظرًا لاستمرار الخلاف الداخلى بينهم وغياب الزعيم الاسمى جبنى Gbenye عن حكومة المنفى، قررت أستراليا إرسال كتيبة من جيشها لمساندة فيتنام الجنوبية، رفض جومو كينياتا عرضًا بتقديم الأسلحة من اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، كما حل جومو كينياتا أيضًا اتحادى النقابات العمالية نظرًا لأن "الاشتراكية الإفريقية" سوف تطال كل أشكال الملكية العامة للموارد، سحبت كل من ليبريا وأثيوبيا قضيتهما المرفوعتين على جنوب إفريقيا، بعد أن قالت محكمة العدل الدولية فى لاهاى إنهما (ليبيريا وأثيوبيا) ليست لهما مصلحة فى المنطقة، حضرت ٢٧ دولة آفرو آسيوية مؤتمر عدم الانحياز الذى عقد فى بادونج فى جاكارتا، بهدف الاحتفال وليس لإصدار إعلانات جديدة، تطورت الثورة على السلطة العسكرية فى جمهورية الدومينكان إلى حرب أهلية مفتوحة دفاعًا عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، حصلت باسوتولند على الحكم الذاتى الداخلى الكامل تحت رئاسة الرئيس

مشوشو الثاني بصفته ملكًا للبلاد وممثلاً للملكة إليزابث، بدء محادثات الجولة الثالثة من المفاوضات البريطانية والنيجيرية مع المجموعة الأوروبية، اتهام غانا رسميًا بإيواء قتلة رئيس النيجر، وإعراب الرئيس نيكروما عن صدمته وفزعه، صوت ٢٦ من أصل ٣٦ دولة فى منظمة الوحدة الإفريقية، أكثر من الثلثين، لصالح مطالبة أبى بكر تافاوا باليوا لديالو تيللى Telli بعقد اجتماع طارئ لمجلس وزراء المنظمة لتسوية المسألة المتعلقة بالذهاب إلى أكرا فى شهر سبتمبر، على الرغم من مخاوف سكرتير عام منظمة الوحدة من أن يؤدى ذلك إلى إثارة الاضطراب فى منظمتهم الوليدة. لم يلاحظ ذلك كله سوى قراء الصحف الأذكياء، وهذا يحتم على رؤساء الوزراء الأكفاء ووزراء الخارجية الأكفاء إعمال عقولهم فى مضامين هذه الأمور ومدى تأثيرها على بلدانهم.

كانت الأحداث الداخلية طوال هذين الشهرين متباينة أيضًا. فقد وجدت حكومة الإقليم الغربى نفسها مفلسة على النحو الذى يصيب الحكومات، نظرًا لمقاطعة منتجى الكاكا وتحديد الأسعار من ناحية والتغير الذى طرأ على الطلب العالمى من ناحية أخرى، وتحتم على حكومة الإقليم الغربى اللجوء إلى البنك المركزى وإلى وزارة المالية الفيدرالية طلبًا للمساعدة. وهذا هو المستشار السياسى الرئيسى، الذى أهدى زيك Zik الشرقى، حصانًا بدافع من الصداقة السياسية، يكشف عن تغيير اتجاه ثقته الجنوبية، وعلى الملأ عندما قام بإهداء سيف احتفائى لتابعه الرئيس Chief آكنتولا، رئيس وزراء الإقليم الغربى والمنتمى إلى الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى، بمناسبة الزيارة التى قام بها إلى ناتيجى أثناء سباق الزوارق فى نهر النيجر. كان حزب جماعة العمل لا يزال ضعيفًا بسبب التوتر الداخلى ونقص عوائده من استثماراته فى التحالف المتحد التقدمى العظيم. لم ينجح الدكتور ماجيكودونمى هو وتجمع الحلفاء الثقافى المدعو Egbe Omo Olofin فى إحداث مصالحة بين آولوو وآكنتولا، وجرى إسقاط زعيم حزب جماعة العمل فى إيبادان الحاج أويسيسان Obisesan، لقيامه بمساندة جهود ماجيكودونمى، على الرغم من إعادته إلى زعامة الحزب بعد اعترافه وإقراره بخطئه

الأيدولوجى. كان حال اقتصاد الاتحاد يمكنه من ضمان الإقليم الغربى، إذ كان يتلقى من البنك الدولى قرضاً بلا فوائد مقداره ٣٥ مليون دولار لمدة خمسين عامًا عن طريق وكالة التنمية الدولية التابعة للبنك، على أن يبدأ سداد القرض الأساسى بعد عشر سنوات بسعر فائدة سنوية ١٪ على أن يجرى توزيع الرصيد توزيعًا مريحًا على الثلاثين عامًا الأخيرة، وبتكلفة عمولة متواضعة ٣/٤٪. كان البنك ينوى إنفاق ٢٠ مليون دولار على التعليم و ١٥ مليون دولار على الطرق فى الشمال. ومع ذلك، فإن زيادة إنتاج البترول أكدت للسياسيين أن انسياب النقد الأجنبى سيجعل المخاوف الاقتصادية، والاهتمام بالكاكاو، أو أى منتج زراعى آخر مجرد تطلعات تاريخية.

كان رئيس الدولة قد بدأ فى تدوين أفكاره السياسية على الورق، ويروح يفعل ذلك بدون تشاور مع حكومته أو موافقة منها، وبدأت تلك الأفكار فى الظهور فى الجريدة الأمريكية "فورين أفيرز"Foreign Affairs"(*). بعد أن قام زيك بوصف عجز منظمى الانتخابات، والحملات الوحشية غير الديموقراطية، والموعد المحدد للمقاطعة والحديث عن الانفصال، بدأ يتساءل عن ممارسة السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية فى بلاده، كما تناول أيضًا مسألة حقوق الإنسان الأساسية، وإنشاء المزيد من الولايات، وبالتبعية رئيس الدولة. ويتجاهل الدكتور أزكوى تعليقات ملتون مارجاى السيراليونى، ويعرب عن موافقته على الصورة الشعبية للحاكم التنفيذى. لم تكن نيجيريا "مستعدة" لأن يكون لها رئيس دستورى ذو سلطات عملية جوفاء، يعمل متوازيًا مع رئيس حكومة له كل السلطات، وقال: إن الأغلبية الأمية تربك الشكل والحقيقة. ولما كان هو نفسه بلا مطامح شخصية، فقد كان على استعداد أن يكون "سجينًا فى قفص ذهبى"، لكن أقل من السلطات التى يتعين أن تكون مخولة للرئيس هى السيطرة على لجنة الخدمة العامة، والمراجعة، ولجنة الانتخابات، ومجلس التعداد. المجلس الخاص للرؤساء

(*) بمعنى "الشئون الخارجية". (المترجم)

والحكام، ورؤساء الوزراء، ورؤساء مجالس العموم هو الوحيد، سواء أكان ذلك فى الماضى أو الحاضر، الذى له سلطة استخدام القوات المسلحة فى الأمن الداخلى، وهو الوحيد المسئول عن مسألة الحرب والسلام. وما لم يتم تحديد نسبة التمثيل البرلمانى الشمالى طبقًا لعدد الناخبين المسجلين وليس طبقًا لعدد السكان، فإن النساء البالغات يتحتم حصولهن على حق التصويت، كما يتحتم أيضًا توحيد المنظومات القضائية كلها حتى "يتسنى للحكومة الفيدرالية الإشراف على المحاكم كلها". لابد من إنشاء المزيد من الأقاليم حتى لا يتمكن إقليم واحد من السيطرة على باقى الأقاليم. وأيًا كانت المزايا الأكاديمية للقضية التى يثيرها آزكوى، وبغض النظر عن طرح هذه القضية فى الصحافة منذ مدة طويلة، فإن الرجل لم يتغير منذ العام ١٩٦١ الميلادى، بل وربما قبل ذلك بكثير، ولم يتعلم شيئًا على المستوى الشخصى أو المستوى العملى من الانهيار الذى أصابه خلال أزمة العام الجديد.

اعترض فورًا إهمان باتيجى أمين عام حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، على الدكتور آزكوى من منطلق أن "الرجل كان ينشر فضائح نيجيريا على الملأ"، وطالبته صحافة الشمال بالاستقالة من منصبه، وأبرق المستشار السياسى الرئيسى لرئيس الوزراء، قبل سفره لأداء فريضة الحج، وطلب منه أن ينصح لرئيس الدولة بالابتعاد عن "الجدل" من أجل "مصلحة الوحدة واستقرار بلدنا الحبيب". جاء تعليق آخر غير منحاز من الرئيس روتيمى وليامز وزير العدل السابق وهو من حزب جماعة العمل، مفاد هذا التقرير، أن صاحبه أصر بحق على أن المنظومة الرئيسية جرى التفكير والتروى فيها من قبل النيجيريين أنفسهم، وأن الصيغة الجمهورية الحالية هى وحدها التى لم يجر التفكير أو التروى فيها، وقال أيضًا إن التغيير الدستورى الطفيف الذى يكون من هذا القبيل يجب أن يتم بعد مشاورات مطولة، واستعادة لجنة الخدمة القضائية، وتشريع استئنافى جديد على غرار اللجنة القضائية فى المجلس الخاص لصاحبة الجلالة، فضلاً عن إحداث بعض التعديلات القانونية فى موقف الرؤساء Chiefs. عملت الضوابط

القضائية والبرلمانية عملها عند رئيس الوزراء، لم تعد تلك الضوابط بحاجة إلى مساهمة رئيس الدولة فيها - من منطلق أن وجود قبطانين فى السفينة الواحدة يعرضها للخطر. تمثلت الضمانات الحقيقية فى المزيد من التعليم، سعيًا إلى تطوير رأى عام حقيقى مستنير. يزاد على ذلك أن إغفال روتيمى وليامز للتحدث عن إنشاء المزيد من الولايات كشف عن تقييم أكثر واقعية من تقييم الدكتور آزكوى لما تفكر فيه أغلبية الزعامة فى الأقاليم الأربعة فى تلك الظروف، وفى ظل الموقف البترولى، واحتمال عدم تكرار الظروف التى أدت إلى إنشاء إقليم الغرب الأوسط.

على كل حال، اقتنع المستشار السياسى الرئيسى بأن وحدة الإقليم الشمالى أصبحت فى مأمن بعد تحجيم حزب جماعة العمل، وبعد تآلف التيف Tiv مع مختلف المظاهر وانتظارهم للتقرير الذى سيصدر عن لجنة أحمد كوماسى. جرى استنكار الشائعات التى ترددت حول وقوف الذهب المصرى والأسلحة المصرية وراء حكومة الإقليم الشمالى، من منطلق أن تلك الشائعات نبعت من الحقد الشديد، وذلك على الرغم من انسياب العطايا الكبيرة من القاهرة لبناء المساجد وتقديم المنح الدراسية، بشكل علنى يعرفه الجميع، لكن تحذير الحاج السير أبا بكر لحزبه، بأن إقحام الدين فى السياسة سوف يقضى على سعادة هذا البلد، جرى تفسيره تفسيرًا جديدًا فى تلك الأثناء. اعتبارًا من الانتخابات الإقليمية الأخيرة، وبعد إنشاء الجمهورية فى واقع الأمر، راح رئيس وزراء الشمال، فى ظل عدم رفضه لمظاهر التبجيل والاحترام، ينظر إلى نفسه على أنه سياسى حزبى من ناحية ومحب للدين ومخلص له من الناحية الأخرى، الأمر الذى جعله يخطب ويعظ فى مساجد الجمعة، ويدعو الناس إلى حياة التقشف. كشف رئيس وزراء الشمال عن اهتمامه الشخصى الكبير بجامعة أحمد بللو فى زاريا، وذلك على العكس من اهتمام السياسيين الآخرين بالمؤسسات التى ارتبط تأسيسها فى أذهان الناس، باسماء هؤلاء المؤسسين. لكن حملات الدخول فى الإسلام الناجحة التى قادها رئيس وزراء الشمال والتى ذاع صيتها على المستوى المحلى تعد

عاملاً مهماً فى دراسة أواخر حياة السير أبى بكر وأزمانه، فى ضوء التفسير شديد الاختلاف لتلك الحملات من قبل أولئك الذين كانوا يحاولون عن قصد أو بغير قصد إنهاء الجمهورية الأولى ومعها زعامة أبى بكر. وقد يكون من المفيد هنا التذكير بأن النظرية الدستورية الأوروبية الجديدة للفصل بين السلطات يمكن قبولها من الساسة الشماليين أصحاب الخبرة والتجربة، لكن هذه النظرية كانت لا تزال بعيدة عن فهم الناس العاديين، يزاد على ذلك، أن هناك أمراً واضحًا تمامًا مفاده أن المتدينين بحق لا يعترفون بأن الحياة فيها أبعاد دنيوية يجب إبعادها عن طائلة الدين.

يقر السواد الأعظم من المعجبين المتعاطفين مع المستشار السياسى الرئيسى بوجود بعض المصاعب حول وضع الرجل بصفته رئيسًا لوزراء إقليم من الأقاليم ومصلحًا دينيًا. كان الرجل ممارسًا سياسيًا كاملاً، وكانت شخصيته العامرة بالحيوية والموروثة يعوضان الكثير من نقاط ضعفه، لكنه لم يدَّع مطلقًا أنه باحث دينى متعمق، وأن شأنه شأن الرؤساء التقليديين فى الجزيرة العربية كان ينشد الحكمة عند الوزراء[*] viziers والقضاة. كان المستشار السياسى فى أسفاره (فقد شوهد فى كثير من الأحيان، وبصورة أكبر من رئيس الوزراء، فى شمال إفريقيا، وفى الشرقين الأوسط والأدنى، وفى باكستان، إضافة إلى رحلات العمرة والحج) يستقبل ويُخَاطَبُ كما لو كان رئيسًا لبلد إسلامى وعلى قدم المساواة مع الرؤساء المتوجين مثل الملك سعود، والملك حسين، وشاه إيران، والرؤساء من أمثال الرئيس جمال عبد الناصر وأيوب خان، ورؤساء الوزراء فى كل من السودان ولبنان. تعارضت هذه المعاملة، والتقدير الواضح لشخصه مع تدقيقه المتشكك فى الملفات الإقليمية، التى احترم فيها العلاقات الخارجية باعتبارها أمراً لا يدخل ضمن نطاق اهتمامه. أحس النيجيريون الجنوبيون المسيحيون

(*) واحدة viz بمعنى "وزير". وهذه الكلمة لا علاقة لها بمنصب الوزير الحالى، وهى من كلمات التراث فى الجزيرة العربية ويقصد بها "الشخص الذى يقدم للرئيس النصح والمشورة طبقًا لما ورد فى الشرع والقرآن". (المترجم)

بالغضب عندما ورد عنه فى أحد التقارير يوم أن كان فى مطار كراتشى أنه يفكر فى "اتحاد أوكومنولث إسلامى". وجرت طمأنة هؤلاء الجنوبيين وهؤلاء المسيحيين النيجيريين، بواسطة أبى بكر، بأنه متأكد من عدم صحة هذا الكلام - لكن بفرض أن ذلك قيل فعلاً، فليس من سلطة رئيس وزراء إقليم من الأقاليم قوله. ومع ذلك، فإن قبول أحمد بللو أن يكون شخصية إسلامية كبيرة، حتم دعوته لحضور الاجتماعات الكبرى وترؤس المؤتمرات، وهو فى هذا الصدد كان واعياً شأنه شأن أهل الملايو ومواطنى غرب إفريقيا الآخرين، بأنه يتحدث باسم وحدة إسلامية غير عنصرية، وتختلف تماماً عن "الوحدة العربية" التى كان يخشاها نُقَّاده الجنوبيون. وقد تمثل الخطر المربك فى أن كثيراً من الجماهير غير المتعلمة، أو التى لا تدرك أو تعى المقامات الموجودة خارج الإقليم الشمالى، بدأت تنظر إلى المستشار السياسى الرئيسى باعتباره قائداً فاعلاً للمؤمنين، وبدأت تقترب منه من هذا المنطلق طبقًا للإرشاد أو الرضا والمعروف. ونظراً لأن الرجل كان يظن، من منطلق أسباب كثيرة، أن الأجل لن يمهله حتى يتولى الخلافة بنفسه، فإنه لم يمانع فى تولى منصب النائب، لكن أحمد بللو سارع إلى استنكار تجديف جريدة سيتزن Citizen عندما أشارت على صفحاتها إلى أحمد بللو باعتباره "رسول الله".

راحت إدارته الحكومية توجه وبحكمة المتوسلين بالدين إلى هيئة أو أخرى من الهيئتين الشماليتين الواقعتين خارج الحدود التنفيذية والبيروقراطية. كانت جمعية نصر الإسلام قد أنشئت تحت رئاسة السلطان، ورعاية المستشار السياسى الرئيسى، لتقوم بذلك الذى قامت به البعثات التبشيرية المسيحية منذ وقت طويل بين الناس الذين ليسو من أهل الكتاب، والذى لم يفعله المسلمون النيجيريون، فى أضعف الأحوال - وبناء المساجد، وإدخال الناس فى الإسلام، وتعليمهم، لكن على أن يتم ذلك (بدون إدخال المدارس القرآنية القديمة أو إشراكها بالشكل الذى وعد به السياسيون) من خلال مدارس إسلامية فيها من المعدات وهيئة التدريس المؤهلين ما يسمح بجذب

الإعانات التى يمكن الحصول عليها من وزارة التربية والتعليم لسلطات الحكم المحلى ومن الوكالات المسيحية التطوعية. أما الهيئة الثانية فهى اللجنة الاستشارية للشئون الإسلامية، التى تعرف على المستوى الشعبى باسم "مجلس العلماء"، كانت تلك الهيئة تضم بصفة أساسية ستة وأربعين حكيمًا يدعون إلى الاجتماع بواسطة المستشار السياسى الرئيسى، من سائر أنحاء الشمال، وتتمثل مهمتها فى التفسير المعاصر المفصل للممارسات الإسلامية التى من قبيل الحج، وإخراج الصدقات، والمهور واستطلاع هلال شهر رمضان. تمثلت مشكلة شهود العيان متبلِّدى الشعور، الكارهين فى تلك الرحلة، لارتداء الجيش قبعات مختلفة للقيام بأدوار متناقضة، فى أن عدداً كبيراً من أعضاء جمعية نصر الإسلام كانوا موظفين حكوميين، كما كان عدد كبير من مجلس العلماء من بين أتباع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الشهيرين.

لم يجد الحاج السير أبو بكر بداً من الموافقة على دوافع تأسيس هاتين الهيئتين، التى لم يخطر بباله قط تأسيسهما بنفسه. يزاد على ذلك أن صدق إسلام أبى بكر على المستوى الشخصى كان قويًا مثل أى إنسان مسلم ورد ذكره فى هذا الكتاب. لكن هكذا كان حال رغبة أبى بكر المتقدة، فى إدخال "المجتمعات الوثنية / الملحدة" فى الدين الإسلامى. يزاد على ذلك أن قدراً كبيراً من الذعر الذى انتاب الجنوب كان بلا مبرر، على الصعيد الشخصى كان المستشار السياسى الرئيسى يركز على الجيوب الروحانية(*) المتبقية فى معظم المناطق التى يحكمها المسلمون خارج منطقة برنو، وترك الرجل المناطق المسيحية أو المتأثرة بالمسيحية فى الحزام الأوسط وحده، التى احترمها دون أن يقر نقاده بذلك إقراراً كاملاً (كان المتزلفون هم ومؤيدوا حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الطموحون فى تلك الأجزاء، يستخدمون اسم الرجل فى أنشطتهم، مراراً وتكراراً). بدأت حملات المستشار السياسى الرئيسى فى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٢

(*) الاعتقاد بأن لكل شىء فى الحياة روحًا. (المترجم)

وأسفرت عن دخول ١٥٠٠ فرد من أفراد الجوارى Gwari الوثنيين، فى منطقة النيجر، فى الدين الإسلامى، فى وجود كل من رئيس الوزراء (أحمد بللو)، وقاضى القضاة، وكبير أعيان الإقليم. وإن كانت مسألة توزيع نسخ القرآن الكريم، والكتيبات، والقماش، والمسابح، وورقة نقدية من فئة الخمسة جنيهات فى بعض الأحيان، فضلاً عن احتمال الحصول على المزيد من الملابس، والانخراط فى أغلبية أكثر نجاحًا من الناحية السياسية والاقتصادية هى مجرد لفت للأنظار، فإن الدخول فى الإسلام كان عملاً اختياريًا ومحمودًا، (وكما هو الحال مع المسيحى الذى يحصل على "طبق من الأرز") فإن تغذية العقيدة القائمة على الاقتناع وتربيتها، تأتى فى معظم الأحيان بعد الالتزام الشكلى السطحى. المخزى أن بعض هؤلاء "المرتدين" كانوا بالفعل مسلمين منذ زمن بعيد، وعلى استعداد للحصول على نصيبهم من السلع.

قويت هذه العملية، وتراجعت بعض الشىء أثناء الانتخابات العامة، واستؤنفت من جديد فى العام ١٩٦٥، فى ظل تقارير حقيقية تسجل دخول حوالى ١٠٠٠٠٠ مسلم فى الإسلام فى زاريا ومنطقة النيجر وحدهما، وقامت حملات محلية أخرى ترأسها سياسيون صغار وبعض المسلمين المتحمسين الذين دخلوا فى الإسلام مؤخرًا. زعم السير أحمد بللو بعد ذلك فى شىء من الإصرار، "فيما يتعلق بى، أنا لا أعُد إسرائيل موجودة"، فى ظل دخول ٤٣٠٠٠٠ فى دين الإسلام منذ بداية حملته. لم يكن كل الموظفين الحكوميين الدائمين أو الملتحقين حديثًا بالخدمة، الذين كانوا مسرورين بالمشاركة فى زيادة المطبوعات الدينية المستوحاة من جمعية نصر الإسلام، سعداء بتورطهم فى هذه المسألة، وقد ظهر ذلك الاستياء من خلال جمع الإحصائيات الخاصة بالدخول فى الإسلام. جاءت التقارير الصحفية وردود الأفعال تحمل مضامين مزعجة. جرى الخلط بين سوء الفهم وإشارة رئيس الوزراء من حين لآخر إلى **الجهاد Jihad**. لم يكن ذلك الذى دار فى ذهن أحمد بللو، على أنه رد متأخر على العمل المسيحى الخارجى، عبارة عن حرب حقيقية وإنما هو محاولة جماهيرية لحماية العقيدة، والحياة،

والممتلكات، والحرية، واحترام الذات التى أحس المسلمون وجيرانهم المقربون بأنها يتهددها خطر الإصلاح الدنيوى على مستوى الكون كله: عرف شهود العيان وحدهم الجهاد على أنه سيف ونار، من منطلق أن تخوفهم من ذلك الذى عرفوه على أنه النظام الإسلامى والعقاب الإسلامى، هو الذى جعلهم ينزعجون بلا مبرر منطقى من التغيير الدستورى الشمالى فى العام ١٩٦١ الميلادى (الذى أتينا على ذكره فى الفصل الخامس والثلاثين)، من أجل وضع قاضى القضاة على منصة الحكم الشمالى فى القضايا المختلطة. معروف أن الساسة الجنوبيين الشهيرين، فى معظمهم، لم يعرف عنهم التورط فى المسائل الملية الكنسية أو التبشير بالمسيحية. يزاد على ذلك أن بعض المآسى المستقبلية قدِّر لها أن تنجم عن استعداد الشباب الراديكالى الأمى لوضع حماس دائرة تسعى إلى إنقاذ الأرواح فى مصاف دائرة أخرى تسعى إلى زيادة الفساد العام، باعتبار هذين الأمرين بديلين من بدائل تقوية السلطات الحزبية والسياسية - تلك السلطة التى لم ير فيها الجيل الجديد (وعلى العكس من سلفه) أية إشارة من إشارات تقاسم هذه السلطة.

كان المستشار السياسى الرئيسى واحداً من الشخصيات الرئيسية فى الحركة العثمانية.(*) لم تكن الحركة العثمانية حركة جديدة أو طريقة من الطرق الصوفية الفرعية مثل الطريقة القادرية والطريقة التيجانية (ربما كان السير أحمد بللو أكثر سعادة لو أن هذه الطرق الصوفية كانت غير موجودة)، لكنها كانت تمثل تفسيراً حديثاً للأساس الدينى الذى بُنيت عليه خلافة الشيخ عثمان بن فودى. وهذا هو الحاج السير أبو بكر يفتقر من جديد إلى المؤهلات الشعبية التى تمكنه من تحدى - لأسباب سياسية وطنية - حكمة تجاهل ردود فعل الأجانب على الأنشطة الداخلية التى من هذا القبيل، والتى يمكن أن تحظى بأعلى قدر من البواعث الدينية. كان الحاج محمد رباط هو

(*) نسبة إلى الشيخ عثمان بن فودى، الشيخ المجدد الفولانى، وجد أحمد بن بللو. (المترجم)

الشخص الوحيد الواثق، والقادر على أن يوضح لأحمد بللو، بشكل لا لبس فيه، خطورة الموقف وغموضه، والأخطار التى يمكن أن تتهدد البلد كله جراء العدسات المشوَّهة التى ينظر من خلالها الجاهلون إلى الشمال. فى شهر أبريل من العام ١٩٦٥ الميلادى كان المستشار السياسى الرئيسى فى زيارة للمملكة العربية السعودية، فى حين كان الضباط الجنوبيون القلقون يتفكرون فيما يمكن أن تئول إليه الأمور. كانت هناك أيضًا مجموعة أخرى من كبار الموظفين الحكوميين يتدبرون حدود تصديهم للخطوات التى أقدم عليها رئيس وزراء الشمال خارج نطاق الحدود الدستورية. كانوا على صواب فى ظنهم أنهم إذا ما واجهوا المستشار السياسى الرئيسى بمعارضة حاسمة ومنطقية فإنه سوف يتراجع عما يقوم به، فى ذلك الوقت كان التسلل الزعامى لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كادونا والموظفون الحكوميون يعملون عمل الفريق على أساس الثقة المتبادلة فيما يتصل بالأمور السياسية الخالصة.

مضت الانتخابات الربع سنوية قدمًا طبقًا لما هو محدد لها قانونيًا، وأُجريت الانتخابات بعد حملة متوسطة والنظر فى المزاعم المتضاربة والممارسات الخاطئة، فى اليوم الثامن عشر من شهر مارس. جرى الحصول بالتزكية على مقاعد كثيرة فى الغرب الأوسط، حصل التحالف المتحد التقدمى العظيم على الأغلبية الساحقة كما كان متوقعًا، فقد حصل على المقاعد كلها ما عدا ستة مقاعد فى الشرق، وثلاثة مقاعد من الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى فى ليجوس، لكن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى احتفظ بمائة واثنين وستين مقعداً، كما احتفظ الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى بستة وثلاثين مقعداً، واحتفظ المستقلون بخمسة مقاعد من أصل ٣١٢ مقعداً هى إجمالى عدد مقاعد البرلمان، على الرغم من أن أى تغيير دستورى يجب أن يحصل ٢٠٨ أصوات. كشفت الإعلانات النهائية للنتائج عن حصول حزب جماعة العمل على مقعدين فى ليجوس، وخمسة عشر مقعداً فى الإقليم الغربى، وأربعة مقاعد فى الإقليم الشرقى، وحصل حزب الجبهة الشمالية التقدمية على أربعة مقاعد فى الإقليم الشمالى، وحصل

المستقلون على مقعد واحد فى كل من ليجوس (بنسون) والإقليم الغربى والإقليم الشمالى، وحصلوا على مقعدين في الإقليم الشرقى. تخلف كل من واشوكو، ونجوكو، ومبو Mbu، لكن شايك أوبى Obi، هو وأمين كانو عجلا بالمطالبة بإجراء المراجعة الدستورية قبل شهر أغسطس.

افتتح رئيس الدولة، بعد ذلك بستة أسابيع، جلسة الموازنة، وكانت أطول جلسات البرلمان فى شهره الأخير، وقد آثر الرجل ارتداء زى مدنى بدلاً من زى القائد العام الذى كان يرتديه فى هذه المناسبة. لم يتطرق الرئيس فى حديثه عن البرنامج الحكومى إلى التغيير الدستورى. قال سكرتير رئيس الوزراء البرلمانى فى معرض رده على سؤال شفهى حول وفاء الحاج السير أبى بكر بالوعد الذى أعطاه للدول الإفريقية كلها فى العام ١٩٦٢ الميلادى، بأن يقوم بجولة فى الدول الإفريقية كلها عندما يدعى إلى ذلك، وبالطريقة التى تسمح له بتنفيذ مهامه. وفى اليوم التالى سُمح للمناقشات التى جرت حول أرصدة التنمية فى قانون المخصصات التكميلى، بالانجراف نحو تجديد انتقاد لجنة الانتخابات. يتدخل أبو بكر فى شىء من الاستياء، مدافعًا عن الهيئات المستقلة والمسئولين المستقلين الذين لم يستطيعوا الرد، وندد أبو بكر أيضًا بالمزاعم السياسية الوحشية، التى قد يكون البعض منها صحيحًا أو غير صحيح، لكن البعض منها لا يمكن أن يكون صحيحًا: **"يجب أن لا يغيب عنا أن الناس خارج هذا المكان لا يعرفون متى نستطرف، ومتى نحاول أن نكون إيجابيين وبنائين"**. ولاحت الاضطرابات فى الأفق عندما زعم السيد/ إيه يو دى مباه Mbah، وهو من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجريين، أن البرلمان بكامله لم يكن بحق ممثلاً لسكان البلد، نظرًا للتلاعب فى الانتخابات من ناحية وأن مهزلة شهر ديسمبر جاءت، من الناحية الأخرى، نتيجة لمخالفة القانون على نطاق كبير من قبل "سياسيين محددين". هدأ رئيس الوزراء تلك العاصفة بتوجيه تحذير شديد إلى مباه Mbah بأن يحاول إعمال فكره من جديد فى مزاعمه، وذلك ابتغاء مصلحة وحدة الاتحاد.

في نهاية شهر مارس، تقدم الرئيس فستوس أوكوتاى - إيبوه بما اسماه "موازنة التعزيز". ركز الرئيس فستوس في هذه الموازنة على الآثار غير المتوقعة لانخفاض أسعار المنتجات الأولية، وبخاصة الكاكاو، كما ركز أيضًا على الأحكام الصادرة عن لجنة مورجان فيما يتعلق بالأجور، وعلى الإفراط في الواردات الفارهة وزيادتها عن الصادرات المُرشَّدة (كان الميزان التجارى المعاكس قد ازداد سوءًا إذ وصل من ١٨ مليون جنيه إنجليزى في العام ١٩٦٣ إلى ٤١ مليون جنيه إنجليزى في العام ١٩٦٤ الميلادى)، والذى ارتفع بسببه إنتاج البترول إلى خمسة ملايين طن، أى من ١٢ مليون جنيه إنجليزى إلى ٣٢ مليون جنيه إنجليزى، وهو مجرد إجراء مُسَكِّن ليس إلا. قدرت الإيرادات في العام ١٩٦٥ - ٦٦ بحوالى ١٦٠ مليون جنيه إنجليزى، وواصل المتفائلون تطلعهم إلى استمرار حدوث فوائض في الموازنة. على كل حال، لقد ورد ذلك في سياق تقرير متشائم صدر عن البرلمان بخصوص خطط التنمية السداسية، التى وصل حجمها الإجمالى إلى ٨٢٣ مليون جنيه إنجليزى، وتدخل ضمنها مطالب الإقليم الرابع، بالإضافة إلى أرقام التعداد المفاجئة، والأعباء المترتبة على أحكام لجنة مورجان للأجور والمرتبات، وأعباء التكلفة المحكمة، وإضافة مشروعات جديدة دون التخلى عن المشروعات الصغيرة التى تبرر أسباب وجودها. كانت هناك أيضًا بواقٍ من خطط الفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٢، كما تضخمت أيضًا القطاعات الاجتماعية والإدارية غير المنتجة تضخمًا كبيرًا. كما تكلف القيام بالتعدادين إضافة إلى الانتخابات أكثر مما كان مقدرًا لها في العام ١٩٦٢ . شكلت المعونات الأجنبية ١٢,٣٪ من الإنفاق الحقيقى في حين بقى حوالى ٥٠٪ من هذا الإنفاق، أمرًا مفترضًا. جرى أيضًا ضمان منح وقروض قيمتها حوالى ٢٦٧ مليون جنيه إنجليزى، لكن ثلثى التنبؤ الأساسى كان مقدرًا لهما أن يتحققا في نهاية المطاف. ثبت أن خدمة القروض الصعبة المتمثلة في ائتمان الموردين وتمويل المقاولين، وكذلك الضمانات المعطاة لاختيار فئات بعينها من الاستثمارات الأجنبية، يصعب الوفاء بها وذلك بخلاف الجذل(*) الذى حدث عند الدخول

(*) الجذل: بفتح الجيم وفتح الدال هو "الخلوّ من الهموم". (المترجم)

فى هذه القروض. يزاد على ذلك، أن مجالس التسويق الأخرى، هى ومجلس تسويق الكاكاو لم يكن تسابقها مرضيًا، على الرغم من وفاء الإقراض الداخلى بتوقعات المخططين المحددة. من هنا أصبح "التعزيز" مطلبًا واضحًا من مطالب الترشيد، الذى لم يكن أمرًا شعبيًا بأى حال من الأحوال، والذى أبعد الانتباه فى ذلك الوقت عن التوقعات البترولية. وهنا يحق لنا القيام ببعض المقارنات الإقليمية: بلغت حصة الإقليم الشمالى حوالى ٦٠ مليون جنيه إنجليزى، فى حين قدرت حصة الإقليم الشرقى بحوالى ٤٢ مليون جنيه إنجليزى، فى حين كان معمل التكرير التابع لشركة شل لإنتاج الزيت فى بورت هاركورت، والذى تكلف ٩,٦ مليون جنيه إنجليزى، يدفع فوائد مالية حكومية تقدر بحوالى ٥٠٪، ووصلت مخصصات الإقليم الغربى إلى ٢٨ مليون جنيه إنجليزى، تأثرت تأثرًا كبيرًا بانخفاض أسعار الكاكاو اعتبارًا من العام ١٩٤٥، على الرغم من وصول الإنتاج الذى لم يبع إلى حوالى ٣٠٠٠٠٠ طن، لكن إقليم الغرب الأوسط، الذى يحتوى على ٩٠٪ من المطاط والخشب فى البلاد، وكذلك مصنع الخشب الموجود فى سابيل.Sapele، والذى يعد أكبر المشاريع فى إقليم الغرب الأوسط، ويصدر حوالى ١,٢ مليون قدم مكعب من الأخشاب، هذا الإقليم بلغت مخصصاته من الموازنة حوالى ٥,٨ مليون جنيه إنجليزى.

أغضب وزير المالية بعض أعضاء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وكثيرًا من الراديكاليين خارج البرلمان، عندما ألقى تعليقًا سياسيًا بهذه المناسبة، هاجم الوزير فى ذلك التعليق ذلك الذى "يسمى بالاشتراكية"، سواء أكانت ترتدى ثوب "التقدمية" أو "الديموقراطية" - وأنها لا تزال تعنى ملكية الدولة للأرض، ورأس المال، ووسائل الإنتاج والتوزيع، وإلغاء الميراث. فقدان الحرية الفردية الذى يكون من هذا القبيل، على حد قول الوزير، يجعل هذه الاشتراكية غير مقبولة عند "النيجيريين الأمناء الحقيقيين"، وبذلك يكون الوزير قد خلق لنفسه استياء بطبيعة الحال بين النيجيريين الذين لم يعرف آباؤهم الازدهار المادى أو الموارد الموروثه، والذين لم يعرفوا هم أنفسهم

الطريق إلى اكتساب المزيد من الثروة. ترك رئيس الوزراء الآخرين يتحدثون عن النقود والأسواق والتمويل والبحث لكنه كان راضياً عن اقتصاده السياسى.

أعلن الحاج السير أبو بكر فى اليوم الأول من شهر أبريل حقيقة الوعد الذى قطعه على نفسه بإعادة تشكيل الوزارة بحيث تكون وزارة موسعة. جرى النيل من ذلك الوعد على نطاق واسع، دون قيام أحد من أولئك المنتقدين بتحديد الدفاعات الأخلاقية الفاعلة التى كان يمكن لها أن تحمى رئيس الوزراء هو وذلك العدد الصغير من الثقات الأمناء غير الحزبيين من مجموعة الضغوط القبلية، والضغوط الجغرافية والشخصية، التى تتسم كلها بالجشع. كانت هناك سلطة إنشاء الوظائف والتعيين عليها، وكان من حق كل رئيس وزراء فى البلد أن يكافئ مقطَّعيه(*)، عن طريق ممارسة هذه السلطة دونما اعتبار لمطالب المراقبة، يزاد على ذلك أن رئيس الوزراء الاتحادى يجاهد سعيًا إلى الحصول على مساندة دائمة من تجمعات كثيرة داخل أكثر من حزب. حتى والحال كذلك، فإن المبنى الذى بناه المقاولون الجشعون بعد أن انفض سوقهم كان شاذاً. لم يعد غياب حزب جماعة العمل أمراً مفاجئًا، لكن كشف المرتبات الوزارى الحكومى الذى يضم ثمانين عضواً بلغت تكلفته حوالى ٧٥٠٠٠٠ جنيه إنجليزى أى ضعف الكشف السابق، بل إنه يعادل نصف قيمة مرتبات الأقاليم الأربعة مجتمعة، جاء بمثابة صدمة كبيرة. كشف المرتبات والأجور هذا كان يضم ٣٤ عضواً من الشمال، و٢٥ عضواً من الغرب، ١٥ عضواً من الشرق، وأربعة أعضاء من الغرب الأوسط وعضوين من ليجوس، (بما فى ذلك رجل من إيلورين) لدرجة أن نصيب اليوروبا كان غير متناسب مع "الحكومة الموسعة"، دون أن ينسحب ذلك على حزب جماعة العمل، يزاد على ذلك أن وزراء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين السابقين عادوا كلهم إلى مناصبهم. والمحزن أيضًا، أنه لم يرد ضمن هذا الكشف أى اسم من الاسماء التى جرى نزع

(*) واحدة "مُقطَّع" بضم الميم وتشديد الطاء، وفتحها وهو "الحاصل على إقطاعية". (المترجم)

الثقة منها بفعل الرأى العام الراديكالى أو المستنير جراء تأكيدات بالفساد والمباهاة بالثراء. كان مجلس الوزراء نفسه يحتوى على واحد وعشرين وزيراً من أصحاب الحقائب، وأحد عشر وزير دولة، لكن كان هناك أيضًا اثنان وعشرون وزيراً آخرين لا يحملون رتبة مجلس الوزراء، كما كان هناك أيضاً ست وعشرون سكرتيراً برلمانيًا. جاء التوزيع الحزبى للغنائم موسعًا هو الآخر، ولم يجئ انعكاسًا للقوى داخل البرلمان: كان لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى ١٥ وزيراً فى مجلس الوزراء، وسبعة وزراء من غير وزراء المجلس، واثنا عشر سكرتيراً برلمانيًا، أما الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى هو وحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فقد كان لكل منهما سبعة وزراء فى المجلس وسبعة سكرتيرين برلمانيين، لكن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين كان يزيد على الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى بأن كان له أيضًا وزير من غير وزراء المجلس. كان من بين الوزراء ثلاثة وزراء غير منتمين لأحزاب هم: الدكتور إلياس، والدكتور ماجيكودونمى، والسيد/ دانيال Daniel أنورا Onwura إيبكوى Ibekwe، الذى تقرر له (بعد استقالته من الحكم الذاتى فى الإقليم الشرقى، وبعد أن أصبح شيخًا برلمانيًا) الانضمام إلى الحاج نوح بامالى، ويحل محل الدكتور إيزن Esin فى علاقات الكمنولث.

كشف توزيع المسئوليات وإسناد الحقائب عن الموقع الحقيقى للسلطة، ونظراً لأن تلك كانت آخر إدارة للحاج السير أبى بكر فإن هذا الأمر يتعين الإشارة إليه هنا. بقى القسم الأكبر من شاغلى المقاعد "المؤقتة" فى مجلس الوزراء اعتباراً من اليوم السابع من شهر يناير، بلا تغيير لكن المهام "المسنودة" إليهم تغيرت. هذا هو رئيس الوزراء (ومن ثم سكرتيره ومكتبه) احتفظ بمهمة الأمور الدستورية، والمجلس التشريعى الفيدرالى وأموره التنفيذية، وقوة الشرطة النيجيرية، والأمن والسلامة، والتنسيق بين الوزارات، لجنة الجامعات الوطنية، العلاقات مع هيئة سد النيجر، واحتفظ أبو بكر بمنصبه وزيراً للخارجية، ولذلك قام هو ووزيرا الدولة التابعان له، بالإشراف على

الشئون الخارجية وشئون الكمنولث، وشئون الحج، وتجميع المعلومات عن الدول الأخرى، والتنسيق وعمل الترتيبات اللازمة للمؤتمرات الدولية التى تعقد فى نيجيريا، وإصدار تحقيق شخصيات البحارة.

كانت معظم مهام الحقائب الأخرى، مثل المالية تفسر نفسها بنفسها، لكن حقيبة الدفاع اشتملت على مجلس للعفو والرأفة، أما حقيبة النقل (التى كان فيها الحاج عبد الرازق وزيرًا للدولة له كامل سلطات وزير مجلس الوزراء والذى راح يدعم زنًّا Zanna بوكار دبشاريما) فقد اشتملت على المياه القادمة من مصادر تؤثر فى أكثر من إقليم، واشتملت حقيبة التنمية الاقتصادية على العلاقات مع هيئة تنمية دلتا نهر النيجر، واشتملت حقيبة شئون ليجوس على الأراضى الفيدرالية كلها، أما حقيبة الإسكان والمسح (المسندة حاليًا إلى الرئيس إيه أو أوجونسانيا Ogunsanya) فقد اشتملت على الإسكان والإيجارات فى ليجوس، وقد اشتملت حقيبة التربية والتعليم (المسندة إلى السيد/ رتشارد أو إيه أكنجيد Akinjide، ويساعده وزير من غير وزراء المجلس هو الرئيس بى أو أوليسولا Oluosola) على الآثار، وأسندت إلى وزارة العمل (التى أُعطيت للرئيس إيه أديدوين Adedoyin) الرفاة الاجتماعى، والأحداث، والتعاونيات، ورياضة ليجوس.

تمثلت الإضافات الأخرى فى إسناد المواصلات إلى السيد/ ريموند نجوكو بدلاً من الشيخ شاجارى (تولى الشيخ شاجارى منصب الحاج على منجونو بصفته وزير دولة كيما يساعد فى الشئون الداخلية)، وسلم الدكتور مبادوى شئون الطيران إلى الدكتور جاجا واشوكو، وتولى هو وزارة التجارة، وأسندت حقيبة الصناعات للرئيس آكنلوى Akinloye، ويساعده فيها السيد/ تى أو تايو Taiwo، وهو وزير بلا وزارة، وأسندت حقيبة الموارد الطبيعية والأبحاث إلى الأمير إيه لاميى. أما باقى وزراء الدولة الذين كانت لهم سلطات وزراء المجلس فهم: الرئيس آكيريل Akerele، والرئيس هزكيا Hezekiah أولاديبو Oladipo ديفنز، والسيد/ ماتيو Matthew تاو مبو Mbo، والسيد/

آجانا واشوكو، والسيد/ إى تى أورودى. لم يجر تخصيص مهام وزارية محددة لهؤلاء الوزراء، ولا للوزراء التسعة عشر الآخرين الذين ليسو ضمن المجلس، والذين كان من بينهم السيناتور موسى أولاريواجو Olarewaju، والرئيس آولوو آكنفوسايل، والسيد/ مبازولوك Mbazuluike أميشى Amechi، والسيد/ دى سى موجو Mgwu. وتزايد فى الشهر التالى عدد السكرتيرين البرلمانيين بأن أضيف إليه سكرتيران آخران. لم يكن هناك عمل يقوم به توس Tos بنسون. ولم تجر إعادة تعيين المعلم أمين كانو كرباجا رئيسًا للحكومة.

تمثلت الأعجوبة الكبيرة فيما يمكن أن يفعله هؤلاء الأعضاء الذين هم ضمن الإدارة ولكن خارج مجلس الوزراء. لم يحدث أن تعب (حتى بدا متعبًا) الحاج السير أبو بكر، هنا ولأول مرة يمكن القول بحق عنه إنه ضعُف. صحيح أن الرجل قلل الاستياء والسخط المتبادل بين الأحزاب إلى أقل حد ممكن وبالتالى يمكن امتداحه لشهامته ونخوته، لكن عددًا كبير من الناس بدأوا يظنون أن قوة أبى بكر الشخصية تنبع أصلاً من خدمته الطويلة، وأنه هو الوحيد الذى تبقى من مجلس العام ١٩٥٢ . ومع ذلك تظل الكلمة الأخيرة، على العكس من ذلك، عند الرئيس آكنتولا، الذى سبق له أن أوضح عدم ملاءمة أفكار مجلس الوزراء البريطانى، وتباه البرلمان البريطانى، للسياسة النيجيرية فى تلك الأيام: "مجلس الوزراء ليس تنفيذيًا! إنه مجرد سلطة تمثيلية! وليس سلطة تشريعية. يتعين علينا إعطاء كل إنسان جزءًا من هذه السلطة". كان يعرف مكمن السلطة، لكنه لم يكن يعرف أين كانت تكمن، شأنه فى ذلك شأن كل من عاصروه. بعد انتظار طويل وحتى يتمكن من أن يثبت لناخبيه أن الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى قد وضع يديه على مقر السلطة فى ليجوس، راح الرجل (أبو بكر) يطالب بوصول الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى إلى الحكومة الفيدرالية "وهو يوم عظيم فى الإقليم الغربى"، كما راح أناس آخرون ينادون بأن عودة حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين تعد كارثة حلت بنيجيريا، ويواصل الرجل

سيره بموكب سياراته فى ثقة، ومن أمامه آلات التنبيه تفسح الطريق. وأحس الدكتور مبادوى، الذى هو من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، بالثقة التى دفعت إلى إثارة مسألة صفقات الأراضى الخاصة به، مع رئيس الوزراء والمحامى العام، مقترحًا على رئيس الوزراء حتمية تجنب الأذى الناجم عن "الهجمات غير المسئولة"، لكن مبادوى لم يحصل على رد من رئيس الوزراء.

تواصلت جلسة الميزانية طوال هذه الاستفزازات، وحققت هدفها الذى تمثل فى الإبقاء على السيطرة على تلك القوة التنفيذية الضخمة، لكن أعضاء هذه الجلسة لم يكونوا يسلمون بأنهم هم الحكومة أو أن من بينهم حكومة بديلة منتظرة. لاحت فى أجواء الجلسة أيضًا مسألة مراجعة الدستور وترددت كثيرًا فى خطب الأعضاء. قال الحاج وزيرى إبراهيم، وزير التنمية الاقتصادية، فى مرحلة من مراحل تلك الجلسة: ليست هناك حاجة لتلك المراجعة، وإن الشمال سوف يقاوم أية محاولة من هذا القبيل. وحدثت نوبة من التصفيق الحاد لهذه "الإهانة غير المستفزة للجنوبيين"، وتعين على الحاج السير أبى بكر أن يوضح للجميع أن ما حدث هو رأى الوزير الشخصى، لكن أبا بكر أكد للحكومة كلها أنه "**سيجرى عمل الترتيبات اللازمة لمراجعة الدستور النيجيرى، وستجرى مراجعة الدستور بعد أن تكتمل هذه الترتيبات**".

حاول أبو بكر أيضًا، عندما كان يناقش نصوص مكتب رئيس الوزراء فى مرحلة لجنة قانون التخصيص فى أواخر شهر أبريل، التقليل من وهج الخطب المشتعلة، عن المعالجات الأكثر "ديناميكية" فى معالجة المشكلات الدولية والعلاقات مع غانا، والتى كان يجرى استعراض جهوده فى ضوئها. قال أبو بكر: يتعين على المجلس أن يتذكر المحاكمات التى جرت أخيرًا بتهمة الخيانة، وأن كثيرًا من النيجيريين الذين كانوا مطلوبين للرد على هذه الاتهامات أمام حكومتهم كانوا لا يزالون فى أكرا، مركز رئاسة العناصر التخريبية فى إفريقيا، لكن.

"لكن أنا أود لنا هنا فى نيجيريا أن ننظر إلى هذه المسألة الغانية باعتبارها حالة بين فيل ونملة. بوسع النملة أن تتسلق ظهر الفيل، وتلعب عليه ثم تسقط بعد ذلك وربما تموت... الغانيون العاديون لا يزالون على وُدٌ مع النيجيريين. إذن لماذا نسمح لهذا الشىء المؤقت أن يفسد السعادة والعلاقات الطيبة التى بين الشعب النيجيرى والشعب الغانى؟... إذا كان هناك من يظن أن بوسعه الإمساك بالقارة الإفريقية ويحملها على كتفيه، فهذا شىء طيب، ونحن هنا جاهزون، وليته يفعل ذلك" يضحك المجلس من هذا الكلام. "عندما دعا رئيس غانا إلى عقد الاجتماع الذى كان مقرراً انعقاده فى أكرا، فى القاهرة،... قلت هذا أمر طيب، لكنى لم أستطع أن أفهم كيف أذهب إلى أكرا لتناول الغداء والضحك مع نيجيريين هربوا من بلادهم لأنهم كانوا مطلوبين من الشرطة.... أنا لا أعرف كيف تفسرون هذا الأمر... أنا بطبيعة الحال أود التشاور مع الكثيرين من رؤساء الدول الإفريقية فى أسرع وقت ممكن... ربما سنؤجل ذلك. شنت غانا منذ مُدة حملة علينا... بأننا أرسلنا جنودنا ليحاربوا فى صف تشومبى فى الكنغو. وهذه أكذوبة، وهذا شىء من الجنون لأن غانا بوسعها إرسال قواتها سراً للقتال فى أى بلد من البلدان، أما فى نيجيريا فإن نظامنا لا يسمح لنا بفعل هذ الشىء.

كان غضب الرجل شديداً، لكن واقعيته كانت تقاوم الانتقام، مثلما حدث عندما أيد الحكومة القائمة على أمر السلطة الفعلية فى الكنغو.

أكد نوح بامالى أيضاً للمجلس أن نيجيريا كانت تفعل كل شىء سواء أكان مالياً أم أخلاقياً من أجل مساعدة محبى الحرية، وأنها على استعداد لإعطائهم السلاح

والذخيرة إذا ما قررت منظمة الوحدة الإفريقية ذلك. كان نوح بامالي يفكر أيضًا في افتتاح بعثة دبلوماسية مع إسرائيل. جرت بسرعة الموافقة على رئيس مكتب التقديرات في مجلس الوزراء. جاءت ملاحظة أبي بكر العابرة عند انصرافه، على المبادلات البرلمانية حول المرتبات البرلمانية والوزارية على النحو التالي: "**رئيس الوزراء النيجيري واحد من أقل الناس رواتبًا في الكمنولث، وفي إفريقيا هو الأقل أجرًا من بين كل رؤساء الحكومات**". كان ذلك الكلام صادقًا، لكنه فشل في إحداث انطباع لدى البرلمانيين بأن يتقشفوا هم أيضًا.

في الوقت نفسه، كان آزي Azi نياكو Nyako، خصم أبي بكر في التحالف المتحد التقدمي العظيم، يتقدم إلى محكمة جوس العالية، بالتماس انتخابي مفاده أن السلطة المدنية في باوتشي، وشرطتها وقضاتها كانوا جميعًا عملاء لأبي بكر، وكان مستشاره الخاص آر أو جاجي Gaji يؤكد أن أدلة آزي كانت ضعيفة وأن شهوده العشرة كانوا "وهميين ومشبوهين". يزاد على ذلك أن السيد/ جستس نايجل ريد النيوزيلندي لم يتوصل إلى أي دليل يفيد أن هؤلاء الأشخاص وتلك الهيئات التي يقال إنها عميلة لأبي بكر، قد تصرفت بناء على سلطة عامة أو خاصة من أبي بكر، وأضاف السيد/ جستس قائلاً: "يتعين عليَّ القول هنا: إن شهود السيد/ نياكو كانوا يتصرفون بوحي من الحقد والحسد". تعاصر ذلك مع ثبوت براءة آلين Allen، خبير نقابة عمال ليدز Leeds من اتهامين من بين الاتهامات الثلاثة المنسوبة إليه، وتأيد الحكم الثالث لكنه جرى تخفيضه إلى أربعة أشهر، ولما كان قد أمضى تلك الأشهر الأربعة بالفعل، فقد جرى إطلاق سراحه ليعود إلى موطنه". كان المستشار السياسي الرئيسي يقول: إن المقيمين الذين يعملون في الشمال موجودون لأنهم مهتمون بتقدم الإقليم، أما الجنوبيون فهم في الجنوب لكي "يمصوا دمنا، ويتلاعبون بالسياسة، ويأخذون كل ما يستطيعون الوصول إليه إلى مواطنهم". قام السير أحمد بللو بالدفاع عن النائب الأول لحزب المؤتمر الشعبي الشمالي في الهجوم "الظالم" الذي شُنّ عليه "بطريقة وقحة" في

جريدة نيجيريان سيتزن Nigerian Citizen (المواطن النيجيرى) الناطقة بلسان الإقليم الشمالى، التى أشارت إلى السياسة بكلمة "البوْشنة"(*) Bauchinization: هذه الجريدة "لا تعرف شيئًا عن الوئام والتشاور الوثيق الموجود داخل حزبنا، ونحن نحاول جاهدين الحصول لأهل الشمال على نصيب عادل من المخصصات الاتحادية".

أضافت الوفاة المفاجئة مزيداً من القوة إلى قوة هؤلاء الذين ظنوا أن البارزين كانوا مهمين فى التاريخ شأنهم فى ذلك شأن القوى الجماهيرية الذاتية. معروف أن أسلاف الحاج محمد رباط من أصل متواضع مثل أسلاف رئيس الوزراء، على الرغم من أن الرجل برز من خلال رئاسة حى من الأحياء ثم من خلال الخزانة المحلية وليس من خلال الفصول الدراسية فى كلية كاتسنا. ولما كان الحاج محمد رباط هو الرجل الذى تصل إليه مشكلات ليجوس فى نهاية المطاف، ولما كان الرجل أيضًا أقرب الأصدقاء السياسيين وأخلصهم للحاج السير أبى بكر، ولما كان الرجل أيضًا المصفاة الرئيسية للألغاز كلها فقد كان نائبًا لرئيس الوزراء فى كل شىء ما عدا الاسم فقط. كان الحاج محمد رباط الوزير الوحيد القادر على مواجهة أبى بكر بحزم لكن بدون حسد أو حقد أو عدوان، من منطلق أن رباط كان الحليف الوحيد الذى تبقى لأبى بكر، والذى يعرف كيف يستخدم السلطة استخدامًا فاعلاً بلا حركة ارتجاعية مفاجئة. كان محمد رباط عندما يصر على عناده، يقوم أبو بكر بتحاشى الصدام عن طريق إيفاد طرف ثالث، مثل ميتاماسول، لنقل وجهات النظر حتى **"وإن اضطر إلى الصياح"**. بهذه الطريقة نفسها كان أبو بكر عندما لا يريد الدخول فى معركة كلها هراء فى كادونا، أو عندما يريد توجيه النصح إلى المستشار السياسى الرئيسى بعدم التدخل فى الشئون الخارجية، كان هادرو Hadro، وهو من الجناح اليمينى هو الذى يقوم بفك هذا التلاحم. بدأ الرئيس فستوس، مع نضوج فهمه للشماليين، وبعد أن وسّع الرجل من الهوة التى

(*) نسبة إلى بلدة باوتشى التى منها أبو بكر. (المترجم)

بينه وبين الشرقيين، ينظر إلى محمد رباط باعتباره أقرب أصدقائه إليه. لكن الرجل أو مستشاريه الطبيين سمحوا له بزيادة وزنه بصورة مستمرة، وذلك على العكس من أبى بكر الذى كان نحيفًا. كان الحاج موسى ولد عدوًا قد رحب بالحاج محمد رباط فى المطار عند عودته من إيولا Yola "قبل أن يقوم بإلقاء خطبته فى البرلمان، وفى المطار جرى حديث هامس على لسان رجل الأعمال سى ليفنتس Leventis قال فيه "الرجل المسن مريض" (كان عمره آنئذ ٥٦ عامًا)، لكن لم يلاحظ أحد من الحاضرين أن هناك لغطًا فى قلب الرجل.

على كل حال، لزم الرجل فراش المرض فى اليوم الأول من شهر مايو. كان المستشار السياسى الرئيسى فى سكتو قد أعد احتفالاً لمكافأة كل من الحاج السير أبى بكر والحاج محمد رباط بمنحهما ميداليات ذهبية هى الوسام العثمانى، مكافأة لهما على خدماتهما لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى وللإقليم الشمالى. وهنا يجب القول: إن أبا بكر الذى جاء وحده بصحبة أحد الجنوبيين للتحقق من الاحتكاك داخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى بسبب أغصان الزيتون التى قدمت لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، تعين عليه استلام ميدالية صديقهم نيابة عنه فى مقر الرئاسة فى فترة الصباح. أقيم بعد ذلك فى اليوم نفسه حفل كبير فى غرفة من غرف تناول الطعام، لكن بعد انتظار المجموعة فترة طويلة، دخل عليهم المستشار السياسى الرئيسى وهو ينفطر وراح يتكلم كلامًا حزينًا فى الميكروفون: "الحاج محمد رباط، لقد توفى فى صباح هذا اليوم". عاد كبار المدعوين إلى مقر الرئاسة، حيث قال أبو بكر "**الحاج محمد رباط حظيظ جداً، لقد وافته المنية وهو على فراشه، وبعد أداء فريضة الحج. لا أحد منا يعرف كيف سنموت نحن**". وراح أبو بكر يردد دعاء عرفة الذى أوردناه فى الفصل الرابع والعشرين، ثم أضاف عليه "**نتمنى ألا تكون وفاتنا عنيفة، وأن تكون مثل وفاته، وأن نكون راشدين**". كان أعضاء الحزب يودون دفن جثمان محمد رباط فى كادونا، حيث سيقوم رئيس الوزراء بتشييع الجنازة، لكن كان معلومًا أن

أسرة الفقيد كان لديها مكان في إيولا Yola" اختاره الفقيد كي يُدفن فيه، ورافق المستشار السياسي الرئيسي الجنازة بالطائرة إلى أدماوا. ترددت بعض الشائعات التي مفادها أن الرجل مات بفعل السُّم الإجباوي.

كان لدى رئيس الوزراء عندما عاد إلى كادونا، الكثير الذي يقوله في مقر الرئاسة: **"أيها السادة، لقد سبقنا الحاج رباط، وكان حظيظًا لأننا وقفنا بجوار قبره - لكننا لا نعرف من سيقف إلى جوار قبورنا... كان زميلاً موثوقًا به ويمكن الاعتماد عليه. لقد أسهم بأفضل ما عنده من أجل تقدم نيجيريا. لقد كانت وفاته خسارة شخصية كبيرة لي. لا يمكن أن يوافيه أجله في زمن أسوأ من الزمن الذي نحن فيه الآن"** وفي الاجتماع العاجل الذي عقده البرلمان في اليوم الرابع من شهر مايو، لإحداث تعديل وزاري، في إثر التعديل السريع السابق ألقى أبو بكر خطبة عزاء، كرر فيها ذلك الذي سبق أن قاله، وهو أن المنية كان لا يمكن أن توافي محمد رباط في زمن أسوأ من الزمن الذي نحن فيه: كان من بين الإنجازات العظيمة التي قام بها الوزير المرحوم **"الطريقة الرائعة التي شكل بها جيشنا، وكيف أظهر في أفراد الجيش روح الثقة بالنفس، والثبات والنضج"**. وتحدث بعده الرئيس فستوس أوكاتاي - إيبوه، وألقى خطبة شعرية رومانسية، كما تحدث أيضًا الحاج إينوا وادا والدكتور كنجسلي مبادوي.
قيل إن أبا بكر كان يذهب دومًا إلى محمد رباط طلبًا للنصيحة في الدقيقة الأخيرة.

بدأ أبو بكر يلجأ إلى خياله: كان رفاقه يقولون خلال الأشهر المتبقية، إنه لم يمض يوم واحد على أبي بكر دون أن يناجي نفسه قائلاً: **"لو كان الأمر بيد رباط لفعل [كذا - وكذا]"**. لم يكن هناك بديل حي لمحمد رباط، وأصبح أبو بكر الوزير الأخير الذي بقي في منصبه منذ العام ١٩٥٢ الميلادي.

الفصل الخامس والأربعون

صيف حار طويل

من يستطع تذكر العام الماضي لن يكتشف أن هذا العام مبهجٌ(*)

أصبحت مسألة عزلة أبى الداخلية، بل ووحدته خارج نطاق صداقاته الاجتماعية الخالصة، أمرًا واضحًا للشخصية العامة التى فهمت هذا الرجل. كان موقف هذه الشخصيات العامة على العكس تمامًا من موقف المراسلين الأجانب، الذين كانوا لا يرون سوى أن الرجل خرج من الأزمة الدستورية بشرف كبير ذلك الذى كان يمكن أن يكون كارثة لا مفر منها. كان الحاج أمين كانو يعرف أن أحلام رئيس الوزراء قصيرة الأمد، فى الوحدة النيجيرية قد ذهبت أدراج الرياح، كما كان يعرف أيضًا أن ذلك الجزء الذى لم يتبدد من فكر الرجل يمكن أن يحظى بمكافأة على الصعيد الدولى، راح رئيس الوزراء، شأنه شأن أكثر من رئيس من رؤساء الوزراء البريطانيين الذين أسىء إليهم من قبل منافسيهم المحليين، يتكلم بطريقة، أكسبت بلاده احترام الشخصيات العالمية الذين لم ينظروا إلى الوحدة الفيدرالية النيجيرية بوصفها واجهة من قماش. فسَّر أولئك الذين لا يستشعرون الخزى أو العار فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى هم والراديكاليون فى الهرم الحاكم فى الشمال تصرف الرجل على أنه نوع من اللامبالاة

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى: 'They that laugh in the mornin' may greet (weep) ere nicht (night) "من يضحك فى الصباح قد يبكى فى المساء". (المترجم)

أو التواكل. وانجرف حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين من واقعية المشاركة فى السلطة إلى أحلام اليقظة عن السيطرة، وبدأ الحاج السير أبو بكر يخسر بعضًا من مساندة المدافعين الطبيعيين عنه، الذين نشأوا من جذور شبيهة بالجذر الذى نشأ هو منه. وقف "المعلم" أمين كانو على ذلك الميل الذى كان يحظى بتشجيع من الوعى العام – حتى وإن كان ذلك مفهومًا خاطئًا ـ والذى مفاده أن مشاغل المستشار السياسى الرئيسى الدينية، هى وحماقة بعض أتباعه وإن شئت فقل المتزلفين كانوا يعودون بالإقليم الشمالى إلى الوراء ليجعلوا منه بلدًا متميزًا على الصعيد النفسى. وطوال العام كان الناس يسمعون المستشار السياسى الرئيسى وهو يقول: "أفضل أن ينادينى الناس باسم سلطان سكتو على أن ينادونى بصفتى رئيسًا لنيجيريا!".

لم يتغير وئام رئيس الوزراء مع رئيس وزراء الشمال. عندما كان أبو بكر يعلق للصحفيين على قبوله للميدالية العثمانية التى منحها إياه رئيس وزراء الشمال (أحمد بللو)، المستشار السياسى الرئيسى قال الرجل: الصحفيون الأجانب يسيئون فهم العلاقة: **"أنا أعرف أننا نختلف، لكننا نختلف لأننا بشر"**. كان الاثنان عبدين bayin Alla من عباد الله، وسواء أكان واحد منهما زعيمًا دينيًا shugaban addini أم لم يكن، بما يوحى أنه يمكن أن "يختار" أن يكون على نحو أكثر مما هو عليه، فإن هذه المسألة تكون متروكة لضمائر الآخرين. وإذا ما حدث احتكاك بينهما فإن هذا الاحتكاك يكون راجعًا إلى بعض أفراد عنيدين من حاشية المستشار السياسى الرئيسى الذين يحاولون إحباط ميول رئيسهم عن الليبرالية. ومن الطبيعى جدًا أن يختلف أبو بكر مع أحمد بللو ويتفقان على حل وسط، لكن الأخبار التى ترد من كادونا فى هذه الأيام تسفر عما مفاده **"لقد تعبت – اذهب وقل لهم افعلوا ما تريدون"**. وقد تجلى الجلد والخلاف فى أسلوب العمل عندما علق رئيس الوزراء ذات مرة لرئيس وزراء الشمال عن استعداد المستشار السياسى الرئيسى لاستقبال زوار الإقليم الشمالى على اختلاف

مشاربهم سواء أكان ذلك الاستقبال ليلاً أم نهاراً: "**إرادتك قوية جداً - لابد أن تكون لى مواعيد ثابتة، مطلوب منك أن تحدد دوراً لكل الزائرين**".

وجد الحاج إينوا وادا أنه محتم عليه أن يحل محل الحاج محمد رباط، وبخاصة عندما يكون الأمر بحاجة إلى رسول يسعى بين ليجوس وكادونا لإزالة بعض الشكوك، لكن الحاج إينوا وادا كانت شخصيته وأسلوبه وصراحته وحميميته مع أبى بكر أقل مما يجب. لكن أعضاء مدرسة "ماذا لو؟" المؤرخين الرومانسيين المحبين للتخمين، فيما كان يمكن أن يفعله محمد رباط، لو كان باقيًا على قيد الحياة، كانوا يتمنون لو أنهم حثوا أبا بكر على اتخاذ إجراء حاسم إزاء التحركات التخريبية المنتظرة فى الجيش، وبخاصة بعد قراءة تقارير الاستخبارات التى وصلته فى الوقت الذى وصلت فيه أيضًا إلى رئيس وزراء الشمال. ولما كان الرجلان يتقاسمان مسئولية، كما هى العادة، اختيار قيادة الجيش، فمن غير المحتمل أن يكونا تعاملاً مع هذه التحذيرات السرية على نحو أكثر جدية من تلك المجموعة الصغيرة من كبار الوزراء والسكرتيرين الدائمين الخاصين بالمسائل الدقيقة التى من هذا القبيل، عندما يتصرفون بلا نصح أو إرشاد من الحاج محمد رباط.

أصبح إينوا وادا نفسه بانتهاء شهر مايو وزيراً للدفاع، وتعين عليه مواجهة صعاب لم يكن على بينة بها تمامًا فى كل الأحوال، كانت الحرب الناجمة عن تولى منصب ولبى - إيفرارد قد أسفرت عن وجود بعض المستائين داخل هرم كبار القادة العسكريين، وامتد ذلك إلى المسائل اللوجستية، والإمداد والتموين، مما جعل هذه العناصر تشارك فى الفساد المرجح، وتشارك أيضًا فى محاولة التأثير فى رجال البرلمان عن طريق العصابات المحيطة بهذا المنافس المحتمل أو ذاك. تولى الشيخ شاجارى حقيبة وزارة الأشغال، فى حين عُيِّن وزير دولة آخر، ليس بدرجة وزير مجلس الوزراء، (ولم يكن لاسمه قيمة على الرغم من أنه كان يدعى أحمد رباط). اتفق أولئك الذين فهموا رئيس الوزراء، وسامحوه فى مسألة الانتشار الشاذ للمكاتب السياسية

التى فُرضت عليه، مع رأى الرجل الذى مفاده - أن كل أولئك الزعماء السياسيين الآخرين الذين يتمتعون بشعبية كبيرة أصبحوا مصممين الآن إما على حكم أنفسهم، أو سحب تعاونهم من أى إنسان آخر يكون فى الحكم. وأن أبا بكر يتعين عليه مواصلة كفاحه من أجل وحدة فيدرالية متباينة.

وقعت قلة قليلة من الأحداث الداخلية التى كانت بحاجة إلى مبادأة شخصية من رئيس الوزراء فى الوقت الذى كان الرجل يستعد فيه للمناقشات التى ستجرى بين منظمة الوحدة الإفريقية ورؤساء وزراء الكمنولث، على الرغم من استحواذ العديد من هذه المسائل على انتباه الرجل. فى الشمال كان تقرير لجنة كوماسى قد صدر للتو، وكان التقرير يوصى باستعادة منظومات الحكم المحلى المعروفة، على أن يكون هناك عدد من الأحياء الإدارية يتردد بين ثلاثين وخمسة وثلاثين حيًا تحت رئاسة الطور تيف Tor Tiv، وأن تكون هذه الرئاسة مؤسسة على المنظومة العشائرية التقليدية، لم يحظ ذلك المقترح بموافقة التيف الذين كانوا يتطلعون إلى نقل المسئولية إلى "ولاية" حديثة ومميزة للتيف Tiv، لكن هذا الاقتراح بقى فى نهاية المطاف محاولة لفهم أقلية كبيرة ومعاملتها معاملة محترمة، وبخاصة أن هذه الأقلية كانت لا تزال، عن وعى أو غير وعى، ترفض التكامل مع الأمة. أُوفد العميد جاك جوون Gowon إلى بريطانيا لحضور دورة الأسلحة البريطانية المشتركة فى كلية الأركان فى شيزهام Chesham، لدراسة التعاون فيما بين أسلحة الجيش المختلفة، وحل جيمس بام محل العميد جوون بعد سفره. استقبل رئيس الدولة هو ورئيس الوزراء ثلاثة مبعوثين من جمعية الصداقة النيجيرية - السوفيتية، كما استقبلا بعد ذلك اثنين من الملاحين الجويين الأمريكيين الذين جاءوا إلى بلادنا. وكرر السير أديتو كونبو تطلعه إلى إعادة تشكيل لجنة الخدمة القضائية حتى يمكن السماح للقضاة بالتعيين فى مناصبهم بلا أى تدخل سياسى. حل دبشاريما محل الدكتور إيكجيانى Ikejiani هو والسواد الأعظم من أعضاء مجلس إدارة مؤسسة السكك الحديدية المفلس، الأمر الذى دفع الرجل إلى تعيين السيد/ هـ

إيه إجيوتشاى، سكرتير النقل الدائم، رئيساً لمجلس إدارة الهيئة. قام الأيرل مونتباتن، رئيس لجنة تقصى حقائق الهجرة إلى بريطانيا، بزيارة ليجوس بصحبة عضو من أعضاء لجنة الأركان العالية، وتباحث مع رئيس الوزراء، الذى اعترف، فيما بعد أن بريطانيا، شأنها شأن الدول الأخرى، بحاجة إلى فرض بعض القيود على الهجرة. وردت بعض التقارير من باوتشى تفيد عن وقوع اشتباكات بين رجال الشرطة والقرويين المسلحين بالأسهم والنبال. أعلن أبو بكر أن قمة "رؤساء الوزراء" الخاصة بمراجعة الدستور سوف تنعقد فى شهر أغسطس فى إينوجو. جرت تسوية المشاجرة بين وزارات الخارجية والإعلام حول المسئولية عن الإعلان فيما وراء البحار، بإصدار قرار مفاده أن الرئيس روسيجى، خلف السيد/ بنسون، سوف يتولى مسئولية الإعلان الخارجى (ويعفى بذلك وزير الخارجية من بعض أعماله الزائدة عن الحد). وفى ضوء بيان الموازنة جرى تعليق اتخاذ أى إجراء بشأن المبنى البرلمانى الذى خصص له ٨ ملايين جنيه إنجليزى، إلى حين توفر المزيد من الموارد المالية.

جاء فى مطلع شهر مايو الأمير ماخوسينى، زعيم حركة إمبهوكودو Imbhokodo الوطنية إلى نيجيريا والتقى رئيس الوزراء. وجاءت نصيحة أبى بكر له، والتى نشرتها الصحف، تفيد أنه يتعين عليه الانتباه إلى الواقع الجغرافى والواقع الاقتصادى، وألا تحمله الشعارات السياسية غير الواقعية إلى بعيد، وأن هذه الشعارات السياسية إذا ما أُخذت على محملها الظاهرى فإنها سوف تقود سوازيلند إلى مجازر.

تواصل سخط جامعة ليجوس، والسبب فى أن التقاليد التى أرسيت على أساس من الممارسات الأجنبية القديمة، التى كان يجرى بمقتضاها استعمال الأوقاف والأجور فى تغطية نفقات الجامعة وضمان الحرية الفلسفية للمدرسين، هذه التقاليد بدأت تخفق الآن فى مواجهة مدفوعات الخزانة من ناحية وأصول اللوائح المنظمة التى كانت بحاجة إلى من يدفع الأجور حتى يصبح من حقه تسيير الأمور. رفضت الحكومة الفيدرالية الاستسلام للتهديدات والابتزاز، وبخاصة ذلك الذى يُعْتَقَدُ أنه من صنع الأكاديميين

المقيمين المزهويين بأنفسهم، هذا هو الدكتور بايوباكو Biobaku جرى تأييده فيما ذهب إليه من قبل المجلس المؤقت، وهذا هو الدكتور نجوكو لن يبقى فى منصب أستاذ علم الأحياء، وهذا المحامى التجارى البارز، البروفيسور جور Gower (الذى سمى فيما بعد باسم السير ريموند)، يجرى تعليقه لاستمراره فى تأييد نجوكو، وهذا هو الدكتور بايوباكو يصيح فيه جمهور الحاضرين طالبين منه مغادرة المنصة عندما بدأ يلقى خطبه بمناسبة إعادة افتتاح الجامعة، وجرى إبعاد ستة من أعضاء هيئة التدريس المقيمين العاملين بعقود، من كلياتهم. وهذا هو نجوكو يغادر نيجيريا ليعمل أستاذًا زائرًا فى جامعة متشجن الحكومية. وهذا هو شيء آخر من أشياء الحرية البريطانية التقليدية يتلقى إنذارًا لطيفًا فى ذلك الوقت: جريدة الديلى تايمز التى تصدر فى نيجيريا، هذه الجريدة كانت تتمتع بالاجتماع العام السنوى رقم أربعين، وقد أعرب أبو بكر لذلك الاجتماع عن تطلعه إلى استمرار الجريدة فى المحافظة على آرائها المستقلة، بمعنى أن منشوراتها يجب أن تتحرى الحقيقة، والدقة والنزاهة - الحرية التى تمتعت بها الصحافة النيجيرية كانت حقًا من حقوق الإنسان الرئيسية التى كرمتها الحكومة الفيدرالية لكن، **"نحن ننتظر استمرار الجريدة فى تبادل مهمتها المقدسة مع الجمهور من خلال النزاهة والأمانة، وبدون تسوية للحقيقة، بالحذف أو التعمد".**

زار ليجوس بعد ذلك رئيس وزراء جامبيا السيد/ ديفيد جاوارا، الذى أُعْلن معه تطابق كبير فى الآراء فى الموضوعات التى ستجرى مناقشتها فى مؤتمر الكمنولث فى الشهر التالى. قال السيد/ جاوارا لأبى بكر إن بلاده ستصبح جمهورية فى شهر فبراير من العام ١٩٦٦ الميلادى. قام جوليوس نيريرى هو الآخر بزيارة لنيجيريا أثناء قدومه من تانزانيا متوجهًا إلى لندن. قام كل من جاوارا ونيريرى بزيارة الإقليم الشمالى، حيث جرى إدخال جاوارا، رئيس وزراء جامبيا، فى الإسلام بواسطة المستشار السياسى الرئيسى، الذى اسماه داود Dauda. أحس رائد مسيحى يدعى

نيزيوجو Nzeogwu، كان من بين المدعوين لحضور حفل الاستقبال فى مقر الرئاسة، بالضيق من خطاب رئيس الوزراء الذى ألقاه احتفالاً بهذه المناسبة.

سبق الجلسة غير العادية لمجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية، تكرار لبيان الرئيس آزكوى الذى مفاده أن رؤساء الدول، سيتحتم عليهم حضور الجلسة الكاملة المتنازع عليها والخاصة بأكرا Accra، كما سبق هذه الجلسة أيضًا مؤتمر صحفى أوضح فيه أبو بكر أنه على الرغم من أن الأعمال العامة لمنظمة الوحدة الإفريقية لم تتلق سوى ثلاثة وعشرين موافقة رسمية لحضور الجلسة، فإن ستًّا وعشرين دولة كانت موافقة على المجىء إلى ليجوس، أى أن هذا العدد يزيد مقعدين على النصاب المطلوب لانعقاد الجلسة غير العادية: **"أنتم عندما تبدأون مقاطعة الاجتماعات فأنتم تبدأون فى إثارة المتاعب... المنفيون فى نيجيريا يجرى تحذيرهم تحذيرًا واضحًا أنهم إذا ما اشتركوا فى السياسة المضادة لبلادهم، أو إذا ما بدأوا العمل بالسياسة النيجيرية، فذلك يعنى ترحيلهم على الفور من البلاد"**. أردف رئيس الوزراء أنه يبدو أن هناك اتصال وثيق بين هؤلاء المنفيين وأكرا والحكومة الغانية. وعندما ضغطوا على رئيس الوزراء من جديد فى مسألة أفكار نيكروما عن إنشاء حكومة اتحاد إفريقى قال: **"دعوه يواصل تقديمه للمقترح – وسوف تواصل الدول التخلص من ذلك المقترح"**.

تحدث الحاج السير أبو بكر إلى المندوبين فى ليجوس فى اليوم العاشر من شهر يونيو. قال أبو بكر إن الاجتماع لم يكن مخولاً سلطة تغيير مسار الاجتماع الكامل الذى تحدد من قبل رؤساء الدول، لكنه يجب أن يتنبه إلى ذلك ويوصى بما يرضى كل المعنيين. حث أبو بكر الوفود من تحول الاجتماع إلى محكمة جرى إنشاؤها لمحاكمة غانا، وإنما لتتعامل مع المسألة التى أمامها بصراحة، باعتبار ذلك وسيلة من وسائل تضميد الجراح التى يغلب عليها تفكيك منظمة الوحدة الإفريقية، التى تعد الحامى الوحيد، وأكبر ضمان وأمان لإفريقيا من الاستعمار، ومنظمة الوحدة الإفريقية بدون مبادئ ميثاقها الخاصة بعدم التدخل فى الشئون الداخلية، والمبادئ الخاصة باحترام

السيادة، ووحدة الأراضى، والمبادئ الخاصة بإدانة النشاط التخريبى بكل أشكاله، لن يكون لها معنى - وبدون هذه المبادئ لا يمكن أن تكون نيجيريا ممثلة فى هذا الاجتماع أو غيره من اجتماعات المنظمة. وفيما يتعلق بالمسألة الغانية، **"هذه مزاعم واتهامات خطيرة. لكنى أحسب بعد أن ننظر فى هذه المشكلات الحرجة والمحدودة، يجب أن نضع نصب أعيننا التأثير المركزى الطارد للمقاطعة على مستقبل منظمتنا"**. أكد الغانيون من جانبهم أنهم لا يؤوون أية معسكرات للمتمردين الذين يتآمرون على أية دولة من الدول الإفريقية، ورد عليهم متهموهم بأن طلبوا منهم إعادة كل الرعايا اللاجئين إلى غانا، رفضت غانا هذا الطلب لكنها عرضت طرد هؤلاء المواطنين من أكرا باعتبارهم خطيرين عند عقد الجلسة الكاملة، ووُجد أن ذلك كان أمرًا مقبولاً. وتقرر بعد ذلك أن يقوم كل من هيلاسلاسى وأبى بكر بحضور اجتماع فى أبدجان الذى سيواجه فيه نيكروما ومتهموه بعضهم بعضاً.

فى مثل هذه الواقعة يجرى إلغاء النزاع المفيد المحتمل الذى يكون من هذا القبيل، لكن اجتماع ليجوس انتهى بتفاهم مفاده أن الوفود كلها ستذهب إلى أكرا فى شهر أكتوبر، شريطة اقتناع لجنة الوساطة بأن "اللاجئين" المخربين جرى التعامل معهم بصورة واضحة ومحددة. كان هناك فيما وراء البحار اتفاق عام مفاده أن مبادأة أبى بكر إلى دعوة مجلس الوزراء إلى اجتماع عاجل من ناحية، وزعامته، من ناحية أخرى، فى كل من منظمة الوحدة الإفريقية والمنظمة العامة الإفريقية الملجاشية، كانت تحظى لذلك الزعيم القارى الكبير، بكثير من الثناء والامتداح. تمثل التشتت الأخير فى عقد "اجتماع ثان لباندونج" بمناسبة الذكرى السنوية العاشرة للمؤتمر الأفرو- آسيوى فى مدينة الجزائر فى نهاية شهر يونيه، فى أعقاب اجتماع جاكارتا الاحتفائى الخالص، على أن تسبق المؤتمر حلقة دراسية مبدئية تضم حوالى سبعين عضواً من أعضاء المؤتمر وكلهم من وزراء الخارجية. تمثلت مشكلة تلك الحلقة فى مسألة حضور روسيا أو عدم حضورها، وبذلك يمكن إحداث نوع من التوازن مع كل من الصين،

واحتمال حضور الملايو المعادية للشيوعية، يزاد على ذلك أن فيتنام الجنوبية المرتبكة هى الأخرى أوحت بكثير من التضارب، علق نوح بامالى بما يفيد أنه لم يكن هناك اعتراض على المشاركة الروسية فى تلك الحلقة، لكن الملايو بصفتها دولة من دول الكمنولث لا يمكن حرمانها من الاعتراف بها فى الجزائر.

بدأ بعض القادة، أو بالأحرى المسئولين النيجيريين يسترعون الانتباه بصفتهم شخصيات دولية، على الرغم من أنهم كانوا فى الظل إلى جوار رئيس الوزراء، هذا هو سميون Simeon أديب Adebo، الذى أُلقى بلوم التدهور الإدارى الذى حدث فى الإقليم الغربى، على رحيله عن رئاسة الخدمة المدنية الإقليمية فى الإقليم الغربى، وهو يعمل حاليًا سفيرًا لدى الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا هو جودفرى Godfrey كى أماشرى Amachree، ذلك الموظف الإدارى الشرقى الذى حصل على دورة تدريب أكسفورد ديفونشاير والذى تحول إلى القانون، أصبح الآن موظفًا لدى الأمم المتحدة بدرجة وكيل وزارة، ومسئولاً عن إدارة الوصاية والمناطق التى ليس فيها حكم ذاتى. أمارشى هذا كان له اهتمام خاص "بلجنة الأربعة والعشرين الخاصة"، التى يمكن أن يطلق عليها اسم أفضل اللجان الخاصة بالموقف بتنفيذ الإعلان الخاص بمنح الاستقلال للدول والشعوب المستعمرة. هذه اللجنة كانت تقوم بصفة مستمرة بزيارة كل من شرق إفريقيا ووسطها، وقد أدى التقرير الصادر عنها إلى وصف السلوك البرتغالى، وسلوك جنوب إفريقيا، وكذلك سلوك روديسيا الجنوبية بأنه "شىء لا يطاق". هذه اللجنة أيضًا، هى التى سجلت مساندة خمسة وثلاثين دولة من الدول الإفريقية الأعضاء فى الأمم المتحدة، طالبت مجلس الأمن وحثته على أن يطلب من بريطانيا اتخاذ الإجراء اللازم لوقف إعلان روديسيا الجنوبية الاستقلال من جانب واحد، مثلما راحت الجبهة الروديسية تهدد، "باتخاذ كل الوسائل الممكنة". لإعلان ذلك الاستقلال بعد الانتخابات التى كانت على الأبواب. وقد أُجيز ذلك القرار بنسبة ٧ - صفر.

اشتملت الاهتمامات الأجنبية الأخرى خلال فصل الصيف على اتهام بورقيبه، الرئيس التونسى، فى مطلع شهر مايو، للرئيس المصرى عبد الناصر بأنه يحاول أن يكون دكتاتوراً فى العالم العربى، وصول قوات المظلات الأمريكية إلى فيتنام الجنوبية، قطع كمبوديا لعلاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، التى ساندت اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية فى مطالبته ببقاء كمبوديا دولة محايدة، حل مجلس القوات المسلحة فى فيتنام الجنوبية، إطلاق روسيا للمركبة لونك Lunik غير المأهولة بالبشر، إلى القمر، انضمام جمهورية الكنغو الديموقراطية إلى المنظمة العامة الإفريقية الملجاشية، وبذلك يصل عدد أعضاء هذه المنظمة إلى خمسة عشر عضواً، حل المجلس الثورى فى زنزبار لصالح الحزب الأفرو - شيرازى الذى لم يوافق على الرئيس نيريرى، إفراج كينياتا عن حمولة إحدى عشرة سيارة نقل محملة بالأسلحة الصينية، ألقى القبض عليها أثناء مرورها من تانزانيا إلى أوغنده، بعد الاعتذار المقدم من ملتون أبوتى obote، عودة الملاحين الجويين الأمريكيين سالمين من رحلة دوران حول الأرض لمدة ٦٢ دورة خلال أربعة أيام، إنشاء حق الخصوصية الدستورى فى الولايات المتحدة الأمريكية باعتباره نتيجة غير مباشرة لحكم المحكمة العليا بعدم قانونية القانون الخاص بوسائل تحديد النسل، إعلان الملك الحسن الثانى حالة الطوارئ فى المغرب، تمديد عمل قوات الطوارئ الدولية فى قبرص، لكن لمدة ستة أشهر فى هذه المرة، وقف تانزانيا لعدد كبير من الواردات التى تأتى من كينيا، وأوغنده، الأمر الذى أنهى المشاركات المالية والمصرفية بين تانزانيا وهذه الدول، مما سرَّع تفكيك منظمة الخدمات الإفريقية المشتركة فى شرق إفريقيا، التى كان النيجيريون ينظرون إليها فى يوم من الأيام على أنها نموذج من النماذج التى يجب أن تحتذى، قطع فيتنام الجنوبية لعلاقاتها الديبلوماسية وليس العلاقات القنصلية مع فرنسا، توقيع وزراء خارجية الجماعة الأوروبية على اتفاق إلغاء التعريفة الصناعية بحلول العام ١٩٦٧ الميلادى، مصادفة انتهاء المفاوضات النيجيرية مع الجماعة الأوروبية فى بروكسل، والتى سُهِّلت، عكس ما كان متوقعًا، بإسقاط فرنسا اعتراضاتها، لكن هذه المفاوضات خيمت عليها فى آخر

لحظة سحب الرفض عندما قام ديجول بإخراج فرنسا من مجلس الوزراء، الأمر الذى أدى إلى تأجيل سريان الاتفاق على توقيع واحد، غاب عن الاتفاقية بسبب مسحة من الشك، استياء نيجيريا من بريطانيا التى قدمت للجماعة الأوروبية أفضليات مقابل امتيازات فى التعريفة، إنشاء مشروع جديد من قبل منظمة التربية والثقافة العلوم التابعة للأمم المتحدة، لتوحيد تدوين اللغات الإفريقية قبل حدوث المزيد من الفساد للغات المنطوقة التقليدية، عن طريق الخلاسيات أو إن شئت فقل المولَّدين، أو قبل أن تكتسحها اللغات الدولية، على أن يكون البدء بلغة "البيول" peul (لغة الفلفولد، أو لغة الفولانيين)، تعيين أنتونى جرينود Greenwood، وزير المستعمرات البريطانى فى حزب العمال، لجنة برئاسة قاضى قضاة نيجيريا الأسبق السير ستافورد فوستر ـ ستون Sutton، لاستشارة راغى كنيسة وستمنستر أبى Westminster abbey، لتحديد التكاليف، وتقديم طلب بالمبالغ المطلوبة لإقامة لوحة شرف لأعضاء الخدمات البريطانية الاستعمارية فى الماضى (والحاضر)، والتى ستقوم صاحبة الجلالة بإزالة الستار عنها، قيام السيدة بربارا كاستل، زميلة أنطونى جرينود، بتولى أول وزارة جديدة للتنمية فيما وراء البحار، ووعدها بتقديم المزيد من المساعدات الممولة شعبياً فى الوقت الذى كانت الخزانة البريطانية تضع قيوداً على الاستثمارات الخاصة فى الخارج.

جاء الشهران التاليان عامرين بأحداث كثيرة. فى مطلع شهر يوليو غادرت القوات الأمريكية جمهورية الدومينكان، اتهمت الكنغو برازافيل فولبرت يولو youlou بمحاولة القيام بانقلاب، حدوث اشتباكات فى جنوب السودان، استقالة موريتانيا من المنظمة العامة الإفريقية الملجاشية، مع بقائها عضواً فى الخطوط الإفريقية، واتحاد غرب إفريقيا الجمركى ولجنة تنمية نهر السنغال، فوز مصر بدورة الألعاب الإفريقية الأولى فى برازافيل، إصدار البرلمان البريطانى قراراً بالإجماع يُحَرم التفرقة العنصرية فى الأماكن العامة، إدخال غانا للنظام العشرى فى عملتها، إعلان الدكتور باندا أن ملاوى ستصبح جمهورية من جمهوريات الكمنولث فى شهر يوليو من العام ١٩٦٦، إلغاء

قبرص لكشوف الاقتراع اليونانية والتركية، الأمر الذى أدى إلى طرد نائب الرئيس التركى بعد إعلان الاستقلال، وتقدمت كل من بريطانيا وتركيا بشكوى ضد مكاريوس إلى الأمم المتحدة، توقيع معاهدة استقلال جزر المالديف، استقالة آليك دوجلاس ـ هوم من زعامة المعارضة البريطانية، وخلفه فى منصبه إدوارد هيث الأصغر منه سنًا، الكشف عن صور كوكب المريخ التى التقطتها مركبة الفضاء الأمريكية مارنر ٤ غير المأهولة بالبشر، انهيار المحادثات الخاصة بمستقبل عدن واتحاد جنوب الجزيرة العربية، رفض الولايات المتحدة الأمريكية لتعليق قصف هانوى بالقنابل أثناء زيارة الدكتور نيكروما، استقلال سنغافوره عن ماليزيا كدولة مستقلة بعد المحادثات التى جرت بين لى كوان يو وتنكو عبد الرحمن، واحتفاظ بريطانيا بحق استعمال قاعدتها الدفاعية، قيام المظاهرات العرقية فى لوس أنجلوس، سحب المسئولين الأمريكيين من برازافيل بسبب سوء المعاملة، كشف مؤامرة دبرها الإخوان المسلمون ضد جمال عبد الناصر، اتحاد الجمهوريات السوفيتية يكشف عن الصور الملتقطة للجانب البعيد من القمر، تولى الرئيس نيكروما السيطرة المباشرة على الجيش الغانى بعد شيوع بعض الشائعات عن قيام الجنرالات بالتمرد، قيام ملاح جوى أمريكى آخر بالدوران حول الأرض ١٢٠ مرة خلال ثمانية أيام، اعتراف الصين رسميًا بسوما يلوت بدلاً من جبنى Gbenye باعتباره الزعيم الكنغولى "الشرعى" المتمرد فى المجلس الأعلى للثورة الذى اتخذ من القاهرة مقامًا له، قيام القوات الهندية بغزو كشمير التى تحتلها باكستان، وتوسيع عضوية مجلس الأمن من اثنى عشر عضوًا إلى خمسة عشر عضوًا، وتوسيع المجلس الاجتماعى والاقتصادى من ثمانية عشر عضوًا إلى سبعة وعشرين عضوًا، حدوث هدوء شكلى بانتهاء شهر أغسطس، بين العصابات الإفريقية المتمركزة على أطراف تانزانيا، والكنغو، والسنغال، والمناطق البرتغالية الجنوبية، لكن السلام كان لا يزال بعيد المنال فى السودان، وفى بوروندى والحدود الصومالية – الأثيوبية.

أثبتت الزيارة التى قام بها أبو بكر إلى لندن أنها كانت نجاحًا شخصيًا للرجل نفسه. فقد وصل أبو بكر إلى مطار هيثرو بصحبة جوليوس نيريرى فى اليوم الخامس عشر من شهر يونيو، وقال للصحفيين: إن روديسيا (التى حقق فيها حزب الجبهة الروديسية الذى يتزعمه إيان سميث، نجاحًا كاسحًا على سلسلة الأحزاب المحدودة فى اليوم السابع من شهر مايو) ستكون واحدة من المسائل بالغة الأهمية فى مؤتمر رؤساء الوزراء، كانت تلك المسألة قد جرت مناقشتها مناقشة مستفيضة سلفًا بين الأعضاء الأفارقة (وبخاصة فى ضوء احتجاجات كل من نكومو وسيثول Sithole على "الانفصال"، وعلى المزاعم التى تقول: إن هناك حوالى ١٠٠٠٠ عضو من أعضاء حزب الاتحاد الوطنى الإفريقى الزمبابوى محتجزون). قال: ليست هناك معاهدة، تحدد مدى ضغط الحكومة البريطانية، التى تدخل روديسيا فى نطاق مسئوليتها الدستورية، لفرض حكم الأغلبية باستعمال القوة الجبرية: **"ما جدوى أن تكون هناك معاهدة [من هذا القبيل]، ونحن قادمون إلى هذا المؤتمر؟ يجب أن تكون عقولنا مفتوحة"**. تبين أبو بكر تمامًا أن كل من يتفاوض مع السيد/ سميث لا يمكن أن يدخل معه فى مفاوضات ويداه مغلولتان تمامًا. وعندما جرت مضايقته ببعض التصريحات والبيانات الجدلية عن مسألة الهجرة إلى بريطانيا (تمثل آخر المتقرحات فى قصر تصاريح العمل السنوية للنازحين من الكمنولث بحوالى ٨٥٠٠ مهاجر)، وهنا نجد أبا بكر راضيًا عن **"نحن كلنا نفرض قيودًا على بلداتنا"**.

اكتشف هارولد ولسون أن أعضاء الكمنولث الموجودين حول المائدة المستديرة عنيدون فى نقدهم، كان السؤال الذى جرى طرحه ولأول مرة وبطريقة غير مباشرة هو ما إذا كان رئيس الوزراء البريطانى، على الرغم من كونه مضيفًا، يحتاج دومًا أن يكون رئيسًا للمؤتمر. تولى الدكتور نيكروما قيادة ذلك الهجوم، كان نيكروما قد حلف لتوه يمين المرشح الوحيد لحزب غانا الواحد، لفترة الرئاسة الثانية التى تستمر مدة خمس سنوات، التى قال عنها إنها "نظرية المركزية الديموقراطية"، وألغى مرتبات

أعضاء البرلمان، وأوفد وزراءه لحضور دورات تدريبية أيدولوجية. كان مصراً على أن روديسيا التى تفتقر إلى نظرية "صوت واحد للرجل الواحد" ينبغى ألا تكون عضواً فى الكمنولث أو منظمة الأمم المتحدة، وكانت خطته مدعومة من الأفارقة جميعهم اللهم باستثناء إفريقى واحد. كان جو Joe مورومبى Murumbi من كينيا قد أبلغ ولسون Wil-son، أن من الأفضل خسارة الأغلبية البرلمانية على أن يخسر الإنسان مبادئه – أما ألبرت مرجاى الذى كان على وشك الحصول على لقب فارس، فقد راح يهاجم وزير علاقات الكمنولث آرثر بتوملى Bottomley فى تعليقه الذى مفاده الأفارقة الروديسيون حققوا تقدماً أفضل مما سبق، وراح الرجل مثل ملتون أبوتى يطالب بإطلاق سراح الروديسيين المحتجزين. انضمت كل من كينيا وتانزانيا إلى العرض الزامبى الذى تقدم به كينيث كاوندا عن إقامة قواعد عسكرية بريطانية على أرضيهم لتستعملها فى الهجوم على روديسيا. راح الحاج السير أبو بكر يساند نيكروما بشكل عام، لكنه تكلم أيضاً كلاماً مخلصاً عن الخطر الذى يمكن أن تتعرض له إفريقيا إذا ما جرى "**خطب ود**" روديسيا "**كى تنضم إلى المعسكر الجنوب إفريقى البرتغالى**". وطالب أبو بكر بشدة التوصل إلى نتيجة نهائية تمكن الشعوب الأوروبية والإفريقية فى روديسيا من تعلم العيش سوياً، والتعايش مع بعضها البعض، واتفق أبو بكر مع كل من مرجارى وملتون أبوتى. "**على الرغم من وقوع المسئولية الأولية على بريطانيا، فإن المسجونين السياسيين يتعين إطلاق سراحهم، وأن إطلاق السراح هذا سوف يمهد الطريق لمؤتمر دستورى، وما ينبغى عمله يتعين عمله على وجه السرعة**". وطالب الرجل بعد ذلك بتحديد تاريخ معين وتوقيت معين.

أيد السواد الأعظم من دول الكاريبى والدول الآسيوية ما قاله أبو بكر. تمثل الاستثناء الوحيد من كل هذه الموافقات فى الدكتور هستنجز باندا، الذى كتب عنه الدكتور باندا فيما بعد، "هذا هو الإفريقى الوحيد الذى سمعته يستخدم تعبير [أبناء جلدتنا] استخداماً غير مهين".

هذه المحاورة، فى شكلها الشعبى، وصفتها جريدة التايمز بأنها "لحظة صدق"، لكن البيان الختامى جاء على شكل فقرة ضعيفة عن زعماء الكمنولث ويعرب عن تمنى الوصول إلى طريقة تقود روديسيا إلى الاستقلال فى أقرب وقت ممكن وعلى أساس مقبول من الشعب الروديسى ككل.

كان ولسون يعرف أن استخدام القوات البريطانية ضد الروديسيين البيض، سواء عدوهم أم لم يعدوهم "أهلون"، يمكن أن يثير مشكلات أساسية على المستوى الداخلى، فى وجه حكومة أغلبية ضعيفة، ولذلك آثر ولسون تحويل انتباهه صوب مشكلة من مشكلات الاهتمام العالمى، التى يمكن أن يحقق التدخل البريطانى فيها مكافآت سياسية، ومع ذلك لقى ولسون تأييداً كبيراً لهذا الهدف البسيط، والذى تمثل فى إرسال بعثة سلام من الكمنولث إلى فيتنام. أصر الحاج السير أبو بكر على أن هذه بعثة يجب أن تعمل من منطلق التعاون الوثيق مع الأمم المتحدة قدر المستطاع: "**الموقف شديد الخطورة ويشكل تحدياً لمدارك العالم. التعبيرات التى من قبيل حسن النية والآمال الطيبة ليست كافية. يجب أن نتصرف الآن دون تعويل على تكلفة نفوذنا الشخصى والوطنى**". كانت أمام ولسون مشكلتان: المشكلة الأولى تمثلت فى السبب الذى يجعل رئيس الوزراء البريطانى، وبصفته رئيساً لهذا المؤتمر، يسلم بأنه هو الذى يتعين أن يترأس تلك البعثة، المشكلة الثانية، إن قدر لبعثة الكمنولث أن يكون لها تأثير فى بلدان ليس لإنجلترا فيها موقع أو سيطرة، فلماذا تعد مسألة إرسال بعثة الكمنولث أمراً مسلماً إلى بلد المفروض أن تكون لبريطانيا عليه سلطة مطلقة؟ كانت هناك أيضاً بعض التحفظات الأخرى. كان نيريرى بصفته عميلاً لا يود "وضع الصين فى قفص الاتهام"، ولم يخطر ببال الرجل أن يبدو الكمنولث فى موقف المؤيد لولسون أو الولايات المتحدة الأمريكية، كان نيكروما يود من أستراليا سحب كتيبتها وأن تلغى نيوزيلنده الخطط التى وضعتها لإرسال قوات إلى فيتنام، وكان يود من أمريكا وقف عمليات القصف كلها. على كل حال كان كل من نيكروما وأبى بكر يحبذان بطريقة حماسية تلك

المبادأة، وفى النهاية طلب المؤتمر إلى رؤساء كل من بريطانيا، وسيلان، وغانا، ونيجيريا وترينداد. وتوباجو جميعًا التعاون على تسوية المشكلة الفيتنامية. وافق أبو بكر على زعامة (تروس) ولسون للبعثة، شريطة أن يكون ذلك محل موافقة الأطراف الأخرى التى سيلتقون بها فى إطار الجهودالمبذولة.

سرعان ما اتضح أن موسكو، وبكين، وهانوى لم يكن لديها أية معلومات أو علم بذلك المقترح. وفى منتصف واحد من الاجتماعات أحضر القائم بالأعمال الصينى رسالة من شوئن لاى إلى الوفد الباكستانى وبعض الوفود الأخرى، تطلب منهم عرقلة تلك البعثة المقترحة، وفى غضون أيام قلائل بدأت كل من سيلان، وغانا، وترينداد تفقد اهتمامها بترشيحها لتكون أعضاء فى تلك البعثة. ومع ذلك راح كل من ولسون وأبى بكر، ونيكروما واريك وليامز رئيس ترينداد يناقشون مهام هذه البعثة، حتى مع اعترافهم بأنهم قد لا يستطيعون الذهاب إلى أبعد من التقاء السكرتير العام للأمم المتحدة فى جنيف ثم يلتقون جونسون بعد ذلك فى واشنطون. قالت جريدة غرب إفريقيا "ماتشت"(*) Matchet مستخفة بأبى بكر، إنه قد يجد نفسه فى نهاية المطاف، بمثابة العضو الوحيد الذى خلفته البعثة كيما يكون رفيقًا لولسون Wilson، لكنه رد على الجريدة فى هدوء قائلاً: **"ومع ذلك ينبغى علىَّ القيام بهذه البعثة"**. كان الرئيس جونسون قد أصدر أمرًا لقائد قوات الولايات المتحدة بأن تتخذ قواته وضع المعركة الدفاعية فى مواجهتها للعصابات، إذا ما طلبت حكومة فيتنام الجنوبية العون والمساعدة، لكنه واصل الضغط على الأمم المتحدة، بمناسبة عيد مولدها العشرين، وعلى مجلس الأمن ببذل جهود سخية من أجل السلام فى فيتنام، وفى نهاية المطاف ارتدت المبادأة البريطانية عن طريق الصواب.

(*) معنى هذا الاسم، الفأس التى تستخدم فى الدفاع عن النفس من ناحية وسلاح شخصى من ناحية أخرى، وهى شهيرة فى نيجيريا بصفة خاصة. (المترجم)

كان مؤتمر لندن هو الآخر قد أعرب عن قلقه من القلاقل الدائرة فى كل من الملايو وقبرص، كما ناقش أيضًا المساعدة الاقتصادية (أعربت بريطانيا عن استعدادها لمنح قروض بلا فوائد على هدى من الخطوط التى تسير عليها القروض الممنوحة من رابطة التنمية الدولية والهجرة التى تعد فرعًا من أفرع البنك الدولى، تمثل قرار المؤتمر الرئيسى فى إنشاء سكرتارية دائمة للكمنولث، تحت رئاسة سكرتير عام كندى، هو آرنولد سميث. وهنا سارع وزراء خارجية نيجيريا إلى الموافقة مع روبرت منزيس سترالى على أن تلك السكرتارية ينبغى ألا تحاول مطلقًا أن تكون هيئة تنفيذية، لأن ذلك يمكن أن يعنى نهاية السكرتارية العامة أو الكمنولث. كان آرنولد سميث باحثًا فى جزيرة رودس، وسفيرًا لدى موسكو أثناء الأزمة الكوبية، ثم محاضرًا فى السياسة والاقتصاد. وقد سبق لآرنولد سميث كتابة مسودة "إعلان الكمنولث عن المساواة العرقية" الذى صدر عن مؤتمر لندن، وعلق على ذلك بقوله "أعتقد أن تقسيم الإنسانية بين الجنس الأبيض والأعراق الأخرى، والذى يتصادف بصورة ضيقة جداً مع التقسيم إلى شعوب صناعية غنية وشعوب متخلفة فقيرة، هو أصعب وربما أخطر المشكلات فى العالم".

تحدث أبو بكر فى عدد من المحافل العامة، بما فى ذلك الخطاب الاحتفائى الكامل الذى ألقاه فى جيلدهول Guildhall (التى لاحظ فيها أحد البرلمانيين النيجيريين بشىء من السرور أن السيد/ ولسون كان يتحدث من ورقة عليها ملاحظات، وتكلم نيكروما وآخرون كلامًا غير مفهوم، حيث تكلم أبو بكر كلامًا واضحًا، وبطلاقة وبدون أية ملاحظات على الإطلاق). قال أبو بكر فى حفل العشاء الذى أقامته الرابطة البريطانية - النيجيرية، إنه حتى مع فشل المحاولة الأولى فى تشكيل بعثة سلام فيتنامية، فإن شيئًا لابد من القيام به حتى يبنى عليه الذين سيجيئون بعد ذلك. قال أبو بكر أيضًا فى اجتماع مشترك جمع كلاً من المكتب التنفيذى للاتحاد النيجيرى لكل من بريطانيا وأيرلنده، وأفرع حزب جماعة العمل فى لندن، ورابطة ليجوس، إنه يفكر جديًا فى

إصدار تشريع ضد القبلية، تحدث أبو بكر أيضًا وبصراحة عن أولوو، ووعد بتقديم مساعدة معنوية ونقدية لمركز التمريض الذى رسم الاتحاد خطته، وتعهد بأن يناقش فى مجلس الوزراء مسألة الحاجة إلى تعيين ملحق ثقافى فى لندن لدى اللجنة العالية فى لندن. وفى الوقت الذى كان يفند فيه شائعة مفادها أن الحكومة الفيدرالية كانت تفكر فى إلغاء مجلس مدينة ليجوس قال: "**هناك أناس يظنون أن ليجوس ملكًا للجميع. آخرون يظنون أن ليجوس ملك لليوروباويين. وأنا أقف على بعد مسافة واحدة من هذين الرأيين. وأنا إذا ما جعلت واحدًا من الأجبو وزيرًا لشئون ليجوس، ستحدث بعض المتاعب، وإذا ما وضعت رجلاً من اليوروبا، سوف يتهمه الناس بالمحسوبية. ومن ثم فأنا أفضل أن يكون ذلك الوزير من الهوسا. هناك خطط يجرى وضعها فى ليجوس عما يجب عمله فى ولاية ليجوس، لكنى لست فى حل حتى أقول لكم ذلك الذى يدور فى ذهنى**".

أحدث الرجل أيضًا انطباعًا لدى الغرف التجارية التابعة لاتحاد الكمنولث عندما كان يقرأ فقرة من مخطوطة إعلانية عن "بلد خالٍ تمامًا من المخاطر السياسية" - رفع الرجل عينيه وأضاف هامسًا "**يا للدهشة، لا! أنا لا أظن أن هناك مكانًا خاليًا تمامًا من المخاطر السياسية!**" لكن الرجل كان يصر أيضًا على أن التجارة والاستثمار الأجنبى أهم كثيرًا من المساعدات، وكشف الرجل أيضًا عن قلقه من النتائج التى يمكن أن تترتب على ضريبة الاتحاد البريطانية الجديدة. حضر أبو بكر قبل سفره عائدًا إلى بلاده حفلاً أقيم فى حديقة مارلبورو هاوس، وحضر آخر اجتماع له مع الملكة وآخر اجتماع له مع اللورد بويد Boyd تحدث مع صديقة القديم وهو حزين عن العادة المتنامية بين رؤساء وفود الكمنولث بأن يعقدوا مؤتمراتهم الصحفية الفردية الخاصة بهم، ويقومون فيها بإعطاء المراسلين تفسيراتهم الحزبية الخاصة للإجراءات السرية: "**إذا ما استمر ذلك، فسوف تضيع قيمة هذه المحادثات**". وأحرجته جريدة الديلى ميرور (وأضعفت وضعه الداخلى) عندما وصفته بأنه أعظم حليف لبريطانيا.

عندما عاد الحاج السير أبو بكر إلى وطنه أعلن فى شجاعة وتحت المطر فى إيكيجا Ikeja أن المؤتمر أصاب "**نجاحًا كبيرًا جدًا**". انضم أدجبنرو نائب الرئيس أولوو إلى الجماهير المرَحبة والصحف المهلِّلة تحية للدور الذى لعبه الرجل فى ذلك المؤتمر، وأكد أبو بكر للصحافة أنه يود السلام والسعادة للروديسيين كلهم، لكن بقيت هناك بعض العوائق التى يتعين إزالتها قبل أن يتحقق حكم الأغلبية. أبقى أبو بكر على تفاؤله بشأن بعثة سلام الكمنولث إلى فيتنام، على الرغم من النقد الخارجى لتشكيلها وأهدافها غير المناسبة، وأصر الرجل على العودة إلى الانضمام إلى الأعضاء الآخرين فى لندن بعدة فترة قصيرة. وعندما سُئل أبو بكر عن المؤتمر الأفرو - آسيوى فى الجزائر، قال: إن الموقف كان مرتبكًا هناك، وأن البلد لا يزال بحاجة إلى المزيد من الوقت كى يستقر، حضور نيجيريا، أو بالأحرى حضور منظمة الوحدة الإفريقية يمكن أن يكون إخلالاً بميثاق منظمة الوحدة الإفريقية الذى يحرم أى تغيير فى الحكم عن طريق العنف أو الوسائل العسكرية، يزاد على ذلك، أن الذهاب إلى الجزائر لحضور المؤتمر يمكن أن يشجع على ارتكاب المزيد من الأحداث التى من قبيل الإطاحة السلمية بالرئيس الجزائرى أحمد بن بلا، عن طريق نائبه بومدين، والذى جرى الإعلان عنه منذ وقت غير بعيد. والذى حدث، وعلى الرغم من السعى الحثيث من جانب الجزائريين والصينيين، فإن ثلاث عشرة دولة إفريقية - أسيوية أعضاء فى الكمنولث بادرت على الفور باتخاذ قرار بعدم حضور المؤتمر، الذى جرى التخلى عنه فى حينه. هذا يعنى أن الانقلاب الجزائرى هو والتنافس الروسى - الصينى كانا على أشدهما.

راح النيجيريون المشغولون بالسياسة، طوال أشهر الصيف العامرة بالمطر والحرارة، يفكرون فى الانتخابات الإقليمية القادمة فى الإقليم الغربى. كانت المحاكم العليا، فى ذلك الوقت، قد رفضت جميع الالتماسات المقدمة بخصوص القوائم الانتخابية الفيدرالية. ومع ذلك، تواصلت الحياة المعتادة طوال فترة الهدنة غير المقنعة بين التحالفين الكبيرين فى البلاد. كان كبير أساقفة الكاثوليك الروم قد وُلد فى ليجوس

لكن أصوله كانت من بلدة كيتا Kita فى الأراضى الفرنسية. وقد شكل ذلك بعض المشكلات الخاصة بجواز السفر، الأمر الذى عرضه أصدقاء الجانبين على قاضى القضاة الذى يمكن أن يكون ساعيًا بالخير بين الجانبين قدر المستطاع. ذهب السير أديتو كنبو Adetokunbo إلى أبى بكر، الذى قال إن هذا أمر بسيط، وأنه سوف يذهب إلى وزير الداخلية ويعرض عليه الأمر. قال أدمولا Ademola من باب الحياء، إنه لا يعرف شاجارى معرفة جيدة (الذى لم يكن فى ذلك الوقت قد نقل إلى حقيبة الأشغال)، لكن قيل له: **"سوف أخبره بأن يلقاك، انتبه إلى كلامى، هذا الرجل سيترك بصمته على هذا البلد"**. تعين على أبى بكر بعد ذلك هو والمحامى العام الدكتور إلياس القيام بزيارة إلى بلدة ميوبى أو أدماوا فى طائرة خفيفة تتسع لمسافرين، ويبدو أن الطيار كان يتعامل مع هذا الاضطراب الموسمى بشىء من الخفة والطيران البهلوانى. وقف رئيس الوزراء وراح يطلب منه بصوت عال الانضباط، **"لا تنس أنك تحمل حمولة قيمة، يا صديقى، إضافة إلى أنك لست فى استعراض جوى!"** وأسفر ذلك عن شىء من الثبات والاستقرار.

تواصل إحساس جامعة ليجوس بالتعاسة وعدم الرضا. وعندما يئس رئيس الوزراء من عجز المجلس المؤقت هو ومجلس الشيوخ فى التوصل إلى اتفاق دائم، أمر بتشكيل لجنة مصالحة برئاسة ألكسندر من إيبادان للبت فى هذا النزاع، أدانت هذه اللجنة كل أولئك الذين أدى موقفهم المتصلب إلى تصعيب الوصول إلى حل سلمى ترغب فيه الأطراف كلها. ورداً على اقتراح اللجنة بتعيين "مفتش" للتعامل مع هذه المسألة بطريقة شخصية وطبقًا للتقاليد الإنجليزية، اعترف أبو بكر أنه هو شخصيًا جرت تسميته كيما يكون "مفتشًا"، لكن هذا التعديل التشريعى المطلوب يتحتم تمريره من خلال البرلمان. خطر ببال الرجل نموذج أفضل يقوم على جمع كل النيجيريين الإنجليكانيين فى الجنوب، وكل النيجيريين المنتمين إلى الكنيسة المشيخيَّة، وأتباع طائفة جون ويزلى البروتسنتية، فى كنيسة نيجيرية موحدة تحت اسم المعتدل. كشف

الرجل أيضاً عن أفقه الواسع في المقدمة التي كتبها لكتاب لم يكن متعاطفاً معه تماماً، ألفه فاني كابود نائب رئيس وزراء الإقليم الغربي بعنوان "نظرية السود" Blackism:

"... **جاءت أفكار كثيرين من الوطنيين الأفارقة ومشاعرهم بدافع من الخبرة التي اكتسبها هؤلاء الأفارقة أثناء الحكم الاستعماري، وأنا أرى أن من المهم جداً أن الأجيال الحاضرة والأجيال المستقبلية من السياسيين الأفارقة يجب أن تكفل لهم الحرية الكاملة في التعبير عن آرائهم وأفكارهم تعبيراً حراً وبلا خوف**". لم يؤد ذلك كبت الخطر المفروض على السياسيين الذين تجاوزوا حدود الجدل المقنع - وصفت حكومة أبي بكر المعارضة المتعبة التي كانت في جمهورية النيجر في ذلك الوقت بأنها "حزب الحرية" Parti Sawaba.

انصرف الانتباه بصورة مؤقتة إلى الشئون الاقتصادية، وفي شهر أغسطس دعا رئيس الوزراء مجلس الاقتصاد الوطني إلى الانعقاد في إينوجو وللمرة الأولى ولمدة عام. كان الهدف من ذلك الاجتماع يتمثل في دراسة التقرير المقدم من بنز Binns المفوض الفيدرالي الأسترالي الوحيد (الذي أتينا على ذكره في الفصل الأربعين والذي جرى تعيينه في شهر يونيو من العام ١٩٦٤ الميلادي) حول منظومة تقسيم الإيرادات الفيدرالية بعد تحصيلها. وافق مجلس الاقتصاد الوطني هو والحكومات الخمسة على توصيات بنز بشكل عام، وذلك فيما يختص بتوفير المزيد من العدالة دونما إخلال كبير ببنية الإيرادات التي استعملها الاتحاد في تحصيل الإيرادات الوطنية وإعادة توزيع هذه الإيرادات على الأقاليم في ضوء الاحتياجات السكانية لتلك الأقاليم - وفي ضوء مساهمات الأقاليم في هذه الإيرادات. أصبح المفوض على قناعة من أن هناك ما يبرر إعطاء الإقليم الشمالي المزيد من المزايا، حتى تتاح للإقليم الشمالي فرصة التساوي مع الأقاليم الأخرى، وإعطاء الشرق أقل قدر من المزايا، نظراً لأن أهدافه المرتقبة العاجلة تنبئ بالخير، كان من رأي المفوض أيضاً زيادة نصيب كل من الإقليم الغربي وإقليم الغرب الأوسط زيادة نسبية إلى حد ما، على أن يؤخذ في الاعتبار أن نفقات

الحكومتين التجارية العامة أعلى من النفقات التجارية العامة فى الإقليم الغربى الموحَّد غير المقسم. هذا لا يعنى أن كل من قبلوا هذه التوصيات فهموا ذلك الذى كتبه هذا الرجل.

ولما كان الزعماء الماليون قد وافقوا على أن النظرة العامة طويلة الأجل كانت مشجعة فى سائر أنحاء البلاد، فقد أسفر ذلك عن عدم وجود أية عقبات، بغض النظر عن الصعوبات، أمام تعديل بعض مواد الدستور. جرى أيضًا تعزيز "الأموال التى يجرى توزيعها" التى تُحَصَّل بنسبة ٣٠٪ من رسوم الواردات العامة (باستثناء زيوت السيارات، والديزل، والتبغ، والنبيذ، والمشروبات الروحية)، ومن تنويع رسوم التعدين والعوائد التى تأتى من الأقاليم، على أن يجرى رفع الأربعين جزءًا التى تأتى من الإقليم الشمالى إلى اثنين وأربعين جزءًا، وتخفيض الواحد وثلاثين جزءًا التى تأتى من الشرقى إلى ثلاثين جزءًا، وبرفع الثمانية عشر جزءًا التى تأتى من الغرب إلى عشرين جزءًا، ورفع الأجزاء الستة التى تأتى من إقليم الغرب الأوسط إلى ثمانية أجزاء. كانت هناك أيضًا مدفوعات منقولة أساسية (٥٠٪ على واردات التبغ وضرائبه، وضرائب واردات البنزين والديزل، وضرائب الصادرات على المنتجات، والجلود الطبيعية والمدبوغة، ومن رسوم التعدين، والعوائد القادمة من الأقاليم، كل هذه الأمور أعيد توزيعها فى ضوء نسبة الاستهلاك فى كل إقليم من الأقاليم) وكانت هناك أيضًا مدفوعات غير منقولة (بنسبة حوالى ٣٠٪ من الإيرادات الفيدرالية أعيد توزيعها بنسبة ضرائب الصادرات نفسها على كل من الحيوانات والطيور، والزواحف، وضرائب المياه المعدنية والكبريت، و - اعتبارًا من العام ١٩٦٤ - على ضرائب رسم الإنتاج الجديدة). وعندما يبدأ تشغيل معمل التكرير فى بورت هاركورت فإن رسوم الإنتاج المحصلة على زيوت المحركات، وعلى الديزل، سيجرى تقسيمها بطريقة التبغ نفسها، أى طبقًا لاستهلاك كل إقليم من الأقاليم، وسيجرى زيادة نسبة الثلاثين فى المئة التى تُحَصَّل على رسوم استخراج الزيت هى والعوائد الخاصة بإعادة التوزيع إلى ٣٥٪. جاءت

موافقة أُكبارا هو والشرقيين على هذه الحزمة موحية من الناحية الشكلية بتأكيد قوى مفاده أن المنغصات الدستورية ربما تكون قد بدأت فى الانحسار.

جاءت هذه المسألة بمثابة خلفية مناسبة للإعلان عن اتفاق عام على إنشاء مجموعة اتفاق مالى مكونة من الحكومة الفيدرالية، وثلاثة مؤسسات ألمانية، ومؤسستين أمريكتين، وشركة واحدة بريطانية، لبناء مجمع الحديد والصلب المتكامل الذى يتكلف ٣٠ + مليون جنيه إنجليزى الذى سبق الإشارة إليه ومناقشته فى الاجتماع الأخير الذى عقده مجلس الاقتصاد الوطنى، كما وُقع اتفاق آخر يقضى بقيام شركة ألمانية، بإقامة جسر ثان يربط ليجوس بالأرض الأم، وذلك أيضًا عن طريق قرض مقدم من الحكومة الألمانية الغربية. وراح جاجا واشوكو يؤكد على الوطنية الاقتصادية، وبخاصة أن الرجل جأر بالشكوى من أن الخطوط الجوية البريطانية لا تزال تهيمن على الخطوط الجوية النيجرية، وكانوع من أنواع الاحتجاج راح واشوكو يهيب بالطيارين النيجيريين الذين كانوا على وشك أن يبدأوا التدريب على الطيران، التحول إلى الطائرات الفيكرز البريطانية الغالية والمتقدمة، من طراز - VC-10 لكن العمال الذين يعملون برواتب وأجور لم يكونوا مدركين أو واعين بالقوة الاقتصادية المستقبلية، قام الحاج السير أبو بكر بإجازة بعد انتهاء اجتماع مجلس الاقتصاد الوطنى، وقد أمضى أبو بكر هذه الإجازة فى باوتشى حتى يكون على مقربة من المتواضعين من البشر، ويعود الرجل من إجازته ليترأس المجلس الوطنى للمؤسسات، الذى راح يواجه توصيات محرجة جاءته من مجلس المعلمين للتفاوض الوطنى المشترك. وتبع ذلك الاجتماع، اجتماع آخر صعب لمجس الوزراء خصص للأعباء الناجمة عن قانون الواردات من ناحية والتهديد الجديد من قبل لجنة العمل المشتركة. بدأت فى ذلك الوقت روح لجنة العمل المشتركة تأفل بعض الشيء، وبخاصة بعد إعادة تجميع حركة العمال. شاعت فكرة القيام بإضراب عام على ما اعتبرته نقابات العمال زيادات عرفية متكررة فى تكلفة المواد الغذائية، والإيجارات، والنقل، والملابس، والأدوية والمتطلبات المنزلية الحضرية. تلا ذلك إضراب

استمر ثلاثة أيام على ما يسمى "ورطة الغد" في ليجوس، وادى ذلك الإضراب إلى مقاطعة من جانب المحلات المملوكة لنبجيريين، للزيادات التي حدثت مؤخراً في تعريفة السلع المستوردة، التي لم تؤذ سوى تجار الجملة الذين كانوا يُخَزِّنون هذه السلع. وفي اليوم الثاني من أيام الإضراب اتجه المتظاهرون إلى منزل رئيس الوزراء، وتوجهوا في اليوم الثالث إلى منزل رئيس oba ليجوس، وعندما بدأ المتظاهرون الثائرون في تحطيم نوافذ المستودعات والمحلات التي يديرها الأجانب وفترينات‌ها، جرى تفريقهم بواسطة شرطة المظاهرات التي استعملت الغاز المسيل للدموع، وهنا قامت الحكومة الفيدرالية بحظر التجمعات العامة لمدة شهرين.

بقيت السياسة في المقدمة على الرغم من كل ما حدث. أكد الحاج السير أبو بكر أن اجتماع قمة رؤساء الوزراء الذي سبق أن وعد به، لن تتم فيه مراجعة الدستور (بالصورة التي توقع أزكوى أن يتم ذلك بها في شهر يونيو، طبقًا لترتيب أولوياته هو شخصيًا) وإنما سيدرس هذا الاجتماع طرق القيام بتلك المراجعة وأساليبها، وأعلن أيضًا أن ذلك الاجتماع سوف ينعقد قريبًا في ليجوس نظراً لأن أكنتولا لم يتمكن من حضور اجتماع مجلس الاقتصاد الوطني في إينوجو. مسألة مراجعة الدستور طلبًا لعلاج أمراض خلقية شيء ومسألة وصف العلاج نفسه شيء آخر. الدكتور أُكبارا نفسه لم يكن راضياً شخصيًا عن إنشاء ولايات لكل منها حزب واحد، ورئاسات تنفيذية قوية، تُحَرِّم نقل أو تداول أي شكل من أشكال السلطة، والتي تدفع المعارضة إلى العمل السري، الأمر الذي يؤدي إلى التقسيم في نهاية المطاف، فضلاً عن أن ذلك كله لا يناسب المجتمعات الجمعيَّة. لكن أُكبارا لم يكن راضيًا أيضًا عن ما يسمى في البرلمان البريطاني "بالمعارضات الموالية" المؤسسية. بدأ أُكبارا في ذلك الوقت التلاعب بفكرة التمثيل النسبي للأحزاب على المستوى البرلماني، مستبعداً في ذلك تلك الأحزاب التي تحصل على نسبة تقل عن ١٠٪ من الأصوات، كما بدأ يتلاعب أيضًا بفكرة إنشاء مجلس وزراء من خارج البرلمان طبقًا لما هو متبع في آمريكا. كانت الأكبارية - Okpara

ismمختلفة تمامًا عن الزيكية Zikism، أو إن شئت فقل: تفضيل أصحاب الأذهان القوية المستقلة. وبانتهاء شهر أغسطس قررت القمة تشكيل لجنة برئاسة الدكتور إلياس، المحامى العام، ووزير العدل، على أن تقوم اللجنة بتقديم مقترحاتها إلى مؤتمر دستورى عام يعقد فى تاريخ لاحق. كان المتململون ينظرون إلى هذه التحركات باعتبارها نوعًا من التمييع.

اندلعت فى الخارج خلافات جديدة حول الاجتماع الأفرو- أسيوى الذى جرى تأجيل انعقاده إلى شهر نوفمبر فى الجزائر، على أن يسبقه فى شهر أكتوبر انعقاد مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية فى المجمع الضخم فى أكرا، وبخاصة أن نيكروما كان قد تعهد بنقل "اللاجئين السياسيين" إلى خارج المدينة. استمع أبو بكر إلى ما قالته الوفود القادمة من الجزائر ومن أكرا. كما التقى أبو بكر أيضًا آرثر بوتملى Bottomley وزير الكمنولث البريطانى، الذى حضر ومعه السير سافيل جارنر، وكيل الوزارة الدائم، بناء على دعوة مشتركة وجهتها إليه كل من غانا، وسيراليون، ونيجيريا لمناقشة مسألة روديسيا الجنوبية. لم يكن كل سياسيى حزب العمل البريطانى محطًا لعدم ثقة أبى بكر مثلما كانوا من قبل عند التربويين فى باوتشى. وعندما كان أبو بكر يقوم بتفريج آرثر بوتملى على مزرعته فى باوتشى ويلتقط له بعض الصور، راح يضغط من جديد على مسألة عقد اجتماع للقادة الأفارقة والقادة الأوروبيين لتحديد مستقبل ذلك البلد، شريطة أن يجرى أولا إطلاق سراح الزعماء الوطنيين المحتجزين. كان آرنولد سميث، أمين عام الكمنولث، يحبذ عقد اجتماعات فى الخارج (بمعنى المؤتمرات التى لا تعقد فى لندن)، وكان يتفق مع أبى بكر فى هذه المسألة، وبخاصة أن أبا بكر اكتشف أيضًا أن بوتملى كان مؤيدًا للفكرة ومتحمسًا لها. من جانبهما، كانت حرم بوتملى وحرم جارنر مسرورتين بمحاصيل مزرعة رئيس الوزراء الزاهرة - ثمار الكولا، البطاطا Cassavo، البرتقال، الذرة، الطماطم، الخس، البسلة، التبغ - وانشرح صدرهما أيضًا أكثر بالخدمة الكفئة فى منزل محاط تمامًا بالأشجار والشجيرات

الصغيرة، وانشرح صدرهما أيضًا لتلك الوجبة الصحية من حساء عيش الغراب، ومعه لحم الدجاج مع البطاطس المسلوقة، والأرز، والأسباجيتى، والبسلة، وصلصة الطماطم، وتلا ذلك تناول اليوسفى المعلب والقشدة. تأثر موظفو بوتملى الحكوميين بحكمة ذلك المُضيف، وتصميمه على تجنب الحديث عن الموقف الشمالى أثناء تحدثه عن السياسة النيجيرية.

جرى إحداث المزيد من التقارب مع حزب العمل عن طريق التدخل الكبير من جانب المفوض البريطانى العالى. ونظراً لأن كمنج – بروس Cumming - Bruce كان يعرف أن الحاج السير أبا بكر لم يغفر لهم مطلقًا تصرفهم فى مسألة تسليم أيناهورو بناء على طلب حكومته، ولما كان بروس يعرف أن أبا بكر سبق أن قال إنه **"لن يمد يده مصافحًا لولسون على الإطلاق"**، قام بابتداع حيلة يقوم بمقتضاها صديقة وزميله القديم مالكولم ماكدونالد (ولد رئيس وزراء حزب العمال فى الحكومة الوطنية، وزير المستعمرات فى حكومة شامبرلين، المفوض العام بعد الحرب على جنوب شرق آسيا، ومؤخراً مفوضًا ساميًا على كينيا) بزيارة إلى ليجوس. واختتم أبو بكر الحوار بأن حزب العمل فى الوقت الحالى **"لا بأس به"**.

كان الإقليم الغربى بطبيعة الحال فى بؤرة الاهتمام بالسياسة الداخلية، نظراً لاقتراب موعد الانتخابات، وأصبحت الصراعات الحزبية على غير ما يرام بين أولئك الذين كانوا ينظرون إليها باعتبارها تكراراً لما سبق أن حدث فى الانتخابات الفيدرالية التى أجريت فى شهر ديسمبر السابق. زعم الرئيس أولوو Olu آكنفو سايل، وزير الدولة الفيدرالى، ورئيس لجنة العمل فى فرع حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى الإقليم الغربى، أن كلاً من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب جماعة العمل سوف يندمجان بعد الانتخابات، على الرغم من أن تحذير الناطق بلسان حزب جماعة العمل أن هذا الدَّمج لا يزال يخضع لإقراره من جانب اللجنة التنفيذية ومؤتمر الحزب، الذى أصبح تأييده خارج موطنه الأصلى مجرد كسر عشرى

بسيط مما كان عليه فى العام ١٩٥٩ . راح زعماء التحالف المتحد التقدمى العظيم يواصلون الإعلان عن قناعتهم بأن الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى، الذى راح يصور نفسه فى ذلك الوقت على أنه حزب وطنى مستقبلى وحقيقى، سوف يتلاعب بالانتخابات، ولذلك راح زعماء التحالف المتحد التقدمى العظيم ينادون بعقد اجتماع مائدة مستديرة. جاء رد رئيس الوزراء يفيد أن الانتخابات هى مسئولية دستورية على عاتق رئيس وزراء الإقليم الغربى ولجنة الانتخابات الفيدرالية، على الرغم من تخويله هو نفسه سلطة القانون والنظام، وأنه لن يتردد فى "**إغراق الإقليم بقوات الجيش والشرطة**"، إذا ما وقعت اضطرابات أو قلاقل أثناء الانتخابات. وتحتم عدم نسيان هذا الكلام. واجتمع الحكام التقليديون تحت رئاسة ملك Ooni الأيف Ife، ورجوا كلاً من التحالف المتحد التقدمى العظيم هو والحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى أن يناقشا خلف أبواب مغلقة أفضل الطرق اللازمة لجعل عملية الاقتراع حرة، ونظيفة وسلمية إلى أبعد حد ممكن. لكن التراشق المبكر بالحجارة جعل الشرطة التى كانت مستعدة لأسوأ الأحوال، والتى أنشأت عملية من عمليات العصا والجزرة، أطلقت عليها اسم **عملية إنهاء البلطجة**، تعلن منطقتى الأيف Ile - Ife وأجيبو ـ أود Ijebu - Ode "منطقتى عنف"، وهذا هو توس بنسون الذى جرى انتخابه على أنه عضو مستقل من أعضاء التحالف المتحد التقدمى العظيم، يوجه اتهاماته الشفاهية إلى ذلك التحالف. وسواء أكان أم لم يكن هناك تلاعب أو عنف فى الانتخابات، فإن خبراء الانتخابات، ولأول مرة فى تاريخ نيجيريا، كانوا فى مأزق مفهوم فى مسألة التنبؤ بالنوايا الحقيقية للناخبين. كان اهتمام أولئك الخبراء منصبًا على ما هى الطائفة اليوروباوية القادرة على ضمان معظم "الأماكن التى تحت شمس نيجيريا" لليوروباويين. كان كل من الرائد إفياجونا Ifeajuna والرائد أوكافور Okafor، وهما من ضباط الجيش الإجباويين مراقبين منتقدين تمامًا لتلك الانتخابات.

الفصل السادس والأربعون

الخريف الذى لم يفض إلى ربيع

كل من يفعل ذلك الذى يريده [فقط] سيلاقى الشقاء(*)

يتعين هنا إلقاء شىء من الضوء على حياة أبى بكر المنزلية وبخاصة فى العام ١٩٦٥ . ربما يكون توتر السياسة الدولية، الذى رآه أبو بكر على أنه يتصف فى أغلب الأحيان بالحماقة ومنافاة العقل، وربما أيضاً تقييم الرجل للأحداث السياسية الدولية (التى ظن أن البلد الذى هو رمز له، يتحمل فيها مسئولية كبيرة - ولا يزال يتحمل هذه المسئولية الكبيرة) هما اللذان تضافرا على جعل علاقاته الأسرية العادية أمراً مستحيلاً. ومع ذلك حاول الرجل، بين الحين والآخر، اقتناص بعض ساعات المساء ليقضيها مع أبنائه فى ليجوس، وفى الأوقات التى كان يهرب فيها إلى باوتشى، التى كان يهرب إليها بصورة منتظمة فى الطائرة النفاثة الجديدة طراز جلف سكيم Gulf Skeam، الخاصة "بالسلطة التنفيذية"، والتى جرَّت عليه شيئًا من النقد من سكان المدن الكبيرة الحاقدين، الذين لم يدركوا مدى التحسن الذى طرأ على مسألة المواصلات فى الأجزاء الداخلية من البلاد. حظى اثنان من أبنائه: مختار وصديق بالقبول عندما أراد والدهما أن يلحقهما بإحدى المدارس الإنجليزية الداخلية. لم يكن العم أحمد يود لهذين

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا، وهو قريب من المثل الإنجليزى: A wilfu' mon ne'er wanted wae (lacked woe) "كل من يفعل ما يريد لن ينجو من الويل"

الابنين أن ينشأ فى ليجوس، وكانت الدعوات التى توجه لهما لقضاء العطلة مع أطفال ماجيكودونمى تلاقى رفضًا من أبى بكر من منطلق أنهما سيقضيان العطلة فى باوتشى. وعلى الرغم من أن الولدين كان عمر الواحد منهما أكبر من العمر المعتاد للقبول فى هذه المدارس، فإن أبا بكر أجرى تحرياته واستقصاءاته حول هذا الموضوع بما فى ذلك مدرسة إيتون Eton. وأخيرًا استقر أبو بكر على مدرسة إعدادية فى هيرتفورد شاير Hertfordshire، على أن يلتحق الابنان بعدها بالمدرسة العامة فى إبسوم Epsom، التى درس فيها كل من إميكا Emeka أوجوكو Ojukwu، وجونى John-ny إيرونسى عندما كانا طفلين. وقد أدت المشكلات الثقافية فى البيئة الغربية المحيطة بهما إلى شيء من الصعوبة فى تقدمهما فى المدرسة". ذهب أبو بكر شخصيًا ليطمئن على استقرارهما فى أول مدرسة إنجليزية يلتحقان بها، حدث ذلك قبل أربعة أشهر من نهاية هذه القصة، وأجرى أبو بكر اتصالات مع جى أى بى هول Hall رفيقه الباوتشى القديم منذ ما قبل أيام الحرب العالمية الثانية، الذى سيكون راعيًا لولدى أبى بكر فى بريطانيا. وقدر لهذين الولدين أن يُمضيا ثمانى سنوات بعيدًا عن الوطن فى أرض أجنبية بعيدة.

ألحق أبو بكر بناته أيضًا بواحدة من مدارس الحضانة فى ليجوس، ثم بعد ذلك بمدرسة مشتركة، لكن وقعت مصيبة فى هذه المرحلة. كانت جدة البنات معارضة لتعليم البنات تعليمًا غربيا، كانت البنات ينمن على سرر حديثة، لكن والدهن كان يريد لهن أن يشاركن ويفهمن أسلوب حياة الناس العاديين (كان هناك فى بريطانيا عنبر مخصص للبنات الصغيرات اللاتى كن يدرسن فى بريطانيا). ونظرًا لأن الرجل كان مصرًا على حتمية تعليم البنات بجد واجتهاد، فقد جرى إيفاد الطفلة يالوا Yalwa ابنة عائشة زوجة أبى بكر، للالتحاق بمدرسة باوتشى الابتدائية شأنها شأن الأطفال الآخرين، ولكى تعيش مع جدتها ومع إنِّى Inni. ومع ازدياد التوتر فى البلاد، ومع زيادة انشغال رئيس الوزراء أكثر من ذى قبل، انقطعت رحلات السفن عبر البحيرة وبالتالى انقطعت صلة الرجل بأولاده ومع العم أحمد، أو بالأحرى مع السيد/ خان وحرمه، عندما يكون

أبو بكر فى المنزل، كان يتناول فى قليل من الأحيان وجبة العشاء مع بناته ويسألهن أسئلة سقراطية عما إذا كن يردن أن يُصْبحن ممرضات أو مدرسات بعد أن يكبرن. ازداد هدوء مسكن رئيس الوزراء هدوءًا على هدوئه فى فصل الربيع فى ذلك العام، على الرغم من أن رب هذا المنزل لم يتباه مطلقًا بإعادة ترتيب أثاث ذلك المسكن أو القيام بنفسه ببعض أشغال البيت الصغيرة بدلاً من استدعاء خادم للقيام بها. كان هناك، بالإضافة إلى ضباط الشرطة المناوبين، ياوران يقيمان داخل المجمع السكنى لرئيس الوزراء. قفطان Kaftan ننجاسو Nangasu التشادى، الذى سبق أن روى قصصًا وحكايات طويلة محببة إلى نفس كل من مختار وصدِّيق، كما كان هناك أيضًا شخص يدعى ماكسويل أوروكبابو Orukpabo الإجباوى. الواقع أن قفطان الذى فقد واحدة من رئتيه فى عملية جراحية كان يكلف بالأعمال الخفيفة، وكان يعيش مع أسرته خارج مجمع رئيس الوزراء السكنى. وهذا هو داوود صادى خياط أبى بكر لم يعد من السكان الدائمين فى المجمع، وكان يُعْهد إليه بالنقود لشراء بعض الأغراض من باوتشى، وصرفها فى وجود الخير والإحسان، هذا الرجل كان أهلاً للحصول على مجاملات أبى بكر حتى يتمكن من التغلب على ماديات الحياة فى ليجوس ومتطلباتها. وإذا ما نحينا جانبًا أيضًا البضائع المعلَّبه والمغلفة التى شاع الإعلان عنها فى الحضر، نجد أن طعام أبى بكر العائلى كان لا يزال هو نفسه الطعام الوطنى الذى درج عليه منذ أيام طفولته فى باوتشى. لابد أن أبا بكر أحس بصدمة عندما أدرك أن الثروات البترولية قصيرة الأجل، هى وهجرة الشباب الصغار من مزارعهم إلى المدن سوف ينتهيان إلى المعلبات المستوردة، وإلى الخبز المخبوز تجاريًا من قمح أجنبى، وقد أصبح غذاءً رئيسيًا للفقراء ويباع على جانبى الطريق. لكن هذا التغيير الثقافى كان قد بدأ بالفعل، إذا ما قارناه بإدخال البرتغاليين فى القرن السابع عشر للأطعمة الحريفة، والذرة، والمَنَيهُوت(*)، والفول السودانى، والطماطم، ونخيل جوز الهند، الذى كان

(*)نبات يستخرج من جذوره نشا ، مغذ (وهو شبيه بالبطاطا المصرية) المترجم.

يستخدم فى تسوير قلاع العبيد التى كان يحتمى بها الدانماركيون، والهولنديون، قبل التوغل داخل البلاد.

صورنا حُلِيَّ نيجيريا الاقتصادية فى زمن أبى بكر باعتبارها جزءًا من فاتحة الكتاب من ناحية وفى الفصول السابقة (٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥). ومن المناسب عند هذه المرحلة، وفى ضوء جهل السواد الأعظم من غرماء الحكومة الفيدرالية الداخليين الخطيرين، بالجانب الاقتصادى وفى ظل كثرة عددهم، أن نأتى بصفة نهائية على ذكر الحال التى كانت عليها موارد البلاد لمن جاءوا بعده، هذه الموارد تحتم حمايتها من قلة دراية هؤلاء الغرماء وخبرتهم فى مجال الموازنات، عن طريق انسياب الثروة الناجمة عن تدفق البترول من حقول الزيت، والتى قدر لها تدمير الاكتفاء الذاتى الحالى فى المجال الزراعى. والحقيقة التى لا مراء فيها هى أن الاقتصاد التحتى للمحاصيل التصديرية كان ينمو بانتظام بمعدل ٥٪ سنويًا طوال حكم أبى بكر، على الرغم من خيبات الأمل والإحباطات التى أصابت تنفيذ خطة التنمية والتى تجلت بصورة واضحة خلال العام ١٩٦٥ . يزاد على ذلك أن معدل نمو مقداره ١٥٪ من المصنوعات التى حلت محل الواردات بدا أمرًا مشهودًا وملحوظًا، لكنه لم يسهم كثيرًا فى هذه الثروة الوطنية المتزايدة. وهذا هو الرئيس فستوس يزعم أن ميزان المدفوعات فى العام ١٩٦٥ الميلادى حقق فائضًا مقداره حوالى ١١,٤ مليون جنيه إنجليزى، بعد عجز استمر عشر سنوات فى ميزان المدفوعات، وهذا رواج كان البترول على وشك مضاعفته. انخفض العجز التجارى إلى خمسة أضعاف ما كان عليه فى العام الأخير، إذ وصل إجمالى الواردات ٢٧٦ مليون جنيه إنجليزى مقابل ٢٦٨ مليون جنيه إنجليزى للصادرات، التى تمثلت بشكل أساسى فى المواد الأولية التى من قبيل الفول السودانى، والقطن، والجلود، ومنتجات زيت النخيل، والكاكاو، والمطاط والأخشاب. كانت بريطانيا لا تزال هى المستثمر الرئيسى والشريك التجارى الرئيسى،

إذ كانت تشترى ما قيمته ١٠١,٥ مليون جنيه إنجليزى من الصادرات النيجيرية (وكان ذلك قدر ما تشتريه الولايات المتحدة، وألمانيا الغربية، واليابان مجتمعة) وكانت تبيع لنيجيريا ما قيمته ٨٥ مليون جنيه إنجليزى من البضائع البريطانية (وهذا يساوى إجمالى الواردات من كل من هولندا، وألمانيا الغربية، وأمريكا وفرنسا). مع ما يزيد على ٤٠٠ مليون جنيه إنجليزى استثمارات فى مصانع تحمل اسماء متزكية بريطانية (منها ٢٥٠ مليون جنيه إنجليزى فى مجال البترول)، كانت بريطانيا أيضًا بمثابة متسلِّم الرهان الاقتصادى المتمترس تمترسًا شديدًا. وقد انعكس ذلك على اللجنة العليا، التى كانت تعد من حيث الحجم رابع بعثة دبلوماسية بريطانية فيما وراء البحار (فضلاً عن مركز تدريب رسمى لديبلوماسى شاب من الأسرة المالكة)، كما كانت الأكبر أيضًا من حيث عدد البريطانيين المقيمين، والذين ارتفع عددهم منذ الاستقلال إلى ١٥ ألف مقيم. كان الجانبان قد نسيا منذ زمن طويل "معاهدة الدفاع".

ونظرًا لأن نيجيريا تعد أكبر منتج للفول السودانى على مستوى العالم، فقد جرى اتخاذ بعض الخطوات فى اتجاه افتتاح نيجيريا لمجلس إفريقى للفول السودانى. كان هذا المنتج الشمالى (بالإضافة إلى المطاط، الذى لم يعرقله مجلس التسويق) بمثابة المحصول النقدى الوحيد الذى كان يعود على منتجه، فى واقع الأمر، بعائد أكبر مما كان يعود عليه قبل عقد من الزمان. كانت الحوافز النقدية التى تقدم لمنتج الفول السودانى حافزًا أساسيًا من حوافز دعم المجالس فى زمن ماكفرسن، وفى خط متواز مع مجلس التحكم فى الإنتاج التابع للدولة فى زمن الحرب، والذى احتوى الساحل الغربى على أمل تحجيم التضخم والمساواة بين تقلبات السوق المتأرجحة. هذه التقلبات بدأت فى التراجع: لم يدخل جيوب منتجى الكاكاو من الأسعار التى كانت تدفع على ظهر المركب فى الموانئ، سوى ٦٩٪ من هذه الأسعار لمنتجى الكاكاو، ٦٤٪ لمنتجى الفول السودانى، ٥٤٪ لمنتجى بذرة القطن، ٥١٪ لمنتجى لب زيت النخيل، ٥٠٪ لمنتجى زيت النخيل. فى تلك الأثناء جرى تفسير إصرار سيدنى فيلبسون على تحقيق مجالس

التسويق للأرباح، لا على أنها بمثابة حاجز لمنع الانخفاض مستقبلاً فى الأسعار، وإنما كان الهدف من تلك الأرباح هو تخفيض ١٠٪ منها للبحث والتطوير، وحوالى ٢٠٪ "لبنى تحتية" لا علاقة لها بالموضوع فى معظم الأحيان، وتخصص النسبة المتبقية لتكوين أرصدة للمجلس، ولم ينس الرجل بطبيعة الحال مكافآت المقاولين (وأعضاء المجلس)، وفوق كل ذلك، فإن تحصيل ضريبة الصادرات وضريبة المبيعات أديا إلى عدم اهتمام الفلاحين بهذه الصناعة الأولية، اللهم إلا إذا كان متصلاً باستهلاك قرى هؤلاء الفلاحين. وعلى الرغم أيضًا من انخفاض إنتاج الكاكاو وفى ضوء انخفاض الطلب العالمى، وإلقاء اللوم فى ذلك من قبل كثير من الفلاحين فى الإقليم الغربى، على الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى من ناحية، وعلى بريطانيا من ناحية أخرى، وعلى الرغم أيضًا من وصول حصيلة الكاكاو إلى حوالى ٣٢مليون جنيه إنجليزى، فإن ذلك الانخفاض جرى تعويضه على المستوى الوطنى بمضاعفة مبيعات البترول إلى حوالى ٦٨ مليون جنيه إنجليزى. وقد أمكن الوصول إلى هذا الرقم من إنتاج ١٣ مليون طن، جرى تعزيزها بوعد سابق بوصلة مكتملة بين محطة بونى Bonney وحقل البترول الموجود فى الغرب الأوسط، من خلال خط أنابيب يمر عبر نهر النيجر، واحتمال تصدير الغاز الطبيعى إلى بريطانيا. كانت نيجيريا فى ذلك الحين ثانى منتج للبترول بين دول الكمنولث، وعلى الرغم من انخفاض إنتاج القصدير فإن نيجيريا لا تزال تنتج ٢٠/١ من إنتاج العالم من هذا المعدن.

تزايدت أيضًا أهمية الصناعة الثقيلة. فقد جرى إقامة مصنعين تكلفا ٣,٥ مليون جنيه إنجليزى لمعالجة منتجات زيت النخيل، أقيم أحد هذين المصنعين فى إيكيجا Ikeja والثانى فى كوكو koko فى العام ١٩٦٥ . كانت وزارة التنمية الاقتصادية مصممة على تشجيع التنويع والتصنيع، فى الوقت الذى لم تستخف فيه بأى شكل من أشكال "التقانة الوسيطة" التى يمكن أن تكون كثيفة العمالة، وكانت الوزارة أيضًا تضع فى أولوياتها جذب رأس المال الداخلى فوق الاستثمار و "الإعانات" التى تأتى من الخارج.

لم يؤد ذلك إلى التقليل من ضغوط الوزارات الأخرى على حكومة حزب العمال الجديدة من أجل تقديم المزيد من القروض والمنح لخطة التنمية والمشروعات التى من قبيل الإمداد بالمياه، والمستوطنات الزراعية، والجامعات والسد الكبير. والأهم من ذلك، وإن كان أقل مغزى هو اختتام المفاوضات مع الجماعة الأوروبية، والتى على وشك أن تتجسد فى شكل معاهدة لربط نيجيريا بالجماعة الأوروبية لمدة أربع سنوات، وهذا شبيه إلى حد بعيد جداً بما نصح به الوزراء البريطانيون بتوجيه من تبلر وهيث، ولم يصب نجاحًا، على الرغم من ورود هذا الاتفاق تحت مُسَمًّى آخر: فى ظل التعريفة الخارجية المشتركة سيجرى الحصول على حصص بلا رسوم جمركية من: الكاكاو، والفول السودانى، وزيت النخيل، والخشب والقصدير. وفى مقابل ذلك تقوم نيجيريا بإعطاء نسبة أفضلية تتردد بين ٢٪ و ١٠٪ لحوالى ٢٦ منتج من المنتجات الصناعية الأوروبية، وألا تزيد قيمة ذلك عن ٣,٥ مليون جنيه إنجليزى. وقد حظى ذلك الأمر برضا الطرفين.

دارت شكوك حول استمرار قيمة منظومة مجالس التسويق باعتبارها شيئًا مستقلاً بذاته، هذه المنظومة كانت موروثًا اقتصاديًا سليمًا تحتم استمراره، ولم يكن لكبر هذه المنظومة علاقة كبيرة مع السياسات والأحقاد التى ملأت صفحات كثيرة من هذا الكتاب. هذه المنظومة، إن قدر لنا التأكيد على أهميتها بأرقام دائرية للشعب، (ولمدرس سابق)، كانت تمول منظومة تعليمية كان فيها مائة ألف معلم من معلمى التعليم الابتدائى يعلمون ثلاثة ملايين طفل، وإثنا عشر ألف مدرس ثانوى كانوا يقومون على تعليم ربع مليون تلميذ، ٧٥٠ مدربًا مهنيًا كانوا يُعَلمون ويدربون ٧٥٠٠ متدرب، وألفا محاضر يعلمون ٣٢٠٠٠ معلم على سبيل التدريب فى كليات المعلمين، ٧٥٠ زميلاً من زملاء كمبردج يشرفون على أبحاث ستة آلاف طالب جامعى فى خمس جامعات، وستة معاهد أخرى مستقلة (يزاد على ذلك أن النيجيريين كانوا يشكلون فى بريطانيا أكبر جالية من جاليات الكمنولث. كان هناك أيضًا ١٦٠٠ ممارس طبى مسجلين،

وستين طبيبًا من أطباء الأسنان. كان الجنيه النيجيرى مساويًا للجنيه الإسترلينى، وكانت التكلفة الرسمية لهامش مستوى المعيشة تتدنى بشكل غير معقول. كان لدى السكان خمسة وستين ألف سيارة ركوب، ٢٥ ألف سيارة نقل، وثلاثة أرباع مليون جهاز راديو وخمسة عشر ألف جهاز تليفزيون، وكان هناك أيضًا ما يزيد على ستين ألف تليفون. هذه الأرقام الأخيرة، إذا ما بدت لنا صغيرة فى أيامنا هذه، فإنها يجب قياسها فى ضوء ما يمكن أن يتصوره طالب ذكى من طلاب كلية كاتسنا، عن مثل هذا الموضوع فى عشرينيات القرن العشرين، أو ما يتخيله مشرِّع مبتدئ فى العام ١٩٤٧ قبل مضى عقدين من الزمان.

يزاد على ذلك أن الناخبين أصبحوا أقل انفعالاً بالوعود الخاصة بالمستوصفات والطرق، كما أن الشباب الذين هربوا من الأنظمة الاجتماعية القديمة إلى المدن كانوا هم أيضًا يطالبون بوظائف أو بالأحرى بعمالة ثابتة الأجر، وكانوا أيضًا بحاجة إلى وسائل جذب حضرية ينفقون فيها هذه الأجور.

كان أبو بكر نيجيريًا، بل إنه حتى لم يكن يرغب فى إخفاء جذوره وأصوله، وإلقاء نظرة أخيرة على تطور الشمال توضح هذه المسألة. بدأت الهوة التى كانت بين الشمال والجنوب تضيق تدريجيًا، ومع ذلك بقيت كبيرة ومتسعة. ربما كان أبو بكر منزعجًا لأن ٢,٣٪ من أطفال سكتو هم الذين يلتحقون بالمدارس الرسمية، أو ٤٪ من أطفال برنو، ٤,٩٪ من أطفال كانو، مقابل ٤٥,٣٪ من أطفال إقليم الحزام الأوسط، ٨٢,٥٪ من أطفال كبًا – يجبا Kabba-yagba. لكن كان قد جرى إنجاز الكثير: فقد تم افتتاح ٢٧٠٠ مدرسة ابتدائية، منها ٩٥٠ مدرسة تقدم التعليم بدءًا من الصف الأول إلى الصف السابع، ٧٥ مدرسة ثانوية، ومنها ١٢ مدرسة تقدم الفنون والعلوم إلى الصف السادس، وأربع عشرة مدرسة أخرى خاصة تقدم الطلاب للحصول على شهادة غرب إفريقيا، وكانت هناك أيضًا مدرسة حرفية فى كل منطقة أو مقاطعة من المقاطعات، وكانت هناك أيضًا خمس مدارس تجارية تحت الإنشاء، وكان هناك أيضًا خمس

وخمسون كلية للمعلمين ومعهدان للعلوم الريفية والقروية، وكان هناك أيضًا ٢٦ معهدًا يجرى الالتحاق بها للحصول على شهادات إلزامية أعلى، وكانت هناك أيضًا كليتان للتدريب المتطور للمعلمين فى كل من زاريا وكانو، وتمنحان الشهادة النيجيرية فى التعليم والتربية، كما كانت هناك أيضًا ثلاث مدارس إضافة إلى المعهد الفنى القديم. كان هناك معهد عال فى كادونا تدرس فيه مختلف المهن مثل الهندسة والتجارة ويُكَمِّل المعاهد الثلاثية فى زاريا. كان مدرسو اللغة العربية يجرى تدريبهم على مستوى الصفين الثانى والثالث فى كانو، وكاتسنا، وسكتو، وأصبح معهد الإدارة فى ذلك الوقت يشتمل على قسم لتدريب الموظفين العاملين فى مجال التعليم فى الإدارة المحلية، وهذا هو المستوى الذى انطلق منه رئيس الوزراء الفيدرالى ليصبح سياسيًا خطيرًا فى العام ١٩٤٩ . كانت المعدات السمعية والبصرية تشتمل على حوالى ألف جهاز راديو، ٦٠ جهاز تليفزيونى.

كان قرض البنك الدولى الهين البالغ ١٤ مليون جنيه إنجليزى هو والمعونة الأمريكية قد استعملا فى إنجاز الكثير من الأعمال السابقة، وفى تطوير الطرق فيما بين ميدوجورى وتشاد وبعض الأماكن الأخرى. كان يجرى رصف الطرق، كما أقيم جسر على نهر جنجولا Gongola، وجرى تزويد سكتو بالماء، كما جرى أيضًا بناء تسعة مشافى صغيرة. كانت القروض الألمانية الغربية تستخدم فى تمويل بناء عشرة مشافى كبيرة، وفى مشروع للثروة الحيوانية فى مُكوا Mokwa. وكان سد النيجر قد بدأ فى العمل. وجرت السيطرة على إصدار القوانين وتطبيقها، وبدأت وزارة العدل تفتيشها على المحاكم الوطنية، كما افتتح المزيد من محاكم أول درجة فى المدن الكبيرة. أصبح لدى الخطوط الجوية ثلاث طائرات، أكبرها عبارة عن طائرة تتسع لاثنى عشر مقعدًا وهى من طراز دى هافيلاند De Havilland هيرون، وسيجرى استبدال هذه الطائرة بأخرى ذات سعة دولية. لم تكتمل عملية الأشملة؛ فقد بلغت نسبة الشماليين بين كبار الموظفين حوالى ٥٦٪، فى حين بلغت نسبة المقيمين حوالى ٣٢٪ فضلاً عن أحد عشر

فى المائة من النيجيريين الآخرين، لكن بلغ عدد الشماليين فى الوظائف الصغرى حوالى ٣٩٪. وعلى وجه التحديد، كان هناك ثلاثة سكرتيرين شماليين دائمين من أصل سبعة عشر سكرتيراً دائماً من المقيمين. كانت مشكلة الأشملة الصريحة تهدف إلى إيجاد نوع من التوازن بين الأولويات الداخلية فى مواجهة التصميم على شغل الحصص المخصصة للشمال فى الخدمة الفيدرالية ووزارات ليجوس. أما المشكلة التى جرى تجاهلها فى الشمال فهى مشكلة الاستياء الناجم عن الفساد والمحسوبية من جانب الرواد Majors الجنوبيين الشبان (هم والمتعاطفين معهم من السياسيين المدنيين)، الذين سنأتى على ذكرهم بعد قليل.

إذا ما نظرنا إلى نيجيريا بشكل عام، نجد أن الحاج السير أبا بكر كان على استعداد الآن للتعلم من الاقتصاديين العالميين الجدد. ربما نكون قد قفزنا قفزة صغيرة من الممارسات الاستعمارية إلى اعتراف مفاده، على حد كتابات الأستاذ الدكتور آرثر لويس، أن الأعمال التجارية والمالية الصغيرة كانت بمثابة جامعة الأقدام والمغامرة، وأن الحكومات قد تدعم دخول طلابها إلى هذه الجامعة. كل مواطنى أبى بكر وكل نساء بلاده ورثوا عن آبائهم فطرة التجارة طلبًا للربح وإعادة الاستثمار، وكانت لديهم القدرة على جمع رأس المال المطلوب لأى نوع من أنواع الصناعات الصغيرة يكون فى نطاق قدرتهم على التمويل، من خلال مواردهم. أما مسألة الكفاية الإدارية على النطاق الأكبر فكانت مقصورة على قلة قليلة من هؤلاء الناس. ربما استغرق أبو بكر وقتًا طويلاً فى إقناع أولئك المسئولين المقيدين بالبنى التمويلية القائمة بأن النقود التى يجرى استثمارها من أى مصدر من المصادر أملاً فى الحصول على عائد إنما تكون أفضل من القروض (التى لم يجر الوفاء مطلقًا بالكثير منها). لكن الدكتور لويس يقول أيضاً: إن النقود تشبه المخصِّب الكيماوى. هذا يعنى أن أى محصول من المحاصيل لن يقتصر وحده على الإفادة من ذلك المخصب (السماد)، إلا إذا كانت تشكيلة البذور من الأنواع التى تدر عائداً كبيراً، وهذا يحدث فقط إذا ما كان الزراع

ماهرين فى إعطاء هذه البذور الكميات المناسبة من الماء، والشمس، وأن يبذل أولئك الزراع قصارى جهدهم فى تنقية الأعشاب الضارة، ومكافحة الآفات والأمراض. وهذا هو أصعب مثل من الأمثال الإنجيلية الذى يجب أن يتعلمه أساتذة هؤلاء المسئولين. وهذا النمو السريع لم يساير آمال المستفيدين من التعليم الواسع وزيادة خفة الحركة الاجتماعية، ومثلما راح أصحاب الأفق الضيقة، وإن شئت فقل المقيمين، يخشون تدهور المعايير الذى يمكن أن ينتج عن زيادة النجرنة، راح الجنوبيون الطموحون يتساءلون هم أيضًا عن النتائج التى يمكن أن تترتب على التمييز عندما يكون فى مصلحة الشماليين.

كان المراقبون يرون أن قدرة البلاد على الخروج من كل أزمة من الأزمات الدستورية والاضطراب المدنى، تعد دليلاً على الاستقرار الراسخ، وكانوا يعتقدون أيضًا أن الصبر يمكن أن يتولد عنه استمرار التحمل وضبط النفس، وهو ما يمكن أن يخفف من النزعة القبلية، والحديث عن الانفصال، والمحسوبية، والطمع فى السلطة والفساد الواضح الذى كان يملأ أعمدة الصحف المسعورة. ربما كان الأمر كذلك، وبخاصة لو كانت المؤسسات الاجتماعية والمحلية التقليدية بقيت بلا مساس. ونحن إن أردنا الحكم على الفوضى والرعب، اللذين رد بهما هؤلاء المراقبون أنفسهم على التطورات التى حدثت فى نيجيريا، والتى يعد الجزء المتبقى من الكتاب مدخلا لها، قد يكون من الحكمة الاعتراف أنه بحلول العام ١٩٦٥ الميلادى، وإذا ما نحينا جانبًا منطقة التيف، كان القسم الأكبر من القرويين النيجيريين الذين لا يزالون يعيشون فى بيئاتهم الموروثة ويتمتعون بحياة يومية مطمئنة غاية فى الصحة والاستنارة، وثقافة لا تغيب عن الذاكرة. كان السواد الأعظم من هؤلاء القرويين النيجيريين أناسًا سعداء يعرفون كيف يضحكون. ولم تفلح ثورات العنف القليلة، ولفترة طويلة فى أضعف الأحوال، فى استفزاز موجة من البؤس من تقلب حياتى غريب وغير مألوف.

على كل حال، معروف أن الفساد يتغذى على الفساد، وأن الشخصيات الملتوية يمكن إقناعها بالمشاركة فى تطهير المجتمع من الأخطار والشرور، ومن باب أولى إذا كان تسييس هذه الشخصيات الملتوية من مهام المنظرين السياسيين غير العلميين الذين يبغون زعزعة استقرار المؤسسات القائمة. والأحزاب السياسية عندما تفشل هى وزعماؤها فى إرضاء المتعلمين تعليمًا عاليًا، فإن رد الفعل غالبًا ما ينتج عنه شىء لم يكن متفقًا عليه، مثلما حدث عندما أدى عدم الرضا عن ويمر Weimar إلى فتح الباب أمام هتلر. من هنا راح الأكاديميون الردكاليون والطلاب من غير أصحاب اللحى، يضغطون على رجال عشيرتهم فى أماكن تناول الضباط طعامهم، كيما يقوموا بتولى مقاليد الأمور من أولئك الذين خذلوهم. وبصورة غير مباشرة تمامًا، راحت شخصيات سياسية مرموقة استطاعت الهرب من اللوم الشعبى، على الرغم من أن الاتهام لم يكن يخص أحدًا بعينه، تكشف لأبناء العشيرة هؤلاء عن هلعهم الذى مفاده أن الساسة الإقليميين الغامضين، هم ورئيس الوزراء منتصب القامة هم الذين يحولون بينهم وبين الوصول إلى السلطة الوطنية. افتتن الساخطون فى الجيش بالسهولة الكبيرة التى جرى بها سحب السلطة فى ستينيات القرن العشرين من أولئك الذين أساءوا تجميع الثروات (التى حصلوا على القسم الأكبر منها عن طريق رجال المال والأعمال الأجانب الجدد، المتعطشين إلى الحصول على العقود) وإمكانية حظوتهم بالنفوذ السياسى لصلحة حلفائهم القبليين أو المذهبيين. بدأ هؤلاء الساخطون العسكريون، فى شهر أغسطس يتصرفون على النحو الذى انتحاه كثير من الثوار العسكريين فى الدول الجديدة الأخرى. عند هذه المرحلة فقط لم يكن هناك سوى خمسة عشر فى المئة فقط من الضباط يخدمون تحت قيادة بريطانية فى بعض الوحدات، وكان نصف هؤلاء الضباط من الذين جرى تدريبهم فى ساند هيرست Sandhurst أو مونز Mons (وكان السواد الأعظم من الخريجين الجدد) من الإقليم الشرقى. والذى لا شك فيه أنه كان هناك شكل من أشكال المثالية السلبية البسيطة، وشىء من الكراهية الفاسدة، ورفض للإقطاع الذى ظن البعض أن المستشار السياسى الرئيسى هو وحزبه يرمزان إليه،

وتعد مسـألة عدم وجود خطة واضحـة ومتناسقة للنظام الجديد الذى يمكن أن يعقب الانقلاب خـير دليل على سذاجة ذلك التفكيـر. ومن المؤكد أيضًـا أن النجرنة النهـائية لسلاح الضبـاط الشبـان، الذين لم يكونوا جميعًا يحملون المؤهلات التعليمية التى لدى الساخطين، ستؤدى إلى إطالة مدة الترقى أو وقفها (اللهم إلا إذا جرى توسيع الجيش وزيادة عـدد أفـراده عن ثمـانيـة آلاف رجل)، كـان ذلك كله يدور فى أذهان الضـبـاط الشبان. واقع الأمر أن مسـألة تشكيل كتيبة مشاة سادسـة، كيما تتمركز فى إيكيجا Ikeja، كـانت قيـد البـحث، وأن المقـدم سى دى نواو Nwawo وهو وإجـباوى من الغـرب الأوسط، قد جرى تحديده قائدًا لتلك الكتيبة.

واقع الأمـر أن بعض الضـبـاط الشـرقـيين شكوا فى أن شـمـول منظومـة حـصـة الالتحاق بالجيش هى ووزير دفاع من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وسكرتيرًا برلمانيًا (مـدعـوم من سكرتيـر شـمـالى دائم) قـد يؤدى إلى أن يبـدأ هـؤلاء فى إحـالة الضـبـاط الإجباويين إلى التقاعد، عندما يتوفر الضباط الشماليون الذين يمكن أن يحلوا محلهم. لم يكن لدى هؤلاء الضـبـاط الشـرقـيين أدلة على صـحـة هذا الشك، على الرغم من أن مراجـعـة حـصـة منظومـة الضـبـاط الجـدد، منذ إنشـاء الإقليم الرابع أفـادت أن حـصـة الشمال كانت ستين فى المئة، وخمسة عشر فى المئة لكل من الإقليم الشرقى والإقليم الغـربى، وعشـرة فى المئـة لإقليم الغرب الأوسط، كمـا أوضـحت هذه الحـصص أيضًـا مواقع التـهديد بأخطار التـوازن العرقى الذى يمكن أن يـحدث مـسـتقبـلاً، لكن احـتقـار هؤلاء الضـبـاط الزئبقى للشـمـال وتخوفـهم منه كانت أجراسه تدق فى كل شىء وأصـبح من الصعب تمييز رؤى "الإصلاحات المطلوبة" عن البيانات المدنية الصادرة عن التحالف المتحد التقدمى العظيم، فى إطار جيش لا ينتـهى فيه الاستـهزاء والاسـتـخفـاف بقـبيلة الآخر، ومحسوبيته ومعاييره المزدوجة، الأمر الذى يمكن أن يفضى إلى الفوضى غير الأخـلاقيـة فى مـسـألة الانضبـاط، بل يمكن أن يفـضى إلى التـسـيـيس وهو أسـوأ من فوضى عدم الانضباط. تحـولت مسألة التعطش إلى المسئولية إلى شـهوة واضـحـة فى

السلطة، ولم يستطع أصحاب هذه الشهوة فى كل الأحوال مقاومة الرغبة فى الانضمام إلى الجانب المرتقب فوزه. هذا يعنى أن ضباط الجيش الأصاغر الذين دون رتبة الرئيس والذى يتقاضى الواحد منهم ٧٦٨ جنيهًا إسترلينيًا، والرائد القديم الذى يتحصل على ١٩٢٠ جنيهًا إسترلينيًا سيكونون دومًا على استعداد لمقارنة أنفسهم مع أقل الناس فى سلم الأرستقراطية الحاكمة فى كل من ليجوس، وإيكوى وكادونا، يزاد على ذلك أن السواد الأعظم من نسبة الخمسة عشر بالمئة فى الشمال الذين كانوا يشكلون الصف والجنود، كانوا من المسيحيين فى الحزام الأوسط فى أضعف الأحوال. كان المقدم فيكتور بانجو، قائد ورش المشاة فى أبابا **Apapa**، وهو صديق يوروباوى لكل من الدكتور أزكوى وحزب جماعة العمل، واحداً من أولئك الذين كانوا يصيخون السمع لفكرة الانقلاب. وقد فشلت أفكار هذا المقدم فى أن تصيب شيئًا من النجاح، وجرى تحديه فيما قام به، ولم يتخذ ضده أى إجراء سياسى أو عسكرى على سبيل التأديب. أصابت أنشطة بعض الضباط الآخرين المزيد من النجاح.

انتقلت معركة الأسلحة المشتركة، التى كان مقرراً لها أن تدور فى كادونا فى شهرى سبتمبر وأكتوبر، بأوامر من أجوى - إيرونسى إلى بلدة آبيوكوتا **Abeokuta** وهنا فى أبيوكوتا، بدأ تشكيل ما يمكن تسميته "حَلُّ" الضباط الأصاغر "المدرسى" لإحداث انقلاب كامل. كانت الشخصيات الرئيسة فى ذلك الانقلاب قد جرى الإشارة إليها فى إينوجو فى الفصل الثانى والأربعين وهم: الرائد عمانويل إفياجونا، كبير ضباط الإشارة فى الوثب العالى فى الإقليم الجنوبى، والرائد دوناتوس **Donatus** أوكافور، رئيس العمليات فى حرس "الشرخ" **Crack** الفيدرالى (هذا الحرس عبارة عن سرية من كتيبة حامية ليجوس، تستخدم فى احتفائيات رئيس الوزراء الرسمية وفى تأمينه)، وكان مع هذين الاثنين ضابط آخر برتبة نقيب. استغل الرائد دونا توس أوكافور علاقته السلسة بأبى بكر، ومعرفته بكل تفاصيل عائلة وأقاربه أبى بكر، بوصف ذلك دليلاً على صداقة هذا الرَّجل ووفائه، وأعطى الرائد عمانويل إفياجونا مخططًا

كاملاً عن المقر الرسمى لإقامة أبى بكر. كان هذان العسكريان يحظيان بتشجيع من بعض المدنيين الذين كانوا يقفون وراءهم، وبعض السياسيين والموظفين الحكوميين الذين يتعين علينا الإتيان على ذكرهم. بحلول شهر سبتمبر تمكن هذان الرائدان من تجنيد رائدين آخرين هما: أنوفورو Anuoforo وشوكوكا Chukuka، من مركز قيادة ليجوس العسكرى. وسرعان ما أدرك هذان الرائدان الجديدان، أنه لو قدر لأفياجونا التنسيق مع الإقليم الجنوبى، فإن شخصًا ما لابد أن يفعل الشىء نفسه مع الإقليم الشمالى، وهنا جرى إشراك سى كى نزيوجو Nzeogwu، صديق أنوفورو فى كادونا، للوفاء بهذا الغرض، كانوا جميعًا إجباويين، لكن نزيوجو وأوكافور، اللذين ولدا فى الشمال لأم من التيف Tiv وأب يعمل بنَّاءً، فكانا يتكلمان الهوسا بطلاقة، من حيث المفردات إن لم يكن من حيث الموْسقة أيضًا. وسرعان ما أصبح نزيوجو، ذلك الكاثوليكى الرومى البيوريتانى(*) الورع، المفكر الرئيسى فى هذه الجماعة، وشرع أفياجونا هو الآخر فى تجنيد المزيد من الإجباويين المتعاطفين. ومع أن الجيش كله فى تلك المرحلة فقد احترامه للقائمين فعلاً على أمر السياسة، ولم يعد يثق بالبدلاء الذين يحتمل أن يحلوا محلهم، ومع تسليم الجيش أيضًا بأن مختلف طوائف ضباطه يتهامسون ويدغدغون فى الغرف المؤدية إلى بعضها عن الانقلابات، فإن هذه المجموعة من الضباط الأصاغر الإجباويين كانت أول المجموعات التى قامت بمبادأة عملية فى هذا الصدد.

لم يغب عن بال أفراد هذه المجموعة منذ البداية أنه سيكون هناك سفك للدماء، وأن الأمر سيكون خطرًا على استمرار نجاحهم إذا ما بقيت بعض الشخصيات فى قيادات الحكومة، ومع استمرار هذا التآمر المحفوف بالمخاطر، بدأ هذا التصميم فى الاهتزاز عندما كان الفكر يسرح فى اتجاه مدينتى بنين وإينوجو - وهنا بدا مناسبًا

(*) البيوريتانية: جماعة بروتستانية فى إنجلترا وينو إنجلند (فى القرنين ١٦ ، ١٧) طالبت بتبسيط طقوس العبادة وبالتمسك الشديد بأهداب الفضيلة. (المترجم).

إطلاق بعض التهديدات الواضحة بالنسبة للنتائج التى يمكن أن تترتب على فشل عملية التعاون. يزاد على ذلك أنه كان هناك تضييق كبير على رفض أى تلاعب بالانتخابات الوشيكة فى الإقليم الغربى، وعلى التلاعب الذى يمارسه بالفعل كل من آكنتولا وأصدقائه. أوحى فشل ليجوس فى المحافظة على الأمن والممتلكات بعدم كفاية ليجوس وعدم وجود هدف محدد لها. يزاد على ذلك ومن قبيل التضارب المحض، فإن سريان الشائعة التى مفادها أنه على الرغم من معارضة الحاج السير أبى بكر، فإن الجيش سوف يكلف بإخماد أعداء آكنتولا المدنيين، يمكن أن يضاعف من عدد الضحايا الحالى وبخاصة عندما يقوم الجنود النيجيريون بقتل إخوانهم، هذه الشائعة دعمت وأكدت تعطش هؤلاء المتمردين الأصاغر إلى التحرك. وبانتهاء شهر أكتوبر، أصبحت تلك المجموعة تضم خمسة رواد ونقيبًا واحدًا وكلهم من الأجبو، ويدعمهم رائد واحد من اليوروبا، هو أدويل Adewale أديموييجا Ademoyega، الذى استطاع نزيوجو ضمه إلى المجموعة.

راحت هذه المجموعة تُقَيِّم بطريقة متغطرسة مختلف أهدافها البشرية فى الاجتماع الذى عقدته فى خليج ترقوه Tarquah. تعاملوا مع الدكتور آزكوى على أنه مجرد أب شكلى، يشغل منصبًا بلا محتوى ولا ضرر منه، ونَحَّوا رئيس الوزراء هو الآخر جانبًا من منطلق أنه جرى ترفيعه باعتباره كارتا (بطاقة) قبلية، وباعتباره بوقًا للمستشار السياسى الرئيسى، وأنه ليس له رأى مستقل، وأنه حليف مجند من حلفاء آكنتولا. وقيموا الدكتور أكبارا، وهو من الإقليم الشرقى، على أنه راديكالى براجماتى، شديد الشكيمة، ومن ثم يمكن إقناعه بأن الحلول الوسط الماضية لم تكن كافية. عجزت هذه المجموعة عن النظر إلى السير أحمد بللو على أنه المُنظِّر الشمالى الرئيسى، وأنه هو ذلك المتعصب المهيمن على كل أعمال قوات الشرطة المحلية "الوحشية سيئة السمعة والمعادية للجنوب"، وعلى قضاة المحكمة المحلية "القائمين على أمر التأديب التمييزى" للأحداث من غير المسلمين، وأنه هو المخطط للجهاد العسكرى ضد الكفار على اختلاف

أنواعهم، وقد تعززت هذه الصورة الكاريكاتورية التى رسمها أفراد هذه الجماعة، بفعل المعاملة المكشوفة من جانب أمين كانو للجولات التى كان يقوم بها المستشار السياسى الرئيسى من أجل إدخال الناس فى الإسلام، على أنها كانت قائمة على أهداف سياسية أكثر منها حماسًا إلى المجد والمكافأة الدينيين. استنكرت هذه المجموعة الرئيس أكنتولا من منطلق سخريتهم من صوته الرفيع العالى على أنه أبشع مصححى الانتخابات وأبشع المتآمرين، وتضاعفت من حوله الشكوك بسبب اجتماعاته السرية المتكررة مع المستشار السياسى الرئيسى. لم يتطرق حديث هذه الجماعة إلى الرئيس أوسادباى Osadebay (لأن إقليمه كان صغيرًا فضلاً عن كونه إجباويًا)، وحكموا على الرئيس فستوس أوكوتاى - إيبوه بأنه ليس سوى مستفيد من تجارة الأحذية التى يمارسها، وأنه مجرد متباه بثروته، ولديه وسائل كثيرة تدور من حولها الشكوك، وقد زعموا أن هذا الرجل سرق أموالاً حكومية - أو أنه أعلن فى أضعف الأحوال عن تغييرات فى الضرائب بعيدًا وبمعزل عن موازناته، مع معرفة أهل البيت كيف يستفيدون من هذه التغييرات الضريبية.

كان الرئيس أولوو، الاستثناء الوحيد من ذلك القدح العام فى حق القادة الذين اختارهم الشعب عن طريق الانتخاب، فقد راحوا ينظرون إليه بعد عزله عن السياسة مدة عامين، على أنه محام بارع أساء إليه المذنبون على أنه ضحية من ضحايا الظلم والاظطهاد. على كل حال، وعلى الرغم من حكم هذه المجموعة على كل أعضاء التحالف الوطنى النيجيرى باعتبارهم سفلة وأنذال وغير قابلين للإصلاح، فإن هيئة المحلفين هذه رأت أن الكثيرين من أعضاء التحالف المتحد التقدمى العظيم، إن لم يكونوا قديسين، فإنهم قابلون للإصلاح. أما فيما يتصل بالضباط العظام لهؤلاء الرواد، فقد كانوا ينظرون إليهم بوصفهم نفّاجين مزهويين بأنفسهم، بل إن هؤلاء الرواد كانوا على استعداد لتشويه سمعة كل من جيمس بام، وعقيد برنو المدعو كور Kur محمد، والمقدم أبوجو لارجيما، ولولا، الضابط الكانورى العظيم المدعو زكريا ميملارى، الذى يحمل

رتبة العميد، لأصبح الأمر أكثر صعوبة ـ هذا الضابط كان يحظى باحترام جميع الجنود، وصاحب شخصية مميزة، لا يخاف أحداً، وحدث أن أعطى ذات مرة عن غير قصد تهديداً كلامياً بأن "يُلقِّن [بعض] الكفرة درساً قاسياً دامياً".

لم تكن فكرة التآمر فى وضح النهار شيئًا سريًا نظرًا لأن التفاصيل لم تكن منعزلة عن بعضها البعض فقد حذر العميد سام آدمُيليجون Ademulegun بصفة خاصة ليجوس من مركز رئاسة اللواء الأول فى كادونا، وأن لا تنصرف الأعين عن ضباط الجيش الأصاغر، وذكر على وجه الخصوص انبهار نيزيوجو بالانقلابات، وغطرسة أُوجكو الفكرية، كما نوه العميد أدميليجون أيضًا إلى أن أمثال هذين الضابطين يضعون ضباطهم العظام نصب أعينهم. وقد جرى دعم كلام العميد سام بتقارير مماثلة من نائبه، ومن قائد كلية التدريب العسكرى فى كادونا، فضلاً عن تقارير مماثلة أيضًا من قائد ثانى أكاديمية الدفاع، المقدم رالف إيه شوديندى Shodeinde، الذى وصفه "الرواد" بأنه قبلى مزعج ومثير للقلق، وعلى الرغم من تسامح شوديندى الشرير بحكم طبيعته، فقد كان يبلغ رؤساءه بكل شىء عندما يتراءى دخانًا دالاً على اشتعال النار. لم يشعر آجوى - إيرونسى، وهو جالس مرتاح البال فى موقع القيادة، بأى شكل من أشكال القلق أو الانزعاج. واقع الأمر أن الفرع الخاص من الشرطة المدنية أشار إلى مواضع كثير من الحقائق المهمة، كان فاجبولا قد ورث هذه الآلة المهمة بعد أن أدارها مدة طويلة وبصورة مؤثرة المفوض المساعد جون أو سوليفان (كانت مسألة نجرنة حملة أطواق تزيين الأعناق قد اكتملت، فى ذلك الوقت، اللهم باستثناء سبعة فقط من المراقبين فى القوة كلها). "سمّى الفرع الخاص" كلا من إفياجونا ونزيوجو (اللذين كان ملفاهما مدرجين على قوائم الفرع الخاص منذ سفر نزيوجو للتدريب على الاستخبارات فى بريطانيا). لكن فاجبولا تحتم عليه البقاء فترة طويلة لمراقبة الأحداث فى إيبادان، كما أن مسألة "الدخول المباشر" على رئيس وزرائه، كانت فى ذلك الوقت تتم بعيداً عن الالتزام بالقواعد المحددة.

كانت هناك مصادر إنذارية أخرى. كان السير لويس مبانيفو، قاضي قضاة الإقليم الشرقى الذى يحظى باحترام الجميع للدور الذى لعبه فى تسوية أزمة الرئاسة، قد أخذ معه كل الالتماسات المقدمة من خصوم آكنتولا، وذهب بها إلى الحاج السير أبى بكر، وذكّره أن السلام فى الإقليم الغربى يعتمد على الانتخابات الحرة، التى يبدو أنها سيجرى تزويرها. واستجمع الحاج ميتاما سول شجاعته ليقول على مسمع ومرأى من رئيس الوزراء ذلك الذى كان يحاول فرضه وتوصيله إلى هيئة العاملين فى منزل أبى بكر، والذى مفاده أن البلاد أصبحت خارج نطاق السيطرة، وجاء الرد يقول: "**الله وحده هو القادر على إخراجنا من هذه الورطة، ومع ذلك سنبذل قصارى جهدنا**". ومن خلال ما وصل العميد ميملارى من الضباط الأصاغر الكانوريين، أفلح الرجل فى حديث خارج نطاق الخدمة مع السير كاشيم إبراهيم حاكم الشمال: "هذا البلد ليس على ما يرام.... لدينا الكثير الذى نود إبلاغكم به... وما لم نجد مخرجًا مما نحن فيه،.... ففى يوم من الأيام سوف تقتلون ونحن العسكريين معكم أيضًا". حذر السير كاشيم المستشار السياسى الرئيسى أيضًا من أن ضباط الشمال بدأوا يعملون فى مواقع فى الجنوب، فى حين راح ضباط الجنوب يعملون فى مواقع فى الشمال، وأن الضباط المتخصصين كانوا من الجنوب، وأن الضباط البريطانيين كلهم الذين تركوا الجيش والشرطة جرى إحلال ضباط إجباويين أصاغر محلهم. أحس السير كاشيم بالقلق لأن رئيس الوزراء ووزير الدفاع لم يتخذ إجراءً فى هذا الصدد، على الرغم من قول إينوا وادا أنه أوقف مسألة تغيير المواقع هذه.

وبالطريقة نفسها، وعندما بدأت تتناهى إلى مسامع أيو روسيجى الدمدمة الدائرة فى وزارة الإعلام عن احتمالات العصيان والتمرد، إذ تصادف ذات مرة أن التقى العميد آدميليجون، فى مطار كادونا، والذى أبلغه بطريقة ملْغزة، أن المستشار السياسى الرئيسى الذى يشرف على تسريح بعض الشخصيات المهمة المريبة، يجب أن يلتزم الحذر - فقد يكون واحدًا من أول من سيقتلون إذا ما ساءت الأمور، وأنه لابد من

القيام بأمر ما. طلب أيوروسيجى من أدميليجون تحديد موعد له مع رئيس الوزراء فى الصباح، لكن الرجل لم يستطع الوصول إلى رئيس الوزراء بنفسه. وعندما سمحوا له بالدخول بعد ذلك، اشتكى من أن رئيس الوزراء لم يتخذ أى إجراء بشأن الشائعات، وهنا رد رئيس وزراء الشمال قائلاً: بعد أن "تعب" بسبب المحاولة مرات عدة، أصبح لا يود الحديث إلى أبى بكر أكثر من ذلك حول هذا الأمر – وأن آيو روسيجى، إن كان صديقًا له بحق، فإنه ينبغى أن يفتح الموضوع الآن، لكنه خلص إلى نتيجة مفادها أنه ما دام أن آيو جاء بصفة خاصة من أجل هذا الأمر، فمن الأفضل أن يتحدث مع رئيس الوزراء أولاً وقبل كل شىء. عاد آيو روسيجى إلى منزله واتصل بأبى بكر على الفور، لِيُقال له إنه (رئيس الوزراء) مشغول فى أمر ما ـ وإنه مشغول بذلك الأمر حاليًا ـ وأن كل شىء سيكون "على ما يرام". ولعدم رضا روسيجى عما حدث، ونظرًا لأنه تحتم عليه الانصراف بعد فترة قصيرة، قام بالإمساك بأبى بكر فى اليوم التالى بعد اجتماع مجلس الوزراء، وهنا قيل له إن كل شىء تحت السيطرة، "لقد جرى القضاء **على الفتنة فى مهدها**". طلب الرئيس روسيجى مزيدًا من التفاصيل. قال له رئيس الوزراء "**أيها الرئيس، إنك تشغل نفسك كثيرًا بهذا الأمر**"، إذا ما **قتلونا** فسوف أرحل". – "إذا ما قتلونا فسوف أرد". – "**أيها الرئيس، أنت تتكلم لصالحك**". كان أبو بكر يعلم جيداً أنه لابد من الاحتفاظ بأوراق اللعب أمام الصدر أثناء ممارسة اللعبة الجارية، لكن لم يكن الأمن المطلوب فاعلاً كله ما دام أنه فى أيدى أناس آخرين، أو مرهون بأسلاك هى فى أيدى فنيين مرتشين. ولأول مرة يذاع على الملأ أن التليفونات يمكن تحريمها، وأن تقارير الاستخبارات يمكن تحريفها أو العبث بها.

هذه الرسائل الواضحة كان يجرى التغييم عليها قبل أن تصل إلى مقاصدها، إضافة إلى أن الردود الوزارية كانت هى الأخرى سلبية تمامًا، على الرغم من الأصوات القصيرة التى سمعت بعد ذلك وهى تدعى أن هذه الرسائل كانت تتطلب القيام بإلقاء القبض على البعض فى أضعف الأحوال، إن لم يكن المحاكمة العسكرية والحكم

بالإعدام رمياً بالرصاص. ربما كان الحاج إينوا وادا يفتقر إلى قامة محمد رباط وعناده، لكن الرجل كان يراوده أيضاً إيمان طفولي بأن حدوث انقلاب في نيجيريا أمر لا يمكن تصوره، وكان يصر على ذلك الإيمان كلما سأله الوزراء في كادونا عن الشائعات التي كانت تصل إلى مسامعهم. أما فيما يتعلق بأبي بكر عند هذه المرحلة، فقد كان أقل قناعة بموالاة الجيش الراسخة منذ أن تبوأ أجوي - إيرونسي منصب القيادة، وتزايدت شكوك الرجل أيضاً في الأخطار التي يمكن أن تنجم عن "إغراق الإقليم الغربي بالقوات" التي سبق أن هددها، لكن أبا بكر كان يفتقر إلى المستشارين السياسيين الأشداء المطلوبين لدعم سياسة عامة تقوم على النظام العسكري الصارم أو سياسة عامة تقوم على مبدأ "لننتظر ونرى". كل من كانوا حول الرجل كانوا من المعجبين بذواتهم، ويتركز همهم على إرضاء أنفسهم أكثر من كونهم أمناء مترددين.

وجد أبو بكر نفسه أيضاً مقيداً باحترام النزاهة الدستورية، في اضطرابات زمن السلم كان الرجل يجد نفسه مضطراً إلى التعامل مع الأمور أولاً من خلال وزير الدفاع، ثم بعد ذلك من خلال القائد العام، وأصبحت الفرصة سانحة بشكل واضح وتدعو إلى التخوف من التدخل في الشئون العسكرية تحاشياً لازديا الأمر سوءاً نتيجة تسييس الجيش عما كان عليه خلال الانقلاب الفجائي الذي حدث في الإقليم الغربي في العام ١٩٦٢، أو القلاقل والاضطرابات التي حدثت في منطقة التيف. وعلى حد قول من يدركون الأمر بعد فوات الأوان، فإن أبا بكر كان يمكن أن نلتمس له الأعذار، لكن الرجل أُنقذ من الحزم القاسي، بفعل التقدم صوب مؤتمر الكمنولث الذي تقرر انعقاده للنظر في المسألة الروديسية، والذي سيعقد في مدينة ليجوس. وسوف يتضح في الفصل الأخير من الكتاب، أن هذا المؤتمر هو الذي جعل المتآمرين يهدأون إلى ما بعد انتهاء المؤتمر. يبدو أنه كان هناك أيضاً بعض من ضباط الجيش الغانيين في نيجيريا، يقومون بدور المفتي.

من المناسب عند هذه المرحلة المهمة أن تنتقى بصورة نهائية أولاً الأحداث الداخلية ثم الأحداث الخارجية التى كان لها تأثيرها على أبى بكر خلال الأشهر الأربعة ونصف الشهر المتبقية من حياة هذا الرجل، ثم نتخلى بعد ذلك عن الترتيب التاريخى وأن نتناول فى فصول مستقلة الشاغلين (التهديد الداخلى مرة ثانية بقيام اضطرابات فى الإقليم الغربى، والتحدى الأخلاقى الدولى لمسألة روديسيا) اللذين أبعدا الرجل عن تأكيد سلطته على هؤلاء الذين كان بوسعهم، لكنهم لم يساندوا توجيه ضربة حاسمة إلى مثيرى الشغب فى الإقليم الغربى وإلى المحركين المحتجين وإن شئت فقل المتمردين الذين سيصلون بالقصة إلى نهايتها.

رفض رئيس الوزراء هو ورؤساء الأقاليم رفضًا قاطعًا فى مطلع شهر سبتمبر التماس السير أديتو كنبو أديمولا بإعادة تشكيل لجنة للخدمات القضائية. قيام رتشارد Richard أكنجايد Akinjide بإعادة تخفيض المنح الدراسية لتكون فى صالح اليوروبا، باعتبار ذلك مدخلاً طيبًا إلى المتعاطفين مع الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى. قيام المستشار السياسى الرئيسى من جديد بجولات فى إقليمه لتحية الداخلين الجدد فى الإسلام، فى الوقت الذى راح زعماء اتحاد ولاية الأيبو يشتكون من جديد إلى الحاج السير أبى بكر من التمييز العنصرى المزعوم ضد الأجبو فى الإقليم الشمالى، وفى الإقليم الغربى وفى العاصمة الفيدرالية. يزاد على ذلك أن بعض الأحزاب السياسية المحلية الصغيرة كانت هى الأخرى تشتكى إلى السير أبى بكر من عدم إدراجها ضمن لجنة مراجعة الدستور الأولية التى يرأسها الدكتور السياسى، ناهيك عن حزب مؤتمر دلتا النيجر الحليف الحديث لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، والجبهة الديموقراطية للغرب الأوسط التى فازت بمقعد واحد فى مجلس الأمة المحلى، وكذلك حزب العمال والفلاحين الاشتراكى. بلغت عضوية اللجنة المتفق عليها حدًا لا يسمح بإضافة المزيد إليها أو بالتغاضى عن ترك أى عمل من أعمال المال والتجارة: هذا يعنى أن كل حكومة من الحكومات الخمسة سوف توفد عشرة ممثلين لها فى هذه اللجنة،

كما أن الأحزاب السياسية الرئيسية الثلاثة فى الإدارة الفيدرالية (حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، والحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى) سيكون لكل منها عشرة ممثلين أيضًا، وحزب جماعة العمل أربعة ممثلين، وسيكون للجبهة الشمالية التقدمية (حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى، وحزب مؤتمر الحزام الأوسط، وحزب الشعوب الكَنَويَّة) ممثلان، ويصل عدد ممثلى جماعات الاهتمام الفردى إلى أربعة عشر ممثلاً (ممثلان عن اتحاد المحامين، وممثلان عن رابطة الأطباء، وممثل عن اتحاد الصحفيين النيجيريين [وبصحبته مستشار]، وثلاثة ممثلين من نقابات العمال، وممثل من غرفة التجارة النيجيرية وممثل للمرأة من كل من التحالف المتحد التقدمى العظيم، والتحالف الوطنى النيجيرى). وتمثلت مهام كل هؤلاء الممثلين فى البحث فى مسألة طريقة التعامل مع الانتخابات، وحق الأقاليم أو الأقليات فى الانفصال، والتفسير المستقبلى الذى لسلطات رئيس الدولة ورئيس الوزراء وأن المراجعة النهائية الكاملة يجب أن تعنى بتسوية هذه المسائل، والمسائل الأخرى التى من قبيل فاعلية مجلس الشيوخ، أو التمثيل النسبى للأقليات.

كانت كانو هى الأخرى مصدراً من مصادر الغمغمة، نظرًا لأن صيحات حزب الشعوب الكانوية كانت تتعالى مطالبة بنقل المسئولية إلى ولاية كانوية كاملة أو إقليم كانوى، لكن النقابات العمالية كانت هادئة فى ذلك الوقت، بعد أن أقر أبو بكر رسميًا مؤتمر العمال النيجيرى المتحد الذى أنشأه بوبولا أديبولا Adebola Boboola، والذى خُول بعد ذلك سلطة التفاوض مع الحكومة على المستوى الرسمى، إضافة إلى أية منظمة عمالية أخرى تجد وزارة العمل أن من المناسب التشاور معها. أرسل الحاج السير أبو بكر فى الوقت نفسه رسالة لأول مؤتمر تعقده نقابات العمال الإفريقية، عبر فيها عن قلقه البالغ من الانقسام فى الحركة العمالية القارية ونزاعاتها الأيدولوجية (العقدية) التى لا طائل من ورائها – وأن وحدة الحركة العمالية القارية مهمة جدًا للوحدة العامة لإفريقيا.

أشرقت الشمس من جديد ولفترة قصيرة، عندما احتفظ ديك تايجر فى ليجوس فى العام ١٩٦٣ بحزام بطولة العالم للوزن المتوسط فى الملاكمة، لكنه خسر هذا الحزام فى نيوجرسى، ثم عاد واحتفظ باللقب من جديد. كان عمر ديك تايجر فى ذلك الوقت ستة وثلاثين عامًا. خيمت السحب السوداء من جديد على سماء جامعة ليجوس، عندما أدرك عمداء الكليات المطرودون أن الفرصة سانحة للاستفادة من القذف والتشهير فيما تنشره الصحافة، لكن بحلول شهر ديسمبر قام هؤلاء العمداء بسحب دعاواهم القضائية، بعد أن عثروا على إعادة التسكين فى أماكن أخرى دون مساس بسمعتهم الأكاديمية، وبعد أن أصبح بوسعهم معاونة جامعة ليجوس على استعادة هدوئها واحترامها السابقين. اقترح الدكتور أكبارا فى جامعة أزكوى فى نسوكا وقف الانتخابات لمدة عشرة أو خمسة عشر عامًا، وذلك بغية السماح "لأنفاس الحرية" بالاستقرار على مستوى القرية قبل استئناف السياسة الحزبية من جديد. قام المستشار السياسى الرئيسى بنشر الذعر عندما أعلن عن نيته فى توسيع جهاده الدينى السلمى فى الأقاليم الجنوبية بغية إدخال الناس فى الإسلام. وفى الاجتماع القصير الذى عقده مجلس النواب فى شهر أكتوبر وكانت تبدو فيه دلائل الوهن حتى فى غياب مُقْتَرح وقف الانتخابات الذى نادى به الدكتور أكبارا، جرى تمرير قرار رسمى يعبر عن افتخار البلاد بوقفه رئيس وزرائها فى مؤتمر الكمنولث الأخير الذى عقد فى لندن، ورحب القرار بصفة خاصة بالموقف الحاسم الذى وقفه رئيس الوزراء هو ورؤساء الحكومات الإفريقية الآخرين، من مسألة حكم الأغلبية فى روديسيا. كما بدأ البرلمان أيضًا فى مناقشة لائحة تعديل الدستور المطلوبة لتنفيذ تغييرات الإيرادات التى وصَّت بها لجنة بنز Binns، لكن إذا كان البرلمان لم يتحمس لزيادة مرتبات المفوضين الانتخابيين، فقد كشف عن استعداده لقبول مقترح برفع مرتبات أعضاء البرلمان من ٩٠٠ جنيه إنجليزى إلى ١٥٠٠ جنيه إنجليزى، وقد تعهدت الحكومة بالنظر فى هذا المقترح ودراسته.

بعد انتهاء الاجتماع اطلع الرئيس آزكوى رئيس الوزراء على شهاداته الطبية، ونصحه السير أبو بكر أنه يتعين عليه فى ظل الظروف السياسية القائمة فى نيجيريا، الابتعاد عن البلاد. سافر الدكتور آزكوى بصحبة أخصائيين طبيين، وياوره جون أوباد Obade، ومساعده الشخصى وحاشية كبيرة، للعلاج فى إحدى مستشفيات لندن من مرض أصاب رئتيه منذ زمن طويل، وقد استجاب الرجل للعلاج الأمر الذى أفضى إلى خروجه من المستشفى قبل أعياد الميلاد، وكانت لديه توصية بفترة نقاهة طويلة. تولى الدكتور نوافور أوريزو القيام بأعمال رئيس الدولة طوال الفترة المتبقية من العهد الجمهورى، فى الوقت الذى استعاد آزكوى فيه صحته، من خلال رحلة فى البحر الكاريبى على ظهر باخرة فرنسية، قام خلالها بزيارة رئيس جزر هايتى Haiti، "بابا دوك" Papa Doc دوفالير Duvalier، ثم بعد ذلك إلى فنادق فى كل من لندن ودوركنج.

رفضت الحكومة الفيدرالية رفضًا تامًا فى بداية شهر نوفمبر مسألة مراجعة سلم مرتبات المدرسين، الذى سبق أن وافق مجلس التفاوض الوطنى المشترك على تفعيله اعتبارًا من شهر يوليو السابق، واستبداله بسلمه الخاص اعتبارًا من شهر سبتمبر، جرت الموافقة، من حيث المبدأ، على مجموعات من التوصيات المختلفة الخاصة بالموضوع، لكن المجلس ترك مسألة التنفيذ للحكومات إذا ما رغبت فى ذلك. قرر الدكتور جاجا واشوكو إقالة الدكتور بلانكسون Blankson من رئاسة الخطوط الجوية النيجيرية وتولى هو بنفسه ذلك المنصب. جرى بعد ذلك بفترة قصيرة، طرد الدكتور جاجا واشوكو من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، بعد أن أحس حزبه بالحرج نتيجة استقلاله بقراراته عندما كان وزيرًا للخارجية وعندما كان وزيرًا للطيران، وكان واضحًا أن الحزب يتطلع إلى قيام رئيس الوزراء بطرد الدكتور واشوكو من مجلس الوزراء، وعلى أمل أن يعين مكانه السيد/ ماثيو Mathew مبو، وزير البحرية، عقد الحاج السير أبو بكر اجتماعات مع كل من واشوكو وبلانكسون فى مسكنه فى أونيكان Onikan قبل أعياد الميلاد، لكن قرار أبى بكر النهائى تأخر إلى ما بعد حلول

مايثو مبو محل واشوكو فى وزارة الطيران فى اليوم الرابع عشر من شهر يناير من العام ١٩٦٦ الميلادى، عندما انضم كل من تى أو إس بنسون هو مبازلويك Mbazu-luike أميشى Amechi إلى مجلس الوزراء، وبعد أن أصبح السيد/ آر بى كى أوكافور وزير دولة. كان حزب جماعة العمل قد فاز بطريقة سلمية فى انتخابات مجلس مدينة ليجوس، فى شهر نوفمبر، وجاء ذلك الفوز متناقضًا تناقضًا صريحًا مع ما يحدث فى الإقليم الغربى، ومن هنا وافق حزب جماعة العمل على تقاسم الإدارة السياسية مع حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، على أساس من الخطوط البريطانية العريقة، والتى تقضى بتولى مناصب الحكم المحلى السياسية على نحو يتناسب مع قوى الحزب، لم يتقدم الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى بمرشحين، من منطلق أن أحدًا من اليوروبا الموجودين فى ليجوس لن يصوت لصالح حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. مضى المجلسان التشريعيان فى كل من إقليم الغرب الأوسط، والإقليم الشرقى (كان للمجلس الأخير بعض التحفظات الشفاهية)، على الطريق الذى سارت عليه قبلهم المجالس الفيدرالية، وحاولا تمرير لوائح التعديل الدستورى، وذلك من باب تسهيل عمل لجنة بنز الخاصة بإصلاح الإيرادات.

وقع حدث سار فى شهر نوفمبر، تمثل فى منح الدكتوراه الفخرية من جامعة إيبادان إلى سكرتير رئيس الوزراء المخلص، ستانلى Stanley وى Wey، وهذا نوع من التكريم خارج نطاق منظومة الخدمة العامة، الأمر الذى جعل ستانلى على قناعة بأن ذلك التكريم كان بناء على توصية ومبادأة من مستشار الجامعة، ورافق أبو بكر تلك الدرجة العملية بهدية شخصية عبارة عن ساعة يد، كان ستانلى وى wey يُثمنها غاليًا، لأنه حرم من وسائل انتهاء الخدمة الوطنية. قرر أبو بكر فى فورة من فورات استعادة الثقة أنه سوف يستأنف، فى العام الجديد، مؤتمراته الصحفية الشهرية المفتوحة، التى مضت أشهر كثيرة على عدم انعقادها، فى اليوم الأول من شهر ديسمبر، وبعد أن فكر أبو بكر فى ترقية الحاج ميتاما سول، الذى لم يكن مقبولاً من المستشار السياسى

الرئيسى، قام بتعيين الحاج نوح بامالى، وزيراً للشئون الخارجية، تلك الحقيبة التى ظل رئيس الوزراء محتفظًا بها منذ الانتخابات الفيدرالية ـ كان نوح بامالى، وزيراً للشئون الخارجية، تلك الحقيبة التى ظل رئيس الوزراء محتفظًا بها منذ الانتخابات الفيدرالية ـ كان نوح بامالى متعدد الأسفار على مستوى التمثيل بوصفه رئيسًا لاثنين من وزراء الدولة، فضلاً عن غياب الرجل عن عملية صنع القرار فى الحكومة. تواصل سير اجتماعات مجلس الوزراء على النحو المطلوب، وذلك على الرغم من إساءة بعض الأعضاء كأفراد إلى مسئوليتهم المشتركة فى بعض الأماكن. ومع ذلك لم يكن الجميع سعداء، حتى خارج نطاق الإقليم الغربى؛ فقد قام حزب الفلاحين والعمال الاشتراكى، هو وحزب العمل النيجيرى، وبعض النشطاء المشاكسين الآخرين بتشكيل "الجبهة الشعبية" بوصفها منظمة يسارية فى ليجوس. كان الدرس المستفاد فى تلك المرحلة المتأخرة يتمثل فى أن الأحزاب النيجيرية المنتظرة، كان يُنْظرُ إليها من قبل السياسيين المحليين الأقل نجاحًا، على أنها أحزاب قبلية، وأن الأحزاب الصغيرة يمكن أن تتحدى هذه الأحزاب نظراً لأن الأحزاب الصغيرة تمثل المزيد من المصالح الأبروشية، أو لأنها تقدم نوعًا من الأيدولوجية المستوردة. وجد الاجتماع السوفسطائى المشترك الذى عقده وزراء الإعلام الفيدراليين والإقليميين، فى الوقت الذى كانت تجرى فيه أحاديث روسيجى التصالحية مع المستشار السياسى الرئيسى والعميد ميملارى Maimalari، نفسه مضطراً إلى الإعراب عن أسفه لأن بعض الصحف كانت لا تزال محظورة فى بعض أجزاء البلاد، كما أوصى الاجتماع الوزارات كلها بالعمل على تقوية الوحدة الوطنية.

استقال السيد/ أيسوا فى منتصف شهر ديسمبر من رئاسة لجنة الانتخابات التى كانت تكدر صفو الرجل، نظراً لأن هذه الرئاسة أصبحت أمراً شاقًا عليه، وخلفه فى رئاسة هذه اللجنة السيد/ ميخائيل أو آنى Ani وهو من طائفة أو مجتمع الأيفيك Efik فى كلبار Calabar، ميخائيل أو آنى هذا هو السكرتير الدائم لوزارة المؤسسات.

وافق إيسوا على حدوث شيء من سوء التصرف فى انتخابات الإقليم الغربى، التى كانت نتائجها النهائية قد تأكدت بالفعل، لكنه رفض غاضبًا "الانتقادات الفاضحة والبذيئة، والتى وصلت إلى حد القذف فى بعض الأحيان على مستوى الأمة كلها"، وانصبت كلها على ما قامت به اللجنة التى كان يترأسها، وهذا هو ما سنقف عليه فى الفصل التالى. رفضت المحاكم الالتماس الانتخابى الرئيسى المقدم من العام الماضى، والذى مفاده أنه فى مقابل الخمسمائة وتسعة وستين صوتًا التى حصل عليها تى أو إس بنسون فى انتخابات جرت مقاطعتها، جرت إزالة الحاجز النفسى الذى يمنع الرجل من العودة إلى منصبه. أصدر المجلسان التشريعيان الشمالى والغربى مشروعى قانونيهما الخاصين بتعديل الدستور، وتركا هذا التعديل للبرلمان الفيدرالى كيما يوافق فى نهاية المطاف على الإصلاحات المالية التى أوصت بها لجنة بنز. قاطع التحالف المتحد التقدمى العظيم فى المجلس التشريعى الجديد فى الإقليم الغربى. أثناء رحلة بالطائرة إلى بريطانيا، **أبلغ رئيس الوزراء عن خطة لإلغاء ذلك الجزء من اتفاقية الخدمات الجوية الثنائية التى تمنح الخط المربع لندن – كانو – ليجوس إلى الخطوط الجوية التى تحمل العلم البريطانى، وَمُنِحَ هذا الجزء لشغْل أمريكى كبير، مع تلميح غير مؤكد بمبلغ نقدى يوضح لحساب شخص فى بنك أجنبى، عندما عاد أبو بكر إلى بلاده، طلب ملفات الطيران المدنى وألغى كل التحركات التى تسير فى ذلك الاتجاه، على الرغم من أن أحدًا لم يأت إليك "بدليل" أو شاهد على ذلك.**

فى الشمال جرى مثول التقرير الذى أعدته لجنة الحاج أحمد كوماسى عن المشكلة التيفية، للطبع، وقد أوصى ذلك التقرير بحتمية إعادة تقييم احتياجات القبيلة، وإحداث مصالحة بين تور تيف Tor Tiv الرئيس ويوسف تاركا اليعقوبى، بين حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد وحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، لم يكن التسلسل الهرمى فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى مفتونًا بتلك المقترحات شأنه فى ذلك شأن الراديكاليين. فى أواخر العام، تعلم ذلك البلد الذى لم يتغير مظهر شعبه الخارجى

سوى بدرجة طفيفة منذ العام ١٩٥٠، أنه "على سبيل التجربة" سوف يصرف لبعض رجال الشرطة بناطيل طويلة لاستخدامها فى وقت الدوام، وأن هذه التجربة سوف تبدأ من ليجوس. شرَّف أبو بكر وزيره الدكتور مبادوى بحضوره حفل افتتاح منزله الجديد المكون من ثلاثة طوابق، المزين بجدران من التَّريسة(*)، وحمام سباحة، ونافورة، وسجاد أحمر اللون، وكراسى مطلية بماء الذهب، وقد أنشئ هذا المنزل بواسطة مهندسين معماريين إيطاليين وسط طين وقش قرية أروندزيجو Arondizuogu الشرقية النائية، والتى لا تزال طرقها مرصوفة باللطريط. وُجهت الدعوة أيضًا إلى المفوض البريطانى السامى، وقد لبى الرجل الدعوة وحضر الاحتفال. لم يقاوم الدكتور ميخائيل أكبارا التعليق الذى صدر منه غصبًا والذى يقول: كان ذلك "إنجازًا كبيرًا حققه واحد من كبار رجالات "الاشتراكية البراجماتية" والذى بلغ من المهارة حدًا جعله يقيم هذا المبنى فى إطار "الاشتراكية الإفريقية البراجماتية". هذا يعنى أن بناء هذا المنزل نتج عنه توفير مقر ومسكن لمرضات مستشفى محلى ممول أمريكيًا.

قد يكون مفيدًا أن نختم هذا المسح القصير للأحداث الداخلية بافتتاح رئيس الوزراء لجسر النيجر الجديد بين أصابا Asaba وأونيتشا فى اليوم الرابع من شهر يناير من العام ١٩٦٦، الذى كان بمثابة آخر ارتباط شعبى للحاج السير أبى بكر خارج منطقة ليجوس. كان بصحبة رئيس الوزراء فى ذلك الافتتاح كل من الحاج الشيخ شاجارى، وزير الأشغال، والرئيس دينيس أوسادباى Osadebay، ورئيس وزراء إقليم الغرب الأوسط، قام الثلاثة بدفع الرسوم المطلوبة وكانوا أول من عبر نهر النيجر بهذه الطريقة. كان المقصود بذلك الجسر أن يكون رمزًا آخر من رموز الوحدة العديدة،

(*)التريسة: أرضية مكونة من الاسمنت وقطع الحجر الصغيرة، وهى ما يسميه المصريون "المزايكو". (المترجم).

لكن رئيس وزراء الإقليم الشرقى، الدكتور أكبارا اختتم عامة بالعداء اللدود لرئيس الوزراء، بأن قاطع حضور تلك المناسبة.

تكاثرت الأحداث العالمية طوال تلك الأشهر، وإن شئت فقل القسم الأكبر منها. فى شهر سبتمبر على سبيل المثال، توفى الدكتور ألبرت شويتزر وهو فى التسعين من عمره، وبذلك يغلق كتاب الطب التبشيرى والفلسفة الاستعمارية، كما يغلق أيضًا كتاب التفسير الباشى Bach، نظرًا لأن هذين الأمرين أصبحا فى عرف الموضة القديمة، اجتماع مجلس الأمة فى جمهورية الكنغو الديموقراطية، ولأول مرة بعد توقف دام عامين، فى ظل وجود حزب تشومبى فى الأغلبية - كان تشومبى قد فاز بالسيطرة على المدن كلها وبالتالى تمكن من عزل "المتمردين" وحال بينهم وبين الحصول على المساعدات العسكرية الخارجية، فتح الإرهابيون النار على المتحدث الرسمى باسم المجلس التشريعى فى عدن وأردوه قتيلاً، طالب مجلس الأمن بوقف إطلاق النار فى كشمير، فى الوقت الذى تقدمت فيه القوات الهندية صوب لاهور، لكنها ارتدت على أعقابها بالقرب من سيالكوت فى باكستان، مما حدا بكل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى وقف شحنات الأسلحة إلى البلدين، وطلب أيوب خان مساعدة الولايات المتحدة فى إنهاء الحرب، ادعت الهند بعد ذلك أن القوات الصينية كانت تطلق النار عبر الحدود، فى الوقت الذى أعلنت فيه الصين عن قيام الهند بتفكيك المنشآت العسكرية التى زعمت أنها كانت على أراضيها، قبول كل من الهند وباكستان مقترحات الأمم المتحدة بشأن وقف إطلاق النار، رفضت فيتنام الشمالية العروض الأمريكية الجديدة بالتفاوض، انتهاء مؤتمر موريشيوس الدستورى برئاسة أنتونى جرينود Greenwood بصفته وزيراً للخارجية، بوعد باستقلال جزر موريشيوس بنهاية العام ١٩٦٦ الميلادى، أقرت المعاهدة الجديدة الموقعة مع بنما باعتراف أمريكا بسيادة بنما على القناة، وخضوع هذه السيادة لشروط مرحلية، انتخاب رئيس جديد مؤقت لجمهورية الدومينكان، علقت بريطانيا دستور عدن، فى ظل عدم انحسار الإرهاب.

قاطعت كامبوديا خلال شهر أكتوبر كل اللجان الرئيسة التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة، ووصفت المنظمة "بعدم الفعالية"، إحساس كازافوبو بالأمان، بعد طرد الثوار في جمهورية الكنغو في العام ١٩٦٥، الأمر الذي جعل الرجل يسعى إلى تشكيل "حكومة وطنية موسعة"، ولذلك قام بطرد تشومبى الذى "أدى الغرض المطلوب منه"، والذى يمكن القول إن حزبه فشل فى أن يكون الهيئة الوطنية المبتغاة، وطلب كازافوبو من إيفارايست Evariste كمبا Kimba تشكيل الحكومة ـ كان تشومبى يلمح بأنه سوف يتسابق على الرئاسة فى شهر فبراير من العام ١٩٦٦، ورفض التعاون، على الرغم من إعرابه عن استعداده للرضوخ لإرادة الأغلبية من خلال مجلس الأمة، الذى كان تحت سيطرة تشومبى، والذى رفض مرتين قوائم الحكومة التى تقدم بها كمبا، جُرِح رئيس وزراء بوروندى فى هجوم محبط على الملك، وجرى إعدام ٥٣ جنديًا وشرطيًا.

انعقد مؤخرًا مؤتمر قمة منظمة الوحدة الإفريقية الذى كان مثارًا للجدل، فى أكرا فى الفترة من ٢١ إلى ٢٥ أكتوبر. ونظرًا لطرد تشومبى، فإنه لم يحضر الاجتماع حتى لا يزيد من ارتباك الأعضاء، لكن على الرغم من إعراب كازافوبو من جديد عن رغبته فى إيجاد حكومة للقارة الإفريقية، وعلى الرغم أيضًا من استمرار حرج القارة لمدة تزيد على خمس سنوات من الفوضى العنيفة والجدل ,فإن المسائل المتصلة بالكنغو جرى تجاهلها. لم يحضر هذه الاجتماع من رؤساء الدول والحكومات سوى نصف الأعضاء فقط. قامت سبع دول ناطقة بالفرنسية بمقاطعة أعمال الاجتماع نظرًا لأن هذه الدول لم تكن راضية عن المواجهات التى حدثت فى اجتماع باماكو فى مالى (الذى نُظِّم بعد قمة آبد جان بين كلٍّ من أبى بكر، وهيلاسلاسى، ونيكروما وجرى التخلى عن متهميه) والتى مفادها أن نيكروما قام فى حقيقة الأمر بطرد "غير المرغوب فيهم" من أكرا (والذين كان يفضل نيكروما طردهم إلى خارج غانا). كانت المنظمة، حتى ذلك الحين، قد تراكم لديها عجز مقداره ٢,٥ مليون دولار، وعليه لم تكن المنظمة فى وضع يسمح لها بالتجديد عن طريق الأعمال، واضطرت إلى الاعتماد فقط على الخطب، التى

كان يجرى الاستماع إليها باعتبارها روح التشاور المتحضر. لم يكن من سلطة منظمة الوحدة الإفريقية حل المنظمة العامة الإفريقية الملجاشية، التى استنكرها الرئيس نيكروما واصفًا إياها بأنها "إداة من أدوات الاستعمار الجديد وتتناقض مع ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية".

ذاعت خلال فترة الانتخابات الإقليمية فى الإقليم الغربى مزاعم مضاده للحاج السير أبى بكر رئيس وزراء نيجيريا، لكن الرجل تجاهل تلك المزاعم (جرى إحضار الدكتور، ماجيكودونمى بالطائرة، لكى يوجز له آخر تطورات الموقف، وقد التقى أبو بكر ماجيكودونمى فى صالة "Job 600" الواسعة، لكنه اعترض على الكلام الصريح تمامًا، نظرًا لأن المكان لابد أن تكون فيه ميكروفونات سرية للتسجيل - قال أبو بكر "دعه يسجل لنا دون أن ندرى، نحن نتحدث عن وطننا")، كان أبو بكر قد أُرسلت له رسالة من مؤتمر الرؤساء المنعقد فى كادونا وتؤكد على موقفه من حكومة الاتحاد القارى وتدعم هذا الموقف أيضًا. وبقى الرجل ثابتًا على موقفه لدرجة أن سفراء معاهدة الدول الأربعة الناطقة بالفرنسية (الجابون، ملجاشى، تشاد، وتوجو) التى تغيب رؤساؤها عن حضور المؤتمر، حاولوا الاعتذار لأبى بكر شخصيًا. ذكرّ أبو بكر مؤتمر القمة من جديد "بأن حكومة الاتحاد القارى الآن!" لا تزال حلمًا غير عملى، بدأ أعضاء منظمة الوحدة الإفريقية فى تعرف بعضهم البعض بصورة أفضل، وجرى الإتيان على ذكر نيجيريا باعتبارها مثالاً طيبًا على المصاعب الكبيرة التى تترتب على إدارة الاتحاد - يزاد على ذلك، أن دستوره لا ينص على، التنازل عن السيادة وشعبه لا ينوى التنازل أيضًا، وقيل إن منظمة الوحدة الإفريقية تقوم بتقديم توصيات، لكنها لا تضع هذه التوصيات موضع التنفيذ. ومع ذلك حُكم على الاجتماع بالنجاح، من منطلق انعقاد المؤتمر فقط، وحضور زعماء محترمين آخرين. قدم كازافوبو مبادأه تلقائية لحل مشكلة استعمال جمهورية الكنغو الديموقراطية للمرتزقة، وأدان المؤتمر استخدام اللاجئين فى البلدين للقيام بأعمال التخريب فى الأنظمة الأخرى، على الرغم من إصرار وليام تبمان Tubman على

أن اللجوء السياسي الحقيقي شيء مقدس ومصان، وأجرى أبو بكر مفارقة واضحة بين "المجرمين المطلوبين سياسيًا" واللاجئين الحقيقيين الهاربين من القمع. جرى الإمساك بفرصة إصلاح الوحدة فى قرار صدر بالإجماع يهيب ببريطانيا إنهاء الموقف فى روديسيا من خلال استئناف الإدارة الاستعمارية بقوة. وعقب انتهاء المؤتمر سمح نيكروما "للاجئين" والمتدربين على حرب العصابات بالعودة إلى أكرا. بعد ذلك بثلاثة أيام، حث ممثلوا عشر دول إفريقية، اجتمعوا فى لوساكا، بلدانهم على تشكيل جماعة اقتصادية فى شرق إفريقيا ووسطها.

جاء شهر نوفمبر على العكس من ذلك، بادئًا بقرار اتخذه خمسة وأربعون وفدًا كان مقررًا لها أن تجتمع فى الجزائر بعد ذلك بيومين مُشَكِّلَةً بذلك "مؤتمر باندونج الثانى" للدول الأفرو - آسيوية، صدر هذا القرار وكان يقضى بتأجيل انعقاد المؤتمر "إلى يوم سيتم تحديده فيما بعد"، أو بمعنى آخر إلى أجل غير مسمى - هذا القرار كان من تدبير الرئيس الجزائرى الجديد هوَّارى بومدين، وجاء بمثابة شرخ لا يجبر فى القالب الصينى للتضامن الأفرو - آسيوى. تحين الحزب الشيوعى فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية هذه الفرصة ليتخلى عن محاولة إجراء نوع من المصالحة للخلافات الوطنية والأيدولوجية مع الحزب الصينى، وراح يقول للعالم: إن أى تحرك فى اتجاه إنهاء الشقاق الماركسى - اللينينى يجب أن يأتى من الصين الماويه(*). شرع الحاج السير أبو بكر بعد عودته من أكرا فى إحداث تقارب جديد (هو التقارب الأخير) فى العلاقات مع غانا، مؤكدًا على تفضيله للتمييز من وجهة نظره - بين رئيس غانا غير القابل للإصلاح، ومواطنيه المضللين أو الذين أسيئت معاملتهم، النظام الغانى من النوع الذى يسعى إلى التنمية الاقتصادية التقدمية، لكن هذا النظام كان يدمر موارده البشرية والمادية. كان أبو بكر واثقًا من أنه لن يخسر بفضل أغلبية حزب

(*) نسبة إلى ماوتسى تونج. (المترجم).

المؤتمر الشعبى الشمالى، المساندة والدعم الوطنى له فى احتقاره للرجل (نيكروما) من ناحية ومعتقده غير المنطقى فى مسألة نظرية الوحدة الإفريقية، وأن هذا الثبات يمكن أن يعطى السواد الأعظم من الدول الناطقة بالفرنسية دور الزعامة والخيط الأخلاقى الذى يمكنها من مقاومة الافتتان المتجدد بالأنظمة الاشتراكية والشيوعية. وبعد أن استأذن من المفوض السامى الغانى الراحل عن البلاد، والذى أعطاه ثمار الكولا التى هى هدايا الأصدقاء التقليدية عند الافتراق، زعم أن **"سوء الفهم الذى بيننا مرده إلى بعض الواشين والكذابين، الذين ظنوا أنهم عندما يروون لنا قصصًا مختلفة، نظير المال أو نظير مكاسب أخرى، قد يحققون شيئًا ما . لابد لنا من كشف أهل السوء هؤلاء وتعريتهم، وأن نوقفهم عند حدهم. ومثلما يعيش النيجيريون سعداء فى غانا، فإن الغانيين فى نيجيريا يتعين أن يعيشوا فى وئام وانسجام مع إخوانهم فى نيجيريا"**. قال أبو بكر، العلاقات الآن **"ممتازة"**.

فى أماكن أخرى من العالم طالب مجلس الأمن بوضع حد لتجدد العنف فى قبرص، أعلن جرينوود Greenwood عن قيام مستعمرة بريطانية جديدة، هى مستعمرة أراضى المحيط الهندى البريطانية، التى تشكلت من الجزر البعيدة التى كانت تدار من موريشيوس وسيشل، كيما تصبح قاعدة بحرية بريطانية - أمريكية مشتركة، اتهمت الصين اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية للسيطرة على العالم، رفض رئيس وزراء الهند السيد/ شاسترى لأية وساطة فى موضوع كشمير، التصويت على انضمام الصين إلى الأمم المتحدة بنسبة ٤٧ - ٤٧، وبذلك يصبح التصويت أقل من نسبة الثلثين التى تجيز الموافقة، أعلن جرينوود بعد مؤتمر ثان أن جيانا Guiana البريطانية سوف تستقل مثل جويانا Guyana فى اليوم السادس والعشرين من شهر مايو من العام ١٩٦٦، قطع العلاقات الديبلوماسية بين فرنسا وغينيا، حجب مؤيدوا تشومبى موافقتهم على كمبا فى مجلس الأمة الكنغولى وأحالوا بينه وبين تشكيل حكومة جديدة، قام قائد عام الجيش الوطنى

الكنغولى بعزل كازافوبو (مثلما فعل من قبل نتيجة أسباب سياسية مماثلة فى العام ١٩٦٠) وسط الجهود التى كان الرئيس يبذلها لاستعادة الإدارة (الحكومة)، وأعلن نفسه رئيسًا لمدة خمس سنوات، قائلاً: "لقد استغرق السياسيون خمس سنوات فى اقتياد البلاد إلى الدمار - وأنا أعطى نفسى خمس سنوات لتصحيح هذا الموقف"، علق مبوتو بعدئذ أقسامًا من الدستور، وأصدر أوامر جديدة بإجراء انتخابات فى شهر فبراير من العام ١٩٦٦، بعد ذلك بثلاثة أيام أدى اليمين فى ليونارد Leonard مولامبا Mulamba بصفته رئيسًا للوزراء، ويعود كازافوبو إلى قريته (على الرغم من موافقته على أن يصبح مجرد نائب من النواب)، وغادر كل من جيزنجا وميوليل البلاد إلى الخارج، كان الرئيس الداهومى، أبثى Apithy قاب قوسين أو أدنى من العزل بطريقة سلمية، بواسطة اللواء كرستوف Cristophe سُجلو Soglo، الذى قام بتعيين رئيس جديد للحكومة، كشف الاستفتاء الذى أجرى فى جامبيا عن عدم وجود دعم ومساندة كافيين للدستور الجمهورى، عودة الحاج أمين كانو من منظمة الأمم المتحدة، الذى كان موجوداً فيها بصفته مندوبًا لدى مؤتمر الأمم المتحدة الخاص بالتجارة والتنمية.

قبل كل من لال بهادور Lalbahadur شاسترى، وأيوب خان، فى مطلع شهر ديسمبر، الدعوة التى وجهها إليهما كوسيجن Kosygin للاجتماع فى طشقند عاصمة الأوزبك فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، لمناقشة مسألة كشمير فى شهر يناير من العام ١٩٦٦، قيام البابا بول السادس بإغلاق المجلس المسكونى الحادى والعشرين فى الفاتيكان، إعلان سيرتس Seretse خاما أن محمية بوتشانالند Bechua-naland ستصبح جمهورية بوتسوانا فى اليوم الثلاثين من شهر سبتمبر من العام ١٩٦٦، وتأييد المؤتمر لذلك بعد مرور أسبوعين، وفاة الملكة سالوت Salote ملكة تونجاو التى كانت محبوبة على نطاق واسع، سالوت هذه، هى بطلة الكمنولث فى حفل التتويج الذى جرى فى لندن فى العام ١٩٥٣ وسط هطول الأمطار، استجابة نيجيريا لاتفاق بالمعونة والتعاون الفنى أو العلمى مع يوغسلافيا، أدى انضمام الكاميرون إلى "الاتحاد

الجمركى الاستوائى" إلى إنشاء (اتحاد اقتصادى وجمركى لوسط إفريقيا) اعتباراً من اليوم الأول من شهر يناير فى العام ١٩٦٦ الميلادى، ضم كلا من الكاميرون، جمهورية وسط إفريقيا، الكنغو برازافيل، الجابون، وتشاد، دعم كل من نيجيريا وأوغنده من مجموعة الدول الإفريقية فى الأمم المتحدة، بغية حصولهما على مقاعد فى مجلس الأمن فى العام ١٩٦٦، الاتفاق على مغادرة القوات الشرطية النيجيرية للكنغو فى مطلع العام ١٩٦٦، أعرب سوباندريو، وزير خارجية إندونيسيا عن رغبته فى التفاوض مع ماليزيا بشأن النزاع الذى استمر بينهما مدة عامين، مدّد مجلس الأمن لقوات حفظ السلام فى قبرص مدة ستة أشهر أخرى، أمضى رئيس الوزراء ولسون يومين فى مناقشة مشكلة فيتنام وروديسيا، والمشكلات العالمية مع الرئيس جونسون، موافقة لاوس على قيام أمريكا بقصف "قوات هوشى منه" بالقنابل أثناء مرورها عبر أراضيها قادمة من فيتنام الشمالية إلى فيتنام الجنوبية، إنهاء الترتيبات اللازمة للمشاركة فى شهر أبريل من العام ١٩٦٦، فى مهرجان فنون الزنوج الذى يقام فى داكار، الأمر الذى هيأ الفرصة للقائم بعمل رئيس السنغال ليقول عن نيجيريا "إنها النموذج الإفريقى للديموقراطية – هى مثال جميل لكل ما هو جميل فى الديموقراطية، وهى مثال يجب أن تحتذيه السنغال - نيجيريا فى إفريقيا هى بمثابة اليونان لأوروبا!"، اندلاع القتال مرة أخرى فى جمهورية الدومنيكان، إنهاء فرنسا مقاطعتها للجماعة الأوروبية، تولى الجنرال سُجلو Soglo رئاسة الدولة فى داهومى، للمرة الثالثة، اقتراح وزارة المستعمرات لإحداث تجديد دستورى، تحت اسم "الدول المرتبطة ببريطانيا"، وأن يكون ذلك التجديد لمصلحة كل من أنتجوا Antigua، ودومينكا، وجرينادا، وسينت كيتس – ونيفس – وأنجويلا St kitts - nevis - Anguilla، وسينت لوشيا Lucia وأخيراً سينت فنسنت vin-cent، نظراً لأن هذه المناطق كانت تعد من بين المناطق التى تفتقر إلى القدرة التى تمكنها من الدفاع عن نفسها، ولا تتحمل مسألة الاستقلال الديبلوماسى.

استولى العقيد جين بدل Bedel بوكاسا Bokassa رئيس أركان جيش جمهورية إفريقيا الوسطى الذى يقدر بأربعمائة مقاتل خلال الخمسة عشر يومًا الأولى من شهر يناير من العام ١٩٦٦ الميلادى، على السلطة من الرئيس داود داكو Dacko، اشتكى فيدل كاسترو من تخفيض صادراتها من الأرز إلى كوبا، عودة هوبرت همفرى، نائب الرئيس الأمريكى، خاوى الوفاض من مشاوراته العالمية حول كيفية التوصل إلى اتفاق لإطلاق النار فى فيتنام، اجتماع كل من شاسترى وأيوب فى طشقند، داهومى تقطع علاقاتها مع الصين، مارتن لوثركنج يتجه بحركة الحقوق المدنية الأمريكية إلى مدينة شيكاغو فى الشمال، الجنرال ديجول يبدأ مدة حكمه الثانية، سبع سنوات، رئيسًا لفرنسا، شاسترى وأيوب يوقعان اتفاق "عدم الحرب" مع كوسيجن فى اليوم العاشر من شهر يناير، ووفاة شاسترى بنوبه قلبية فى اليوم التالى للتوقيع (ليجوس تنكس أعلامها)، الرئيس جونسون يقول إن الولايات المتحدة ستبقى فى فيتنام إلى أن يتوقف العدوان كله، جونسون يعين أول عضو أسود فى الوزارة الأمريكية، انعقاد مؤتمر التضامن الثورى الأول للقارات الثلاثة آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، فى هافانا عاصمة كوبا التى يترأسها كاسترو، اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية يقول: إنه سوف يواصل مساعداته لسلطات هانوى، وربما كان آخر ما سمعه الحاج السير أبو بكر تافاوا باليوا من وزير من وزراء الخارجية، هو ذلك الوعد الذى أعطته حكومة فيتنام الجنوبية بوضع دستور جديد وإجراء الانتخابات فى العام ١٩٦٧ .

فيما يتعلق بإفريقيا يمكن أن نطلق على العام اسم "عام الجنرالات"، حدثت تدخلات عسكرية، بعد الأحداث التى وقعت فى السودان فى شهر نوفمبر من العام ١٩٥٨، فى حوالى أربعة عشر دولة إفريقية مستقلة. وفيما يتعلق ببريطانيا يمكن القول إن ذلك العام كان "عام قرارات الأمم المتحدة المُحْرِجَة"، طلبت الأمم المتحدة من بريطانيا الانسحاب من عُمان، لإنهاء الطوارئ القائمة فى عدن عن طريق منحها الاستقلال الفورى، وتحرير جيانا البريطانية (فى الوقت الذى كانت تحث فيه أحزابها

السياسية المتحاربة على التعاون)، وأن تتفاوض مع الأرجنتين حول جزر الفوكلاند Falkland، وتتفاوض مع أسبانيا حول جبل طارق، وأن تنهى تمييز الفيجيين ضد السكان الهنود النازحين إليها، وأن لا تفصل سكان المناطق الموريتانية البعيدة حتى لا يصيروا جزءًا من مستعمرة أراضى المحيط الهندى البريطانية، وأن تقوم بنزع سلاح المستعمرات المتبقية كلها فيما عدا هونج كونج.

وأنا أطلب من القارئ الذى من حقه تجاهل سلسلة الأحداث الدورية العالمية المتنوعة أو الاستياء منها، والتى كان القسم الأكبر منها أحداثًا مؤلمة أو تعيسة، أن يتدبر أمرًا واحدًا، هذه الأحداث من وجهة نظر منافسى أبى بكر المعاصرين أو بالأحرى منتقديه، لم تكن تهم أحدًا من هؤلاء المنافسين أو النقاد، وذلك إذا ما قارنا ذلك بما كان يدور داخل مناطق هؤلاء المنافسين أو المنتقدين. لكن أبا بكر عندما أصبح شخصية نيجيرية حقيقية، وبعد أن توقف عن الانقياد للغرائز الباروشية الشمالية، تحول إلى مواطن عالمى، وبدأ يتعرف أن أى رجل من الرجال لا يمكن أن يكون جزيرة مستقلة، كما بدأ يتعرف أيضًا أن أى بلد من البلدان لا يمكن أن يكون كاملاً فى ذاته، لقد تبين أبو بكر كيف أن هذه الأحداث هى وأحداث أخرى كثيرة يمكن أن تؤثر على التطورات المستقبلية فى نيجيريا. أما نقاده اللاحقون، الذين يمثلون الوسطية التى لا تقر شيئًا أعلى منها، والذين يسلمون بأن الرجل بلغ من الضعف حدًا جعله لا يبالى بالأزمة التى حدثت فى الإقليم الغربى، وراح يهتم بمشكلة روديسيا لمجرد تشتيت الأذهان عن فشله الداخلى الواضح، هؤلاء النقاد يجوز لهم المبالغة فى أهميتهم السياسية، المواهب المحدودة التى من هذا القبيل لا يمكن أن تدرك أو تعى اتساع الحنكة السياسية الفعلية وأبعادها، التى تعد موهبة أندر بكثير من الكلام الرخيص.

الفصل السابع والأربعون

المتاعب الإقليمية الغريبة للمدة الثانية

كل شيء بيد من؟ هو بيد الله(*)

أعلنت الشرطة النيجيرية، على الفور، وفي منتصف شهر سبتمبر أن عملية القضاء على البلطجة قد أصابت نجاحًا كبيرًا في الإقليم الغربي. وجرى في إيبادان حل المجلس التشريعي في اليوم الثامن عشر من شهر سبتمبر، وراح المراسلون الدستوريون يتملقون نيجيريا بأنها ستجرى انتخابات حرة جديدة. لم تكن هذه الفكرة شائعة تمامًا في ذلك الوقت في إفريقيا المستقلة، كانت كل من ساحل العاج، والنيجر، وفولتا العليا تتحمل شيئًا من أحزاب المعارضة، وكان تحالف تشومبي المكون من تجمعات صغيرة كثيرة يشكل له عباءة الشرعية الديموقراطية، لكن المثقفين بتزايد غربتهم في الدول ذات الحزب الواحد، التي فيها رؤساء

لا يتزحزحون مثل: جمهورية وسط إفريقيا، وغانا، ومالي، وموريتانيا أو تشاد، وحتى في الدول التي كانت فيها نتائج الانتخابات بعيدة عن الشك، مثل الكاميرون، وداهومي، والسنغال، وتوجو، كانت التوترات كبيرة وزائدة في واقع الأمر. وهذا هو الحزب الديموقراطي الوطني النيجيري الذي يتزعمه آكنتولا، يتعلم شيئًا من تآمر

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا، وهو قريب من المثل الإنجليزي: God sends meat, but the de'il sends cooks "الله يرسل اللحم، لكن الشيطان يرسل الطباخين".

غرمائه فى حزب العمل فى العام ١٩٦٢، ومن هنا نجد أن الجانبين يحدثان المزيد من السياسة والمزيد من العنف اللذين زادا عما حدث فى أزمات العام ١٩٦٢ . وتفاقمت الأمور عندما تورط الشمال فى هذه المسائل، وقد تجلى ذلك فى خوف زعماء الشمال من الجنوب، ذلك الخوف الذى ظل باقيًا على قيد الحياة منذ العام ١٩٠٠ والعام ١٩١٤، وأن دق أى إسفين بين الطوائف اليوروباوية هو وحده الذى يمكن أن يخفف من ذلك الخوف، بقيت ذكريات الشماليين حية فى أذهان الشماليين بعد ردود أفعالهم على الانتخابات التى جرت فى العام ١٩٦٠، وعن تهمة الخيانة، وعن التعداد، وأزمة الرئاسة، وعن أموال الشمال التى دخلت حسابات الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى. كان الحلفاء اليوروباويون بمثابة حصان طرواده(**). نظرًا لأنهم كانوا أهم بكثير من الأصدقاء القلائل المحيطين بمدينة بنين. كان البعض يحلمون أيضًا بدق إسفين مماثل بين بعض الجيران الشرقيين.

يزاد على ذلك أن حكومة الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى لم تكن تشعر بالخجل أو الكسوف لا من استعمالها للمُرغِّبات نفسها التى يستحملها غرماؤها فى إثارة المشاعر والانفعالات القبلية ومصالح الرؤساء obas الشخصية، وإنما أيضًا عن طريق النقود، والابتزاز والمؤسسات الرسمية التى تمكنها من المضى قدمًا فى طريقها، أثناء الانتخابات وبعدها، وعلى الرغم من الدمار الذى أصاب الاقتصاد، راحت الحكومة تؤكد أنه فى الوقت الذى وصل فيه السعر العالمى لطن الكاكاو ٦٥ جنيهًا إنجليزيًا فإن الحكومة لا تزال تدفع للمنتجين ١٢٠ جنيهًا إنجليزيًا عن كل طن كاكاو، كما أكدت أيضًا أن مشاعر العداء للأجبو كان يجرى اللعب عليها، كما أكدت الحكومة أيضًا أنه حيثما توجد الذرائع، فإن لجان الإدارة، التى عيَّنها فانى كايود بصفته وزيرًا للحكم المحلى سوف تحل محل مجالس الحكم المحلى. كان لدى حزب جماعة العمل أمواله

(*) حصان خشبى كبير ملأه الإغريق بجنودهم وأدخل إلى طرواده كخدعة حربية. (المترجم)

الخاصة، التى كان يحصل على البعض منها من حلفائه الشرقيين، لكن على العكس من ذلك، راح الحزب يعتمد كالعادة (وعلى استعداد أيضًا للفساد) على التجمعات المحلية، وعلى القطاعات التطوعية، أو قطاعات البشر الذين لا عمل لهم. كان كل جانب من الجانبين يسلم بأن السكان سوف ينحازون إلى الجانب المنتصر، لكن الجانبين فشلا فى إدراك المدى الذى يمكن أن تصل إليه الأمور فى حال زيادة حدة المشاعر وغليانها وتحولها بعد ذلك إلى عنف، الحرق عمداً، والفوضى، والقتل والاغتيال، ما هى إلا نتائج للعنف، لكنها ليست نتائج للتزوير الصريح للانتخابات، ومع ذلك تظل أيدى الطرفين نظيفة. على كل حال، فإن حكومة آكنتولا كانت قد اتخذت فى اجتماعها التشريعى الأخير الإجراءات الوقائية العادلة من الناحية الشكلية، عندما وافقت على إعادة تحديد المقاعد الأربعة والتسعين، وعندما وافقت أيضًا على تعديل القانون الجنائى كيما يسمح بالمزيد من السلطات ضد البلطجة، وعندما وافقت أيضًا على الأحزاب التى ينشئوها مرشحون تعساء يمكن اغتيالهم فيما بين الترشيح والانتخابات لكى يحل غيرهم محلهم، وعندما سمحت لموظفى الانتخابات المحليين الذين يواجهون بالإضرابات أثناء النهار، بتأجيل انتخابات دوائرهم. استشعر الخصوم سوء النية والترصد فى هذه النصوص.

كان آكنتولا، شأنه شأن أوكوتاى - إيبوه فى إقليم الغرب الأوسط، قد قام بمبادأة إقامة علاقات شخصية مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كادونا، مستهدفًا بذلك الحماية الذاتية، أما الهدف الرئيسى فكان التأكد من الحجب التام لأولوو، بوصفه الحارس الأمين على وعى الأمة اليوروباوية المقيدة فى الأغلال. كان هذا الهدف مستساغًا ومقبولاً من أصدقائه فى كادونا، على الرغم من أن المستشار السياسى الرئيسى كان ينظر إليه باعتباره قطعة مهمة على رقعة الشطرنج أكثر منه رفيقًا أو زميلاً، كان الدعم الذى يحصل عليه حزب جماعة العمل فى الحزام الأوسط يثير بصفة دائمة شكوكًا مفادها أن تسلل مملكة أويو تجاه الشمالى فى القرن التاسع عشر، بدأت

تدب فيه الحياة من جديد. كان وجود مرشحى آكنتولا الرمزى فى الوزارة الفيدرالية لا يفعل شيئًا سوى إيقاد جمار حزب جماعة العمل، على الرغم من أن وجهة نظر رئيس الوزراء فى هذا الأمر وحنينه إلى حكومة وحدة وطنية، كانت تقوم على أساس أن وجود وزراء يوروباويين ضمن هذه الوزارة يمكن أن يكون بمثابة الطيور على أشكالها تقع. لكن إذا ما نظرنا إلى مسألة وجود علاقة شخصية أو حزبية بين الرئيس آكنتولا والسير أحمد بللو، على هذه الخلفية، فإن ذلك يعنى أنه فى حال الانهيار القانونى الوشيك وانهيار النظام الوشيك أيضًا، لابد من مساندة ودعمها حكومة آكنتولا، التى لا تستحق مثل هذا الدعم، وذلك على الرغم من ازدراء البلاد كلها لسلطة هذه الحكومة السياسية، وكانت حكومة الدكتور أكبارا فى الإقليم الشرقى معنية أصلاً بشق ذلك التحالف الكادونى - الإيبادانى، بدلاً من دعم آدجبنرو نائب الرئيس أولوو الضعيف ومساندته. وفيما يتعلق بالمواطنين اليوروباويين الغارقين فى التفكير، فإن القسم الأكبر منهم، كانوا يظنون أن أبناء جلدتهم محرومون من الوصول إلى السلطات الفيدرالية الحقيقية، أما المتعلمون فقد خاب أملهم فى الهبوط المفاجئ للمعايير السياسية، يزاد على ذلك أن الحضر، والفلاحين النابهين، وكذلك العاطلين كانوا يستخفُّون بالأثرياء الجالسين فى الكراسى الخلفية فى سياراتهم الكبيرة. هذا يعنى أن انعدام الثقة تحول إلى بندقية، فى حين كان أفراد الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى الجالسون خلف الأبواب المغلقة متخذين مواقع مضادة لحكومتهم.

عندما وصلت الحملة إلى ذروتها وتواجه كل من آكنتولا وآدجبنرو بطريقة غير مقنعة فى واحد من ستوديوهات التليفزيون، هدد التحالف المتحد التقدمى العظيم برفع دعاوى قانونية ضد مسئولى لجنة الانتخابات الإقليمية فى الإقليم الغربى، بشأن قفل كشوف الترشيح، وهذه ممارسة أخرى، جرى فيها تعلم بعض الدروس لكن هذه المرة من الانتخابات التى خاضها حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى العام ١٩٦٤ . كان السيد / إيو Eyo إى إيوسا Esua لا يزال رئيسًا للجنة بحكم منصبه، لكن كل مسئولى

لجنة الإقليم الغربى، برئاسة السيد/ إس أو أوجيرنيولا Ojerinola، كانوا قد جرى تعيينهم بواسطة لجنة الخدمة العامة فى الإقليم الغربى، وقد يبدون أقل استقلالاً لهذا السبب. ترددت أيضًا مزاعم أخرى مألوفة مفادها أن بعض الترشيحات جرى جعلها أمرًا مستحيلاً عن طريق اختطاف موظفى الانتخابات المعنيين بالأمر. وبحلول اليوم الثلاثين من شهر سبتمبر جرى إعلان فوز ستة عشر مرشحًا بالتزكية من الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى فى شرق الإقليم وشماله (من بينهم ثلاثة وزراء جالسين وسكرتيران برلمانيان)، وبقيت الترشيحات فى خمس دوائر أمرًا غير مؤكد. كان خصم أكنتولا الوحيد فى دائرة أُجبوموشو Ogbomosho قد انسحب قبل ذلك بأسبوع (الأمر الذى أدى إلى ارتياح أمه العصبية) عندما بلغته أخبار ترشيحات التزكية فى بعض الأماكن الأخرى، كما أرسل المستشار السياسى الرئيسى لنظيره برقية تهنئة. سافر أكنتولا إلى ليجوس ليؤكد من جديد لرئيس الوزراء (الذى وُجِدَ بصحبة رئيس وزراء الشمال) أن التصفيق الاستحسانى الحماسى الذى حظيت به مقاعد التزكية (والتى اشتملت أيضًا على نائبه الخاص فانى - كايود من بين خمسة فى منطقة الأيف وحدها) كان أمرًا مبالغًا فيه، وإذا كان هناك ٢٠٩ مرشح يتصارعون على ٧٨ مقعدًا، فذلك يعنى أن التحالف المتحد التقدمى العظيم يمكن أن يفوز فى الانتخابات فى يوم إجرائها، على الرغم من توقعه فوزًا ضيقًا فيها.

كان المستشار السياسى الرئيسى قد سار فى المسار نفسه إلى أن وصل إلى إيلورن Ilorin مستهدفًا بذلك مساندة الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى، قبل أن يهيئ الاضطراب لحكومة الإقليم الغربى فى اليوم التاسع عشر من شهر سبتمبر فرصة حظر تسيير المواكب الشعبية والاجتماعات لمدة شهرين، وبذلك تكون الحكومة قد قصرت أنشطة السياسيين على إصدار الكتيبات والطواف التماسًا لأصوات الناخبين، قبل أدجبنرو ذلك الحظر، على الرغم من وصف أُكبارا له بأنه "إجراء إرهابى صرف". فى ذلك الوقت كان هناك حوالى ٢٠٠٠ رجل إضافى من رجال الشرطة، فضلاً عن أن

بعض الجنود كانوا فى وضع الاستعداد، وجُه إلى أم إيه إيبكوى، المساعد الإجباوى لمفوض الشرطة، والمسئول عن الوحدة خفيفة الحركة، اتهام من قبل أصحاب المصالح الحزبيين، مفاده أنه تجاهل أودوفن Odofin بللو Bello مفوض شرطة الإقليم الغربى، أثناء اتخاذه لقراراته المهنية الاستراتيجية.

سعى التحالف المتحد التقدمى العظيم الذى كان يطمح إلى ترشيح ٦٢ من حزب جماعة العمل، ٣٢ من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، إلى الحصول على تمديد فترة إيداع المستندات المحددة بثمانية أيام لتصبح أحد عشر يوماً، زعم الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى أن ذلك يعد دليلاً على أنهم عرفوا أنهم انهزموا فعلاً. كانت بيانات الأحزاب وبرامجها قد نشرت قبل خمسة أيام فقط يوم التصويت، وهذا دليل كاف على أن الخيار الانتخابى الحقيقى لم يكن له أية علاقة بالسياسة الاجتماعية أو الاقتصادية. كانت مشكلة التحالف المتحد التقدمى العظيم تتمثل فى المطالبة بإطلاق سراح أولوو، وقد استجاب آكنتولا لذلك الطلب قائلاً: "هذه هى الصرخة الأخيرة لرجل يحتضر"، ووعد بطريقة غامضة أن أوو "سيحصل على نصيبه العادل"، كان برنامج الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى "ميثاق عادل الأنصبة"، ويهدف بشكل واضح إلى استعادة مصالح اليوروباويين الوطنية. وعلى الرغم من مزاعم التزوير التى لا تنتهى وعلى الرغم أيضًا من الغضب من عدم فاعلية إيسوا، وعلى الرغم أيضًا من البلاغات التى لا تنتهى عن القتل، والشروع فى القتل، والتخويف، والروح التخريبية، فمن المهم القول: إن الشرطة التى وزعت نصف قوتها الفيدرالية على المواقف، توصلت إلى استنتاج مفاده أن تقدير الأخطار السياسية، يدل على أن الأسابيع الثلاثة الأخيرة من الحملة الانتخابية كانت "عامرة بالنظام نسبيًا". وأن الأسوأ هو القادم. وقام كل من فانى - كايود هو وبولا إيجى Ige من حزب جماعة العمل بتأجيج النيران. وفى عشية يوم الاقتراع جرى اغتيال مسئول من لجنة الانتخابات، رميًا بالرصاص فى مكتبه فى إيبادان، كان الجنود قد جرى وضعهم لحراسة صناديق الاقتراع والناخبين، وقامت

الشرطة بتعزيز نصوصها الأمنية الجماعية، وألقت القبض على العديدين من زعماء المعارضة، لأخذ أقوالهم في هذه الواقعة.

أجريت الانتخابات في اليوم الحادى عشر من شهر أكتوبر. قام مسئول الانتخابات في لجنة من اللجان، بتأجيل الانتخابات، تنفيذًا للقواعد المرعية الصارمة، وهنا قام أتباع التحالف المتحد التقدمى العظيم بإحراق عشرة منازل. غضب زعماء الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى لما شاهدوه واعتبروا ذلك استجوابًا منحازًا من الصحفيين عن التزوير الانتخابى واسع النطاق إن لم يكن على المستوى العام كله، وعن أخذ أشخاص من غير المرخص لهم ليوضع في حوزتهم اثنا عشر صندوقًا مليئة ببطاقات الاقتراع، كان زعماء الحزب الديموقراطى النيجيرى يودون الوقوف على الأسباب التى جعلت المراسلين الصحفيين يحققون أيضًا في العنف الواضح من جانب التحالف المتحد التقدمى العظيم والتلفيات التى حدثت في الممتلكات. ونظرًا للتوترات التى لحقت بعملية الإدلاء بالأصوات، فقد توقفت عملية التصويت قبل الموعد المحدد لها في دائرة أدجبنرو الانتخابية في بلدة إجبا Egba جنوب، وجرى إبعاد صناديق الاقتراع ووضعها تحت حراسة الشرطة، وتحت مراقبة أيضًا من الخارج بواسطة أمناء حزب جماعة العمل، في انتظار رأى المحكمة. وأُبلغ عن وفاة خمسة أفراد في مشاجرات متفرقة في أماكن أخرى أثناء النهار، توفى منهم اثنان بسبب طلقات نارية أثناء المظاهرات التى قام بها التحالف المتحد التقدمى العظيم في منطقة سوق موشن في مدينة ليجوس التى جرى التخلى فيها عن عملية الاقتراع، وجرى فرض حظر جزئى بعد انتهاء عملية الاقتراع. وفي صبيحة اليوم التالى لقى وزيران من وزراء الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى هزيمة كاملة، لكن تبقت هناك أيضًا ثلاثة وثلاثون نتيجة لم تصل بعد، وأعلنت لجنة الانتخابات الإقليمية في الإقليم الغربى فوز الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى بواحد وخمسين مقعدًا، وهذه أغلبية واضحة في ضوء ٩٤ مقعدًا هى عدد المقاعد الإجمالية. وبناء على هذه الأرقام الرسمية، المؤيدة من

سكرتير اللجنة، قام الحاكم الرئيسى أوديلى Odeleye فدهانسى Fadahunsi بإعادة تعيين الرئيس صمويل لادوك أكنتولا رئيسًا لوزراء غرب نيجيريا، طبقًا لنصوص الدستور، وحلف الرجل اليمين فى صباح يوم الأربعاء المصادف للحادى والثلاثين من شهر أكتوبر.

بعد ذلك بوقت قصير أصبحت الأرقام ٣٧ مقعداً للحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى، ١٥ مقعداً لحزب جماعة العمل، ومقعدين لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، مع أوندو Ondo المركزية، وإجبا Egba جنوب، ومقعدين فى حى موشن فى ليجوس لم يعلن عنهما. ومثل أحزاب المعارضة كلها التى لم تتفهم بعض حالات الرفض، راح حزب جماعة العمل يتصايح منادياً "بالتصويت" طوال ثلاث سنوات، ولم تنته الأمور مثلما انتهت إليه بهذه الهزيمة الكاملة. وهنا راح كل من أدجبنرو هو والتحالف المحلى المتحد التقدمى العظيم يتعصبان لأرقام الاقتراع الخارجى، ووصل بهما الأمر إلى حد استعمال الخيال مع بعض المسئولين العائدين الأقل قناعة، أو الإعلانات غير الواضحة الصادرة قبل إبلاغ اللجنة بالنتائج، وزعما فى نهاية المطاف من خلال كوه شمعه فى منزل أولوو فى إيبادان أنهما حصلا على ثمانية وستين مقعداً.

يصعب علينا فى ضوء الانتخابات النظيفة والسليمة، وفى ضوء التسليم بالمسلمات اليوروباوية المعاصرة يستحيل علينا تحديد مَن من هذين الجانبين سيكون أقرب إلى النتيجة الحقيقية. تجمهر أولوو هو والزعماء اليوروباويون الاجتماعيون والاقتصاديون فى إجيبو Ijebu وفى إجبا Egba، ومع ذلك كان لأكنتولا أنصار ومتعاطفون فى كل من أجيبو، وأبيوكوتا، وأندو Ondo، لا يساورهم الخوف مطلقًا. جاءت مساندة أولوو فى إيكيتى من أولئك الذين كانوا يكرهون أوييو، وليس من قبيل التفضل من جانب سياسة حزب جماعة العمل. كان حزب جماعة العمل قد فاز فوزًا مقنعًا فى إجيبو وإيكيجا شمال، مثلما فعل الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى فى إيبادان، لكن حدث فى

الأماكن الأخرى انقسام كبير فى الأصوات بين المرشحين (وإذا ما نحينا مقاعد التزكية جانبًا) نجد أنه لم تحدث انتصارات حاسمة. واقع الأمر أن آدجبنرو قال فى بداية الأمر إنه سوف يحترم الدستور إيذانًا بسيل من الالتماسات الانتخابية، لكن الرجل انتقد بشدة تعامل اللجنة مع الانتخابات، وبخاصة الأسلوب الحاسم الذى لجأت إليه فى إعلان النتائج، وأضاف أنه سيضع هذه المخالفات أمام الحاكم.

من سوء الطالع أن الدكتور أُكبارا ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، عقد أُكبار مؤتمرًا صحفيًا، وراح يشوه صدى إصدار الإقليم الشرقى على أرقام التعداد الأصلية، والتى أعلنت على الملأ إعطاء الرقم ٦٨ مقعدًا للتحالف المتحد التقدمى العظيم، واعتبار ذلك الرقم أساسًا "لانتصار" الحاج داود آدجبنرو "المدوى". لم يعلن هذا الخبر من محطة إذاعة الإقليم الشرقى هى وواحدة من الصحف القومية فقط، وإنما أذاعته أيضًا محطات الإذاعة السرية المتحركة داخل إيبادان أو حولها، فقد نشرت هذه الإذاعات خبر فوز التحالف المتحد التقدمى العظيم، وأن آدجبنرو هو الذى سيشكل الوزارة (التى أشير إليها فى بعض الأحيان على أساس أنها وزارة تنفيذية مرحلية) من تسعة وزراء اسماؤهم محددة. أدى التعليق السياسى المرافق لذلك إلى إثارة نوع من الارتباك والمرارة. راجت بعض الشائعات التى مفادها أن الأرقام التى أعلنت بطريقة غير صحيحة فى مراكز الاقتراع اختلفت كلها عن الأرقام التى أعلنتها لجنة الانتخابات، وأن موظفى الانتخابات تغيبوا عن عمد فى ست عشرة دائرة من دوائر "التزكية"، وأن الناخبين أُمسك بهم وهم يضعون فى جيوبهم مئات من البطاقات الانتخابية، وأن صناديق الاقتراع امتلأت قبل بدء عملية الاقتراع، وقيل أيضًا إن البلاطجة فى شرطة الحكم المحلى أبعدوا عناصر الاقتراع وضربوا الأبرياء. وربما كان ذلك كله صحيحًا وربما يكون صادقًا بعض الشىء. على كل حال، لقد نفذ منذ البداية الصبر المطلوب لتحرى مسألة التزوير، التى اقتنعت بها أطراف كثيرة، والصبر المطلوب أيضًا لسماع رأى المحكمة فى الالتماسات المقدمة لها بالطريقة الصحيحة، وبذلك يكون المشعل قد

أطلق شرارته إلى برميل البارود. من هنا فإن أية توصيات تصدر عن لجنة الدكتور السياسى الدستورية، حول مسألة التكامل مع سير الانتخابات المستقبلية والإشراف عليها يكون قد فات أوانها.

واصل أنصار التحالف المتحد التقدمى العظيم نشر شائعاتهم الزائفة التى مفادها أن الحاكم التقى التحالف المتحد التقدمى العظيم، وسوف يعين آدجبنرو رئيساً لوزراء الإقليم، الأمر الذى أتاح الفرصة للرئيس فداهونسى فرصة رفض تفسير وضعه القانونى لآدجبنرو شخصيًا. كان قاضى القضاة فى الإقليم الغربى، السيد/ آدنيكا مورجان قد أعاد الدعوى الخاصة بزعماء التحالف المتحد التقدمى العظيم، المحتجزين، بتهمة كافية الأدلة إلى أن يتيسَّر ما ينقضها، الأمر الذى يمنعهم من أن يصبحوا رؤساء للوزراء والحكومة. وجرت ملاحقة المؤلف والشاعر الكبير وول Wole سونيكا Soyinka، الذى كان يشغل منصبًا كبيراً فى قسم الأخبار بإذاعة الإقليم الغربى، لقيام أحد أشقياء الدعاية فى التحالف المتحد التقدمى العظيم باستبدال شريط مسجل عليه خطبة أكنتولا للإذاعة. أبلغ آدجبنرو الصحافة قبل سماع قضيته أمام المحكمة أنه كان "مستعداً" فقط للتصرف بوصفه رئيس وزراء قانونى إذا ما طلب منه ذلك، وهذا هو ما ينبغى أن يكون، وأنه سوف يواصل سعيه إلى هذا الهدف بالطرق القانونية. تواصلت الاضطرابات والمتاعب وجرت مهاجمة نزل فداهونسى الخاص فى إليشا Ilesha، وهاج طلاب جامعة إيبادان واشتبكوا مع الشرطة، وجرى تفريق نساء سوق موشن بالغاز المسيل للدموع عندما سرن فى احتجاج سلمى حول منزل رئيس الوزراء احتجاجًا على الأسعار.

أكدت الصحافة على الحملات الحزبية الرذيلة، لكن العناصر الصحفية المعتدلة وحدها هى التى اقترحت على الأحزاب المتنافسة التفكير فى المستحيل وأن تجلس مع بعضها البعض لتناقش التقاسم المتواضع للسلطة، وإلا فإن الحاج السير أبا بكر، ذلك المحايد النيجيرى، سوف يتولى هو قيادة توجيه هذه الأحزاب. كان هناك حظر على

بعض الصحف فى الإقليميين الشرقى والغربى، وحاولت بعض الحكومات المحلية منع المستمعين من الاستماع إلى الإذاعات الصادرة من الإقليم الشرقى. نادى الرئيس أولوو Olu آكنفوسايل إلى إعلان حالة الطوارئ فى الإقليم الغربى، وحسب قوله، فإن حالة الطوارئ هذه سوف تستمر من شهر إلى ثلاثة أشهر وسوف تسمح بتقصى الحقائق القضائية مثلما حدث مع الأصوات المهددة فى اليوم الحادى عشر من شهر أكتوبر، وإلا جرى عقد انتخابات جديدة تحت إشراف لجنة انتخابية جديدة يُصْدِرُ حاكم الطوارئ أمرًا بتعيينها. تحدى أكنتولا الدكتور أُكبارا فى أن يقطع ما إذا كانت إيبادان، أوشن، أو أويو، يمكن أن تصوت فى غير صالحه، أو إن كانت أوندو Ondo ستصوت لمصلحة حزب إجباوى Igbo، كانت إجيبو، وإجبا قد صوتتا فى غير مصلحة الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى لسبب مفاده أن إيبادان وأويو فعلتا الشىء نفسه – لأنهما كانتا تفضلان منافسه الشخصى - الذى باع حزبه روح اليوروبا إلى أهل الإقليم الشرقى.

خرج رئيس الوزراء، الذى كان محاصراً بسبب احترام الأشكال الإجرائية التى كان يجرى تنفيذها حرفيًا، عن صمته فى اليوم التاسع عشر من شهر أكتوبر، وجرى افتتاح نقاش كان مؤجلاً فى المجلس التشريعى، وقد افتتح ذلك النقاش كرباج الحكومة مختار ساركن دامباتا، وهو صديق من أصدقاء أبى بكر، جرى افتتاح ذلك النقاش "فى ضوء الدعاوى والدعاوى المضادة". قال أبو بكر: إن اللجنة المخولة قانونًا إعلان نتائج الانتخابات، أعلنت فوز الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى فى الانتخابات، **"وأنا أرى أن الفوضى والارتباك السائدين حاليًا فى الإقليم الغربى جرى التخطيط لهما بصورة متعمدة... على كل حال، الموقف الحالى يوضح أن الناس يمكن أن يسببوا الفوضى والارتباك عندما يريدون ذلك، ويتسترون فى ذلك باسم الديموقراطية"**. لقد بذل الرجل كل ما فى وسعه، كيما يضمن إجراء انتخابات سلمية فى الإقليم، ومع ذلك **"خسر عدد كبير من الناس حيواتهم..... وأرى أن مسألة فهم ما يدور الآن تعد أمرًا**

صعبًا، إذا كانت السياسة سوف تنقلب بهذه الطريقة على الناس الأبرياء، فأنا أرى أن من واجبنا الآن أن ننظر ونعمل فكرنا فى مستقبل هذا البلد"، والنيجيريون إذا لم يتعلموا الآن احترام الدستور والقانون، والمحاكم القانونية، فإن المستقبل سيكون كئيبًا، "الديموقراطية لا تعنى أن يفعل الإنسان ما يريد"، زعماء البلاد يتعين عليهم تناول المسائل بتحفظ كبير، "الكلام يشبه طلقات البنادق، وعندما يخرج الكلام يصعب استرداده". الآن، وطوال الأسابيع المتبقية، بقى وزراؤه واقفين خلفه (وهذا هو حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين يستحوذ على القسم الأكبر من الحقائب المهمة ورئاسات مجالس الإدارة المهمة)، على الرغم من أن الرجل كان يرغب فى الوصول إلى حل وسط، لكن لم يدر فى مجلس الوزراء سوى القليل جدًا من النقاش، فى حين تمثل القسم الأكبر من العمل فى أمور تنفيذية.

لم يكن الاعتدال جزءًا من مفردات الطوائف التى لا تعرف الحلول الوسط، والتى كانت تنظر إلى استمرار وجود حكومة أكنتولا فى السلطة سببًا كافيًا لإحداث التمرد التلقائى والمباشر. كان البعض ينظرون إلى بقاء أكنتولا على قيد الحياة برهانًا على عدم انهزام حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الذى يقوده المستشار السياسى الرئيسى، حتى فى ظل الديموقراطية البرلمانية، كان ضباط الجيش يرون وجود أكنتولا فى الحكم عذرًا أخلاقيًا لسخطهم وعدم رضاهم، وأن مسألة عدم انضمامهم إلى أى جانب تضع على عاتقهم مسألة تسوية الخلافات الانتخابية، مسألة وجود أكنتولا فى الحكم هى التى جعلت "الرواد Majors الإجباويين" وبخاصة أدمويجا Ademoyega يقولون: إن أبا بكر هو والمستشار السياسى الرئيسى قد ركبا الحصان الغربى المغلوط، مما جعل هذه المقولة بمثابة المنطق الذى بنوا عليه تآمرهم الناشط لإسقاط الحكومة الفيدرالية والحكومة الإقليمية فى آن واحد. كان منطق الأحداث فى الجنوب يقول إن المقاومة الفعالة لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى الذى يخشاه الجميع، يجب أن تأتى من بين صفوة من السياسيين المطلعين، أو الإدارة الحكومية، أو الجيش، أو أن تكون على

شكل خليط من ذلك كله، وأنه فى حال عدم وجود أزمة تزوير الانتخابات، لابد من وجود عذر انفعالى من خلال إضراب عمالى طويل الأجل، أو عن طريق إحداث انقلاب تيفى Tivجديد، أو التحرك فى اتجاه الانفصال.

الذى حدث هو، أن الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى راح يُحَصِّن نفسه عن طريق الأعمال التى ينظر الناس إليها باعتبارها شكلاً من أشكال القمع فى المناطق التى لم تؤيد آكنتولا. هذه الأعمال أدت، خلال فترة زمنية قصيرة، إلى تقليل الفورات الشعبية عند أقل حد ممكن، وأعطت انطباعًا بأن الأمور عادية فى نيجيريا، نظرًا لأن وزراء الإقليم الغربى واصلوا الحكم دون أن يفقدوا الثقة بأنفسهم أو غطاءً حمائيًا، ومضى تحصيل الضرائب قدمًا بالطريقة المعتادة، وجرى تخفيض أسعار شراء الكاكاو تخفيضًا كبيرًا بغية المساواة بينها وبين الحقائق التجارية. راح أدجبنرو، وهو من حزب جماعة العمل، يتحدث عن الحاجة إلى الامتناع عن الإفراط العاطفى، والصيغ الإسلامية الوضيعة التى تفرض على الحقائق الموضوعية، فى حين راح المستشار السياسى الرئيسى يلقى باللوم كله على حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. سلم وول Wole سونيكا نفسه للشرطة فى إيبادان لكنه بدأ بعد ذلك إضرابًا بالجوع. جرى رفع حظر التجوال عن إيبادان بعد أن أصبحت القوات جاهزة لتولى مقاليد الأمور، لكن حدثت بعض جرائم الحرق المتعمد فى إجبا، وأُبلغ أيضًا عن بعض حالات الهجوم على البشر من الخلف بغية السلب فى سوق موشن Mushin، وألقى باللوم فى بعض الظروف الأخرى على حرمان طبقة متدينة فى إطار مجتمع ثرى، وأن ذلك يعد نوعًا من الإجرام الانتهازى، المرتبط بانتفاضة نتيجة إساءة استعمال المخدرات، الذى يؤدى إلى تشجيع البلطجة المستأجرة. على كل حال، لقد اتضح ذلك أيضًا فى مضارب الحماية التى توفر الحماية لأولئك الذين يحملون رموز أوراق النخيل الخاصة بحزب جماعة العمل، أو أولئك الذين يشيرون باستخدام علامة النصر التى استعملها تشرشل. أصبح واضحًا أن المحتجين سواء أكانوا أم لم يكونوا مدركين للهدف الثانى الذى

يتمثل فى زعزعة استقرار الحكومة الفيدرالية النيجيرية، لم يكونوا مبالين بمسألة تفكك البلاد وانهيارها. لم يكن الناس كلهم يدركون أن آكنتولا قد تراجعت شجاعته وبدأ يضعف، وهذه هى ابنته الحبيبة أوموديل Omodele، التى كانت ناشطة سياسية نائبة عنه، تموت ميتة مأساوية بعد أسبوعين من إجراء الانتخابات (كان أصغر أبناء آكنتولا قد أوفد إلى كلية إيتون Eton فى إنجلترا، وقد حاول خصومه الاستفادة من ذلك).

التقى الحاج السير أبو بكر وفداً من الطلاب فى جامعة إيبادان فى اليوم السادس عشر من شهر نوفمبر، وأبلغهم أنه لا يزال غير عازم على تعليق حكومة الإقليم الغربى أو إعلان حالة الطوارئ، وأن التحالف المتحد التقدمى العظيم يتعين عليه البحث عن علاج للمظالم المبررة فى المحاكم، لم يسمح أبو بكر بأى شكل من أشكال القياس على الانقسام الذى حدث فى العام ١٩٦٢ بين حكومتين قائمتين، وهو ما عجل باتخاذ ذلك القرار الباكر فى المجلس الفيدرالى، ومن وقتها أصبحت هناك حكومة واحدة دستورية، وليس هناك أيضًا أى قدر من العنف يثبت عكس ذلك. يزاد على ذلك أن أبا بكر خسر أحلامه، وإن شئت فقل أوهامه، عن كفاية حكومة الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى الإيبادانى فى استعادة النظام، لكنه يئس من استعداد زعامة التحالف المتحد التقدمى العظيم فى إينوجو، لمساندة هيمنته الفيدرالية بطريقة ديموقراطية. كان التحالف المتحد التقدمى العظيم، على حد علم أبى بكر، قد جمع أدلة كافية عما اسماه أوكوى Okoi آركبو Arikpo "التزوير الذى لا ينتهى وليس له مثيل"، بدءًا بإعادة تحديد الدوائر الانتخابية، إلى ما بعد ذلك. كان بوسع هذا التحالف الادعاء شكليًا بأن العنف ـ نظرًا لسوء استعماله ـ لم يكن منظمًا أو موجهًا على المستوى المركزى، وأن ذلك كان أمرًا بديهيًا وواضحًا، وأنه من عمل بعض الأفراد الذين عبروا عن احتجاجهم بالطريقة التى يرونها. لكن زعماء التحالف المتحد التقدمى العظيم راحوا، بدلاً من المخاطرة بالعملية القانونية، يبرزون مسألة أنه قبل أسبوع واحد شطبت حكومة إيبادان العالية أربعة عشر التماسًا انتخابيًا فيدراليًا من التماسات

العام ١٩٦٤ قدمت فى غير الموعد المحدد، ومضى هؤلاء الزعماء إلى القول: إن هذه الالتماسات مضيعة للوقت والمال، "وإن الرأى العام" ينبغى أن يكون هو العامل الحاسم فى هذه المسألة. كان من رأى بعض آخر من الناس أن ما يحدث إنما هو نتيجة مباشرة لتكاسل الجانبين وخمودهما فيما يتعلق بالمظاهرات وعمليات الحرق المتعمد، التى مورست بشكل بربرى غير متحضر، وبالطريقة التى تسمى "البليل" wetting (يقولون لها بالعامية "عملية weti-e")، التى يقومون فيها برش الخصوم بالبنزين ثم إضرام النار فيهم بعد ذلك. ويجىء الحاج أمين كانو من نيويورك، مرعوباً ليسمع عن السيارات التى أُحرقت والأجسام التى تفحمت، وينصح رئيس الوزراء بإعلان حالة الطوارئ مرة أخرى، لكن قيل له إن الأمور تحت السيطرة.

جاء رد فعل السيد/ إيسوا Esua المتأخر، على النقد والعار والشنار اللذين أُمطِر بهما بصفته كان رئيساً سابقًا للجنة الانتخابات فى الإقليم الغربى، على شكل رسالة جرى نشرها موجهة إلى الحاكم الرئيس فداهونسى فى اليوم العشرين من شهر نوفمبر، كانت الرسالة صريحة لكنها لم تكن فى موعدها. وبغض النظر عن الحقائق المستقبلية التى يمكن أن تترتب على التفاوض على وجود رمزى لحزب جماعة العمل فى حكومة إيبادان (ويجب ألا يغيب عنا هنا أن أبا بكر كان يتلاعب بفكرة خاصة عن منصب للرئيس أولوو بعد العفو عنه)، فإن هذه الآمال كانت قد تبددت فى ذلك الوقت. ادعى إيسوا أنه كان يكتب آراءه الشخصية، وليست آراء زملائه المفوضين، أو المفوضين الفيدراليين أو الإقليميين، فيما يتعلق بالمزاعم العامة التى مفادها أن التصرف غير الصحيح من جانب موظفى الانتخابات أسفر عن بعض النتائج المؤكدة، وأن أوراق الانتخاب جرى توزيعها بشكل غير قانونى قبل يوم الاقتراع، وأن بعض المرشحين الذين لم يحصلوا على أعلى الأصوات جرى انتخابهم، وأنه كانت هناك تصرفات غير سليمة من جانب مسئولى الانتخاب، ومسئولى الاقتراع، والمشرفين على الانتخابات.

قال إيسوا: إن التحالف المتحد التقدمى العظيم سبق أن حذر من أن الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى سوف يُزَوِّر الانتخابات ويستعمل وسائل تدعو إلى المساءلة، كيما يتمكن من إعادة مرشحى التزكية، وحذر أيضًا "أنه على الرغم من محاولة اللجنة استباق تلك المحاولات، فإن ذلك كان حقيقة سيئة السمعة" من منطلق أن بعض مسئولى الانتخابات رفضوا تسلم الأوراق، أو فشلوا فى المجىء إلى مقار عملهم (كان إيسوا نفسه قد سبق له مواجهة مسئول متغيب من الأيف Ife، كان يقوم بمهمة مريبة لا علاقة لها بالانتخابات وإنما كانت لحساب حكومته المحلية فى ليجوس)، وقال أيضًا إنه هو وزميل مفوض آخر تلقيا شخصيًا شكاوى تتعلق بمسألة تسمية المرشحين فى بلدة أدو – إكيتى Ado-Ekiti، وأُندو Ondo، وأوو Owo، وأنه جرى على العكس من التعليمات، إعلان فوز بعض "المرشحين بالتزكية"، دون أن يكون للجنة علم بذلك، وأن سكرتير اللجنة، رفض تعيين بعض مسئولى اللجنة، واستبدل بهم آخرين كانوا قد أصدروا بالفعل شهادات صلاحية لمرشحى المعارضة، وقال أيضًا: إنه من باب التعلل بأمن ترتيبات الطباعة، ومن باب تعمد وضع أوراق الانتخابات فى حوزة مفوض الشرطة بغية السلامة، وتوزيعها فى صبيحة يوم الاقتراع، فإن التقارير الخاصة "بتسرب" بطاقات الاقتراع فى كل من موشن ، وإيبادان، وأُجيبو – أود جاءت مفاجأة كبيرة، وقال أيضًا: إن رفض بعض المسئولين المجىء لقراءة شهادة الأصوات التى جرى عدُّها فى لجنة فرز الأصوات كان أمرًا غير مفهوم وأعطى مبررًا كافيًا لارتكاب الأخطاء، وقال إيسوا أيضًا: إنه هو نفسه لم يقدم أية نتائج للحكم أو لأى إنسان آخر، وإنه على الرغم من أن شرطة الحكومة المحلية كانت تحت سيطرة المفتش العام أثناء الانتخابات، فقد خاب أمله عندما علم أن بعض الرجال الذين كانوا يرتدون الزى الرسمى لم يكونوا سوى بعض البلاطجة، وأنه فى ظل القواعد الانتخابية الإقليمية لم تكن لديه أو لدى اللجنة السلطة التى تخولهم تصحيح الأخطاء، وأنه فى الوقت الذى كانت فيه اللجنة الفيدرالية وحدها هى التى لديها سلطات تأجيل أى انتخاب من الانتخابات الفيدرالية تحت أى احتمال من احتمالات الإخلال بالسلم، فإن هذه السلطة

فى الحالات الإقليمية تكون للحاكم الإقليمى من خلال مجلسه، وقال أيضًا: إن سلطة تعيين مسئولى الانتخابات، ومسئولى الاقتراع لم تكن مخولة للجنة الانتخابات وإنما لسكرتيرها، الذى كانت بطانته غير مناسبة.

قدم إيسوا مقترحات عامة متباينة عن بعض التغييرات المستقبلية، لكنه عاد ليؤكد على سبيل التماس الأعذار أن اللجنة العاجزة لا يمكن أن يُنتظر منها المعجزات. وإذا ما نحينا جانبًا تلك الجراح عن طريق إعطاء المزيد من الارتياح للتحالف المتحد التقدمى العظيم ودفع الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى إلى الدفاع الغاضب عن النفس، نجد أن هذا لم يكن مناسبًا أو مفيدًا. وبحكم أن إيسوا كان رئيسًا للجنة، كان لابد له أن يكون راضيًا عن أشياء كثيرة كان سكرتيره يقوم بها، عن طريق تدريب مسئولى اللجنة وتحذيرهم على اختلاف مستوياتهم والذين هم مرتكبوا الأخطاء حاليًا بغض النظر عن مهامهم وولاءاتهم المعتادة - وبخاصة أنهم بعد سماع أجراس الإنذار، على حد اعتراف إيسوا كان يتعين عليهم أخذ الأمور مأخذ الجد. سارع رفاق إيسوا فى الإقليم الغربى إلى الابتعاد عنه، لكن الرجل فشل بشكل مؤسف فى إثبات ما إذا كانت الأخطاء التى حددها هنا، دون أن يورد أية أدلة على ذلك، هى نفسها أو الطريقة التى حدثت بها، قد أثرت على دوائر بعينها أو على الدوائر كلها. يزاد على ذلك أن أحدًا لا يصدق أن الرجل كان بلا سلطات تجعله يصر على جعل مسئولية الإقليمين (بغض النظر عن انشغالهم) يزودونه بالمعلومات التى يحتاجها، وتنفيذ تعليمات اللجنة. لو كان بوسعه ذلك كله، فلماذا لم يفعل شيئًا فى ذلك الوقت؟

تحتمت صلابة الرأى، وراح الرجال الشرفاء يفقدون الأمل فى مستعملى السلطة لعدم احترامهم لنصوص الدستور، وبدأت الفوضى تدب من جديد بين الجماعات الإرهابية والمواطنين على امتداد الشهرين التاليين على الطرق الرئيسية فى الإقليم الغربى وداخل مناطقه المبنية. وحدث الأسوأ فى مقاطعتى إجيبو وإجبا، اللتين أُعيد إليهما مرشحوا التحالف المتحد التقدمى العظيم، وزعم الحزب الديموقراطى الوطنى

النيجيرى أن السواد الأعظم من الضحايا كانوا من مؤيديه. منع مشروع الشركة الزراعية المتحدة كبار موظفيه من السفر بطريق البر أثناء قيامهم بعملهم داخل الإقليم. فى شهر ديسمبر أصدر رئيس الوزراء أوامره إلى قوات الأمن المدنية الفيدرالية بالسيطرة على الموقف، الذى وتَّر الشرطة فى ليجوس وفى الإقليم الغربى توترًا يفوق قدرات هذه القوات، الأمر الذى جرَّد الشمال أيضًا من قوة أمن الخط الأول الموجودة فى الاحتياطى الاستراتيجى. الواضح أن الشرطة لم تكن متحمسة لعملها بحق وحقيقة. أدى وجود بعض الضباط والكونستبلات "الهوساويين" بين رجال الشرطة إلى زيادة الإيلام الذى لقوه على أيدى المضربين، على الرغم من أن الشرطة كانت أقرب إلى الجيش لكونها قوة فيدرالية مختلطة، طرأت زيادة كبيرة وخبيثة على العنف بين اليوروباويين وبين العاديين والهوساويين المتحضرين (الذين كان يغلب عليهم التعاطف مع الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى). تمثلت النتيجة العملية فى دعم أكنتولا دون إخماد العصابات. سمح التحالف المتحد التقدمى العظيم فى نهاية المطاف، بانقضاء يوم تسجيل الالتماسات الانتخابية، متعللاً بعذر لإنقاذ ماء الوجه مفاده أن تعليق حكم أكنتولا يجعل من التقدم بهذه الالتماسات أمرًا غير ضرورى.. اصطحب الحاج السير أبو بكر، فى نهاية شهر نوفمبر كلا من أكنلوى Akinloye وروسيجى Rosiji إلى كادونا، حيث كان كل من أكنتولا، وفانى - كايود، محاميهما العام، وأكنجيد Akinjide يتشاورون مع المستشار السياسى الرئيسى. كان أكنتولا عنيدًا من منطلق أن كل ادعاء على حكومته يمكن إقامته بالقوة نفسها على أية حكومة من حكومات الأقاليم الأخرى. وافق المستشار السياسى الرئيسى على حتمية استعمال المزيد من القوة، لكن لم يكن هناك إجماع على متى وكيف يستخدم هذا المزيد من القوة، ورؤى أن من الأفضل ترك التصرف فى هذا الأمر لأكنتولا. يجىء أمين كانو إلى نيجيريا مرة أخرى فى شهر ديسمبر ليبلغ الحكومة تقريرًا من الأمم المتحدة عن قبرص، وهاله عدم حدوث شىء منذ الشهر السابق.

لكن مـا الذى يمنع أبا بكر من إعـلان حـالة الطوارئ وتعـيـين حـاكم طوارئ مـرة أخـرى، إذا مـا نحـينا جـانبًـا ذلك الميل الإنسـانـى الواضـح إلى عـدم تشـويه انطبـا ع الكمنولث عن الديموقراطية البرلمانية التى تعمل عملها فى نيجيريا إلى ما بعد انتهاء مؤتمر ليجوس الناجح الذى انعقد لاتخـاذ إجراء ضـد عرقيـة الخـاصـة فى روديسـيا الجنوبية (هذا المؤتمر الذى كان يهدف إلى سـحب رئاسة النادى الدائمة من بريطانيا وجعل مبادأة العنصرية السبب الجوهرى أمام النادى)؟ حديث أبو بكر الدستورى العام والمنطقى إلى طلبه جامعة إيبادان، والذى أسفر لسوء الحظ عن رفض الموافقة على الملأ بأن الانتخابات جرى تزييفها فعلاً، جرى شرحه وتفسيره بالفعل. كانت الفكرة التى فى ذهن أبى بكر ولم يفصح عنها تفيد أن إعلانًا من هذا القبيل يمكن أن يزيد الأمر سوءًا. وبذلك لا يمكن أن يجىء ذلك الإعلان استسـلامًا آخر لأولئك الشـامـتين الذين يرون أن الديموقراطية لم تنج فى إفريقيا. أما الجيش الذى من المفترض أن يساند القوة المدنية، لم يكن من الجائز له التوقف عند مجرد استـعادة النظام، وبخـاصـة إذا مـا أخذنا بعين اعتبارنا قـائده المتردد غير الحـاسم، وروّاده المتململين المسيسين، لو جرى استـعـادة النظام، لكن بتكلفة كبيرة يتحملها رجل الشـارع، لتعـالت أصـوات المتمردين بأن هذه الحكومـة تصـرفت ضـد الإقليم الغربى فـقط، وذلك على مـا يبـدو بسـبب عـدم وثوقـهـا المرضـى بأولوو وكل من يشـاركونه أصـوله، كم سيكون الأمـر سـهلاً، لو أن النـاس تعبوا وهدأت الأمـور، على نحـو يجـعـل مـثيرى الشـغب يتـجـهـون صـوب حل وسط مـجـز على الطريقة النيجيرية.

على كل حال، كانت هناك أيضًا بعض المصاعب العملية الشديدة. لو قدر لأبى بكر تولى السلطات التى تخول له توجيه العمليات من خلال تصرفات الجيش، فإن أى تهديد للاتحـاد الفـيدرالى يتعين التـحقق منه، وعلى الرغم من أن المحـامين العـاديين يمكنهم دون شك تحديد مثل هذا التهديد، فإن الأجزاء الرئيسية من نيجيريا التى تتمتع بالسلم والنظام ستكون هى الأخرى معرضة للأحكام العسكرية. ومما لا شك فيه، أن ترك جثث

تلك القلة القليلة من الأوغاد التى عُثر عليهم وفى حوزتهم أسلحة غير قانونية، فى الشوارع كان كفيلاً بإسكات الإقليم الغربى وتهدئته خلال أربع وعشرين ساعة (مثلما حدث أثناء تمرد العام ١٩٦٦)، لكن ذلك لو تم باسم رئيس الوزراء وعلى شكل مساعدة واضحة لآكنتولا، سيكون منافياً للطبيعة.

تمثل الحاجز البسيط أمام تشريع نموذج الطوارئ فى العام ١٩٦٢ طبقًا للمادة ٧٠ (فقرة٣) من الدستور فى أنه ولأول مرة، فإن ممثل الحكومة فى ليجوس، الذى ضعف بسبب افتقاده محمد رباط الشجاع الذى لا يخاف، كان مشلول الحركة لأنه لم يكن زعيم حزبه. لم يكن الرجل واهنًا ومشغولاً فحسب بالمسئوليات الخارجية (سبق أن قلنا، إنه كان مشغولاً بقضية قبرص، حتى وإن كان الأشخاص المعنيون بنيجيريا غير معنيين بهذه المسألة - لأن الأحداث التى من هذا القبيل فيها دروس لنيجيريا، وربما فى يوم من الأيام، مثلما حدث فى روديسيا، تحتم على نيجيريا المشاركة فى مبادأة من مبادآت الكمنولث لحل هذه المشكلات)، وإنما كان غير متيقن من الحصول على أغلبية ثلثى الأعضاء فى مجلس البرلمان. كان للحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى ستة وثلاثين مقعداً من أصل ٥٧ مقعداً من مجلس النواب فى الإقليم الغربى، وكان له أيضاً ٢١ وظيفة على مقاعد الحكومة. مع العلم بأن كلاً من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وحزب جماعة العمل، كانا يطالبان بإعلان حالة الطوارئ، هو الذى جعل رئيس وزراء الإقليم الشمالى يصر على بقاء آكنتولا فى السلطة، والإبقاء على انقسام زعماء الجنوب، على الرغم من تحذيرات أهل الخبرة من ذوى السلطة مثل الحاكم السير كاشيم إبراهيم. لم يكن أيضاً أحد من وزراء ليجوس واثقًا من ذلك الذى دار بين آكنتولا والمستشار السياسى الرئيسى عندما التقيا على انفراد، أو ذلك الذى يتوقع لأعضاء حكومة إيبادان القيام به، عقب قيام الجيش بالتدخل، واقع الأمر أن كثيرين من أهل الشمال كانوا يظنون أن المستشار السياسى الرئيسى كان يقاوم التوسل والرجاء من جانب آكنتولا، كى يطلب من الحاج السير أبى بكر إرسال الجيش لدعم حكومته

وشل حزب جماعة العمل. قال رئيس وزراء الشمال لحاكمه، "أظن أن الموقف أصبح الآن فى أيدينا، لأننا اجتمعنا بكل قادة الإقليم الغربى، بما فى ذلك الجنود ورجال المال والأعمال. وقد اتفقوا جميعًا، بما فيهم أوو، على تسوية المشكلة. وسوف يجرى احتواء الموقف فى الإقليم الغربى خلال أيام قلائل". لو طلب إلى شاغلى المقاعد الخلفية من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى التصويت ضد أى قرار حكومى، مهما كان افتراضياً، سوف يجعل من انقسام البلاد أكبر حدث انقسامى على المستوى الوطنى، وتصبح مسألة خلافة أبى بكر فى منصبه عاملاً غير محدد. ومع ذلك، انزعج كل من المستشار السياسى وأكنتولا من مساندة رئيس الوزراء غير الحماسية لحكومة يشكلها الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى، وتحيرا أيضًا من ثقته الواضحة فى بروز حل لهذه المشكلة. ومن الواضح أن البديل النظرى لا يمكن أن يتبلور، فى أن تطلب حكومة الإقليم الغربى رسمياً وبنفسها مساعدة عسكرية فيدرالية لتكون دعمًا للقوة المدنية، كما أن حكومة الإقليم الشرقى لن تطلب من أتباعها ومؤيديها أن يهبوا من أجل الوحدة الفيدرالية الجماعية.

واقع الأمر أن مطلع شهر ديسمبر شهد فترة قصيرة تراجعت خلالها المبالغات الأكثر سوءًا، هذا إذا ما نحينا جانبًا ذلك الاشتباك الذى حدث فى أيكنى Ikenne بعد احتفال أقيم بمناسبة عيد ميلاد حرم أولوو الخمسين. أحس أيو أجيبولا Ajibola وزير الحكم المحلى فى الإقليم الغربى، أنه قادر على تأكيد أن الاضطرابات التى حدثت مؤخرًا لم تكن نتيجة للخلاف على الانتخابات وإنما كانت بمثابة الملاذ الأخير للحقد الدفين على أعضاء السلطات المحلية من قبل خصومهم السياسيين، وأن هذا الحقد إنما جاء نتيجة للضرائب العرفية، وإساءة استعمال المحاكم التقليدية". كان هناك أكثر من عنصر فى هذه المسألة، لكن الاحتياطات الأمنية المشددة جرى اتخاذها لحماية اجتماعات مجلس إيبادان فى اليوم التاسع من شهر ديسمبر، وبخاصة أن هذين المجلسين يتحتم انعقادهما من الناحية الدستورية خلال ثلاثة أشهر من الحل. جرى

حظر الاجتماعات، كما فرض حظر التجول من غروب الشمس إلى طلوع الفجر قبل اجتماعات المجلس بيومين. لم تكن المقاعد كلها قد شغلت (وكان مقعد آدجبنرو شاغراً بسبب التماس مقدم إلى المحكمة العليا بطلب إعادة عد الصناديق المصادرة فى دائرة إجبا جنوب ١). قاطع التحالف المتحد التقدمى العظيم، فى هدوء فى تلك الأثناء، ذلك الاجتماع، الذى كانت فيه بعض الجوانب المشجعة حتى وإن جرى تقديم الخطب باعتبارها خطباً من المستوى الثانى وليست من المستوى الأول. قال الرئيس فانى كايود، نائب رئيس الوزراء إن الأبرياء من الناس الذين لم يعرفوا شيئاً عما كان يدور فى الخفاء، جرى التعدى عليهم وكانوا يقتلون كل يوم – هؤلاء المجرمون الخارجون عن القانون ينبغى عليهم مواجهة الحكومة، التى كانت خصماً لهم أولاً وقبل كل شىء. ناشد الرئيس فانى كايود المعارضة الانضمام إلى الحكومة، فى اتجاهها صوب لب مشكلة السلطة، وذلك من باب ترديد أصداء آمال رئيس الوزراء الفيدرالى وتلميحات الرئيس آكنتولا رئيس وزراء الإقليم: "الإقليم فيه ما يكفى كل إنسان. دعونا نتحد! سوف ننظم هذا الإقليم على نحو يسمح لكل واحد منا "بتقاسم الحياة"، والطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك هى الوحدة". صحيح أن إصدار قانون تحريم بيع لعب الأسلحة النارية وذخيرتها أو شرائها كان يهدف إلى انقضاء انتحال الشخصية، لكنه أدى إلى شىء من السخرية والازدراء.

جرى عقد المزيد من الاجتماعات التى تسعى إلى إيجاد صيغة للسلام، فى منزل ملك Ooni الأيف فى إيبادان، لكن هذه الاجتماعات باءت بالفشل. جرى إنزال الحكام الأصاغر الموالين لحكومة آكنتولا عن عروشهم فى كل من إجيبو وأُندو. وهنا عاد من جديد البلاطجة، الذين كان كفلاؤهم يريدون كل شىء أو لا شىء، إلى القتل والحرق العمد من جديد، ووصل الأمر إلى حد قيام هؤلاء البلاطجة "بتبليل" رئيس Oba محلى تعيس بالبنزين هو ورجل تعيس من رجال الشرطة المحلية ثم قاموا بإضرام النار فيهما. اكتشفت الشرطة وجود أسلحة وذخيرة فى إقليم الغرب الأوسط، والواضح أن

تلك الأسلحة والذخيرة كانت فى طريقها من الشرق لاستعمالها فى الإقليم الغربى. قام وفد من الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى بالتوجه لمقابلة رئيس الوزراء، سعياً إلى طرد مفوض شرطة الإقليم الغربى أُودوفُن Odofin بللو Bello. المُذْرى، أنه كانت هناك مزاعم عالية الصوت فى الخارج تفيد أن حزب هذا الوفد احتفظ برصيد محدد لاستعماله فى تحريض الشرطة. جرت تبرئة وول Wole سوينكا من تهمة سرقة شريطين مسجلين والتهديد بالعنف، وأصبح حراً وراح يواصل غرثه للأشواك فى لحم المؤسسة السميك. بانتهاء العام أصبح هناك فى ليجوس موضوع رئيسى يدور من حوله الحديث الاجتماعى، وقد تأججت نيران هذا الحديث بفعل السياسة التى كانت تنتهجها الشركة الزراعية المتحدة، وكان يتمثل فى زيادة مخاطر السفر على طرق الإقليم الغربى، إلى حد أن الزيارة التى قام بها أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى، إلى البلاد جرى التعرض لها من قبل قطاع الطرق. كان وزراء الإقليم الغربى فى ذلك الوقت يحملون بنادق يدوية، وكانت تصحبهم حراسة مسلحة، وهذا شىء كان يعرفه رئيس الوزراء حق المعرفة ويقبله على مضض. كان الناس يفضلون السفر بالقطارات على السفر بالسيارات، نظراً لانتشار قصص الاحتجاز، وطلب الفدية، وحرق السيارات، وجرائم القتل. كانت الأعذار التى تنتحل لتلك الأعمال التخويفية والمرعبة المؤكدة، أنه لم يكن هناك طريق آخر مبرر أو مفتوح لاحتجاجات حزب جماعة العمل على الحزب الديموقراطى الوطنى الإفريقى غير القيام بهذه الأعمال، التى وصلت إلى حد المبالغات. لم يكن ذلك مقنعًا لأولئك الذين كانوا يرون عنصراً مختلفًا تمامًا وراء هذا التشويه للبشر، وراح الغرباء الموغلون فى الوحشية يستغلون كل الإيحاءات التى تفيد أن كل مؤيد لطائفة من طوائف اليوروبا، قد آذى أو على الأقل استثار مؤيدا الطائفة أخرى. تفاقم الاضمحلال وانعدام الثقة بفعل الهجمات التى وجهت إلى شخص رئيس الوزراء لتركه الأمور تنفلت فى ذلك الاتجاه، وقد وُجِّهت تلك الهجمات من قبل جريدة "بايلوت" Pilot من ناحية ومؤيدى التحالف المتحد التقدمى العظيم، وبخاصة من

قبل وزير الزراعة فى الإقليم الشرقى بى إن أوكيكى Okeke، ووزير العمل فى إقليم الغرب الأوسط السيد/ أف دى لاوانسون Lawanson.

واصل الحاج السير أبو بكر تفكيره طويل الأجل من ناحية وتفكيره أيضًا فى الأمور العالمية، التى كان يمكن أن تكون مناسبة لو أنه كان مساعدًا فظًا فى القرارات العاجلة التى كانت تقف على عتبة بيته. اتفق أبو بكر من حيث المبدأ، بل إنه لم يوافق على شىء غير ذلك، مع الدكتور أُكبارا على أن الأمر بحاجة إلى بداية جديدة، وأن هذه البداية ستحتاج إلى معاونة من لجنة الدكتور السياسى الدستورية، ومن هنا تحول أبو بكر بشكل أكثر علانية إلى فكرة إشراك الرئيس آولوو، بصفته نائبًا توازنيًا لرئيس الوزراء. كانت البقية الباقية من زعامة حزب جماعة العمل، فى ذلك الوقت، مستعدة تمامًا لقبول الوساطة، أما الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى فقد تعين عليه تبين الأسباب التى تجعله يتنازل حتى ولو بوصة واحدة. كان هناك بعض الوسطاء فى الخدمة المدنية، رجال موثوق بهم من أمثال شارلز لاوسُن، وكان هناك أيضًا وسطاء فى القضاء قادرين على سبر أغوار الماء. وهنا نجد أن المستشار السياسى الرئيسى هو والرئيس أكنتولا سيظلان على عنادهما فى هذه النقطة، ذلك أنهما رفضا مجرد التفكير فى إجراء المزيد من التحسين فى ظروف سجن آولوو أكثر مما يسمح به نقله إلى سجن كلبار. يزاد على ذلك أن أية محاولة ترمى إلى قيام رئيس وزراء الشمال بتغيير رأيه، والحصول على موافقته بإعلان حالة الطوارئ عن طريق البرلمان، يتعين عليها الانتظار لحين عودة بطانة المستشار السياسى الرئيسى من رحلة "العمرة" السنوية، وأن هذه العودة ستكون مصادفة لاجتماع الكمنولث. جاءت زيارة أبى بكر لكادونا قبل السفر لأداء العمرة، ومن باب الانشغال بالأمور الدينية، وكأنها عمل من أعمال الكياسة والمجاملة، على الرغم من تحذير السير كاشيم إبراهيم لكل من رئيس الوزراء الفيدرالى ورئيس وزراء الإقليم الشمالى، أنه لديه إنذارات مؤكدة وملحة من ضباط الجيش الكانوريين، تفيد أن الأمور كلها ليست على ما يرام، وأن حيوات مهمة قد تتعرض

للخطر. وجاء تعليق أبى بكر، بعد إرجاء الأمور كلها إلى حين عودة المستشار السياسى الرئيسى من العمرة، "**نحن، جميعًا مطوقون بضباط إجباويين، وإذا ما حدث شيء، فسوف يقتلوننا**". صحب عيسى كيتا أبا بكر إلى باوتشى لمدة يوم واحد فى مزرعة أبى بكر وليقترض منه كتابًا لآخر مرة.

من هنا يمكن القول إن المسألة لم تكن مسألة تأجيل، وإنما هى انتظار لأحداث صادمة وشديدة. إثارة مسألة استخدام أولوو فى حكومة ائتلاف قد يؤدى إلى قصر المعارضة الانفعالية على ما يمكن مقارنته بأقل الشرور الناجمة عن قبول حالة ثانية من حالات الطوارئ. لم تكن المسألة لا مبالاة أيضًا. فقد زار الدكتور ماجيكودونمى أبا بكر قبل وقت قصير من بدء وصول زوار الكمنولث ووجده فى حالة شديدة من البؤس الشخصى بسبب حرق البشر وتشويههم. كان حال الرجل مفعمًا بالتعاطف الدينى ولم يكن حال رجل ضعيف أو واهن. كان أبو بكر لا يزال على علم بأسباب تخوفه من الحلول الواضحة التى يمكن أن تدفع الأمور إلى ما هو أسوأ، كان ماجيكودونمى ضابط الجيش السابق ميالاً إلى التهديد باستعمال العنف (ربما كان الجنود يحاولون لجم المجرمين، ولا يدعمون آكنتولا أو الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى، على حد زعم بعض الروّاد)، لكن طمأنات رئيس الوزراء جاءت على نحو يُشْعِرُ الإنسان بالخجل والكسوف. بمشيئة الله، فإن تنبؤات المستشارين عن الجيش وعن الإقليم الغربى سيثبت خطؤها، ومع الهدوء والصبر والمنطق الذكى سيكون كل شيء على ما يرام فى نهاية المطاف. لم يكن أبو بكر واثقًا بذلك الطقس الصحو أو صداقة الحماية الذاتية لآكنتولا، كان أبو بكر يتطلع على المدى الطويل إلى مساندة الفطرة السليمة لأُكبارا التى تأخرت عن موعدها، على الرغم من مساندة رئيس الوزراء الإقليمى، قبل ذلك بعام، لآزكوى ضد أُكبارا، فضلاً عن مساندته لدوره فى الوضع السياسى الذى حدث مؤخرًا. يزاد على ذلك، أن الخضوع الدينى العميق ليس مثل الاستسلام الضعيف لقوة الأحداث.

حاول السيناتور (النائب) دان إيبكوى Ibekwe، الوزير الفيدرالى الإجباوى صاحب الفكر المستقل، توجيه ضربة إلى الدستورية المتشددة، مثلما فعل يوم أن كان محاميًا عامًا فى الإقليم الشرقى، عندما استشاره رئيس الدولة قبل عام فى مسألة سلطات أزكوى التنفيذية بوصفه قائدًا عامًا أمريكيًا. كان دان إيبكوى قد أُهينت كرامته بالاتهامات نفسها التى وُجِّهت إلى خمول رئيس وزرائه من قبل كل من أوكيكى Okeke ولاوانسون .Lawanson. عقد دان إيبكوى مؤتمرًا صحفيًا قبل أعياد الميلاد، بصفته واحدًا من أنصار حرية الكلام، وليس سياسيًا، واستنكر فى ذلك المؤتمر انتقادات الحاج السير أبى بكر له من منطلق أن هذه الانتقادات لا أساس لها وأنها محاولات غير نظيفة للعثور على كبش فداء، هذا الكلام كان جاهلاً بنصوص الدستور أو مغفلاً لها. وقد أسفر ذلك عن هجمات طائشة من جانب حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وصحيفته على أهداف اشتملت على دان إيبكوى نفسه لدفاعه عن أبى بكر. أصدر دان إيبكوى فى اليوم الثلاثين من شهر ديسمبر بيانًا صحفيًا رسميًا تفسيريًا كرر فيه أفكاره القانونية، مؤكدًا فيه على أهمية الاستماع إلى صوت نيجيريا بشكل رسمى فى الكمنولث، وفى منظمة الوحدة الإفريقية، والأمم المتحدة، ملقيًا بذلك المسئولية الحقيقية عن إنهاء الغليان الحالى فى الإقليم الغربى على كاهل الشخصيات الرئيسية فى كل من التحالف المتحد التقدمى العظيم والحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى، وأن الزعماء المسيحيين والمسلمين هم والزعماء الآخرين يتعين عليهم استخدام سلطاتهم فى الوصول إلى تسوية لحل أصعب المشكلات على الإطلاق، ألا وهى المحافظة على استمرار وجود نيجيريا بلدًا واحدًا، وأمة واحدة. لم يكن هناك شك فى أن الرجل كان يتحدث بلسان شخص ما. أبلغ أمين كانو أبا بكر فى اليوم نفسه أنه لابد من استبدال أكنتولا بحارس فيدرالى آخر، بعد أن خسر الرجل ثقة الجميع، وقيل له فى الوقت نفسه إن كل هذه الفوضى من صنع "**المتآمرين الشرقيين**"، الذين سيحصلون على الجزاء الذى يستحقونه. ضعفت دفاعات دان إيبكوى العادلة أمام ذكريات حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين عن طرده من إينوجو. أما أكنتولا،

الذى كـان يفكر فى إفـســاح الطريق لفـانى ـ كـايود، الذى لن يكف عن اللجـوء إلى الأساليب والطرق الخشنة (على الرغم من أن ذلك قد يدفع الرئيس Oba سى دى أكران إلى تقسيم الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى)، فقد أعلن فى اليوم الأول من شهر يناير أنه جرى إلقاء القبض على ٩٨ من بلاطجة الأجبو، ٢٣٢ من بلاطجة التيف فى سوق موشن Mushin، كما أُلقى القبض أيضًا على ٢١٢ من البلاطجة من إقليمى الغرب الأوسط والإقليم الشرقى، كانوا جميعًا متورطين فى مهاجمة أتباع الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى ومؤيديه.

جرى فى نهاية المطاف تصور العمل الفيدرالى على أنه أمر لا مفر منه. تسببت الشائعات التى نقلها الوزير الشمالى أهمان باتيجى النيوبى Nupe، لمواطنه وزير الجيش، إبراهيم تاكو فى بلدة بدا Bida (بطا)، عن احتمال حدوث انقلاب، فى حث وزراء المجلس على الموافقة على خطة الطوارئ، التى تسمح للواء الثانى الذى يقوده العميد زكارى ميمالارى، بتنفيذ عملية أطلق عليها اسم **لا رحمة** لاستعادة النظام فى الإقليم الغربى. ويبدو أن اليوم الأول من شهر يناير من العام ١٩٦٦ كان هو التاريخ الأساسى المحدد لتنفيذ العملية، لكن الأعصاب المتوترة بسبب ما يمكن أن ينطوى عليه موقف الكمنولث فى المستقبل، وكذلك موقف الصحافة العالمية من العمليات العسكرية، أديا إلى تأجيل القيام بهذه العملية إلى الساعة الواحدة من اليوم السابع عشر من شهر يناير. فى هذا الموعد سيكون انعقاد جلسات البرلمان بالطريقة المعتادة، ويستطيع التصويت فى غياب أصداء حالة الطوارئ وما يترتب عليه من تحذير مسبق "للمتآمرين"، وهنا يتعين على أبى بكر أن يوضح أنه إذا لم يستطع آكنتولا استعادة الانسجام السياسى، بعد استعادة الجيش للنظام، فإن ذلك يعنى أن الرجل سيخسر المزيد من التسامح الفيدرالى، ناهيك عن تأييد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ومساندته. والمؤسف، أن كل هذه الطوارئ استحال على عدد كبير من ضباط الجيش

الأصاغر الوقوف عليها قبل ذلك التاريخ، علماً بأن الكثيرين من بلدياتهم كانوا يعملون في سلاح إشارة الجيش في مراكز البرق والبريد المدنية.

جاء اندلاع الاضطرابات أكثر تنظيماً، إذ كان يجرى الإبلاغ عن تلك الاضطرابات إلى العاصمة الفيدرالية. يزاد على ذلك أن أعضاء المجلس التشريعى وهم فى طريقهم عبر الإقليم الغربى لحضور اجتماع شهر يناير لم يكونوا فى مأمن من الهجوم عليهم وسلب الأشياء الثمينة ونهبها التى كانت معهم. لم يكن هناك شك فى أن مؤتمر قادة الكمنولث الذى سيعقد في العاصمة، كان من حسن الحظ فرصة سانحة لجذب انتباه العالم الخارجي إلى مظالم المعارضة، وإذا ما كان هناك أى أساس للنظر إلى الاجتماع على أنه تشتيت مفيد للانتباه عن الأزمات الداخلية التى لا حل لها، فقد فشل ذلك الأساس فشلاً ذريعاً. كانت الانقلابات الفجائية التى حدثت فى الإقليم الغربى تعنى أشياء كثيرة للشعوب النيجيرية فى سائر أنحاء البلاد، وأكثر من أى شيء يمكن أن يقوله رؤساء الحكومات عن روديسيا البعيدة عن نيجيريا.

وعلى الرغم من بدء وصول الزعماء لحضور مؤتمر الكمنولث، كان هناك بلاطجة مسلحون بالفئوس والأقواس والسهام يمارسون نشاطهم فى الأحياء الشمالية فى ليجوس، التى جرى فيها الإبلاغ عن سبع حالات وفاة وجرح اثنين وعشرين على الرغم أيضاً من الوجود المكثف لرجال الشرطة. هربت عائلات بأكملها، ويصل إجمالى عددها إلى المئات، من منازلها، بل إن جميع الأسواق، التى تعد قلب كل مجتمع من المجتمعات الإفريقية، جرى إغلاقها. وعندما اجتمع مجلس النواب للمرة الأخيرة فى اليوم الثالث عشر من شهر يناير من العام ١٩٦٦ بعد مؤتمر الكمنولث تقدم عضو حزب جماعة العمل عن ليجوس باقتراح يطالب فيه بإعلان حالة الطوارئ فى الإقليم الغربى. انتزعت الأسئلة التى طرحت على وزير الدولة لشئون الشرطة، هى والتصريحات الرسمية الصادرة عن الرجل، اعترافاً رسمياً بقيام الشرطة بقتل أربعة وستين مدنياً أثناء الأزمة، ومقتل واحد وتسعين آخرين بواسطة المدنيين. واعترف أيضاً بعدم وجود

خسائر في الجانبين في المناطق التي تَدَخَّل فيها الجنود للمحافظة على الأمن. وبلغت تكاليف عمليات المحافظة على الأمن والنظام إلى نهاية العام حوالي ٣٢٢٦٠٠ جنيه إنجليزي. لم يحدث تحرى عام لمزاعم التزوير التي قال بها الحزب الديموقراطي الوطني النيجيري أثناء الانتخابات. قال سكرتير برلماني "إن هذه مسئولية دستورية من مسئوليات الحكومة النيجيرية في الإقليم الغربي، وهي التي يتعين عليها التعامل مع الموقف في غربي نيجيريا".

حدثت في اليوم الرابع عشر من شهر يناير مقابلة صحفية مع أبي بكر والمحرر التجاري لجريدة "وست أفريكا" West Africa (غرب إفريقيا)، قال أبو بكر خلالها:

> **عدد كبير من هذه التقارير [تزايد العنف في الإقليم الغربي] صحيح، وبعضها أيضًا غير صحيح. هذا العنف سبق التخطيط له... قبل الانتخابات. قد تكون هناك أخطاء... وأنا... اندهشت من حجم الانتصار الذي حققه الحزب الديموقراطي الوطني النيجيري، كنت أظن أنهم سينتصرون، ولكن بهامش صغير،... لكن العنف كان من تخطيط أولئك الذين صمموا على ألا يكون هناك أمن وسلام في الإقليم الغربي. لقد حاولت الوصول إلى تسوية، والحل موجود وفي متناول يدي - وبوسعي حل هذه المشكلة في خمس دقائق... أنت تعلم أن أهل الإقليم الغربي عانوا الكثير... لو يتحد الناس، ولو ينسوا الماضي ويقررون العمل سويًا من أجل سلام الإقليم!... لقد قبل حزب جماعة العمل وساطتي، لكن الحزب الديموقراطي الوطني النيجيري طلب المزيد من الوقت. مشكلة اليوروباويين تتمثل في عدم وجود رجل واحد، أو حتى فرد واحد [حتى ولو أولوو عن طريق الهمس] يحظى باحترام كاف بين أهله وناسه،... وبوسعك إخراج الشرطة كلها**

والجيش من الإقليم الشمالى، ومع ذلك يظل الناس يعيشون فى هدوء وسلام. لكنك فى الغرب لا تستطيع المحافظة على القانون والنظام بدون الشرطة أو الجيش. وأنا إذا ما استعملت القوة الحقيقية... ولم أرتكب أخطاءًا، وأنا لم أرتكب بعد أى خطأ - عندئذ أستطيع جعل الناس يجثون على ركبهم، وأنا لا أريد استعمال القوة على هذا النحو. القوة لا يمكن أن تدخل الأمن والسلام إلى قلوب الناس... وأنا أرى أن [إطلاق سراح أولوو] قد يكون جزءًا من هذا الأمن والسلام، نعم، من الواضح أننا يتعين علينا النظر فى هذا الأمر. آولوو لا يزال عنده الكثير الذى يمكن أن يعطيه لهذا البلد، عنده الكثير فعلاً.

أخشى أن يكون [للعنف] تأثير [اقتصادى]، لكن العنف له أيضًا أسبابه الاقتصادية. قيل لى منذ أيام قلائل إن سيارة جرى توقيفها فى الإقليم، وطُلب من راكبى السيارة تقديم نقود لمن احتجزوهم. وردوا عليهم قائلين: "لكن خطر ببالنا أن نصيح منادين "أووا آووا؟ أعطونا نقودًا!".. حزب جماعة العمل هو والحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى اللذان كانا يقومان على أمر تنظيم البلاطجة والقبضايات، لم يعودا كذلك الآن، على حد علمى أنهم يحصلون على الكثير من النقود، ولذلك فهم ينضمون إلى البلاطجة والقبضايات ليطلبوا هم أيضًا النقود.... ليست لدى سلطة [فرض الحل]... أتمنى لو أن لدى هذه السلطة. هذا هو قاضى القضاة هو وآخرون يعملون معى، ولا يزالون يعملون، فى محاولة منهم لإيجاد حل. لكن هذا الحل صعب".

لم يلمح أبو بكر إلى عملية لا رحمة.

الفصل الثامن والأربعون

رئيس وزراء نيجيريا وروديسيا

أن تفعله وتنهيه، أفضل من تأخيره إلى الغد(*)

لم يكن انصراف رجل السياسة عن مشاغله السياسية إلى المشكلات الخارجية نمراً من ورق. والسبب فى ذلك أن روديسيا أعطت الحكومات الإفريقية، التى أصابها الارتباك والاهتزاز الأيدولوجى مثلما حدث لرؤساء هذه الحكومات على الرغم من المحاولات المبذولة لتحقيق شكل من أشكال الوحدة، مبرراً يعطى كل كتلة وكل فرد فرصة التحدث على انفراد. لم يكن مقصوراً أن رجلاً يؤمن بالطباع المميزة للكمنولث، كما أنه هو الوحيد الذى تزعم فكرة الوحدة الإفريقية، أن لا يبحث عن إنجاز فى حل هذه المشكلة. ولابد أن قارئ هذا الكتاب قد أخذ بعين اعتباره الإشارات التى أوردناها فى مواجيز الأحداث الخارجية، عن الخطوات التى اتخذت فى تطور المسألة الروديسية الجنوبية. هذه الإشارات لابد من تذكرها على خلفية الفكرة التى مفادها أن السير جودفرى Godfrey هجنز، بصفته شاغلاً منصب رئيس الوزراء فى الفترة من ١٩٣٣-١٩٥٣، فى بلد يتمتع بالحكم الذاتى منذ العام ١٩٢٣، استطاع على انفراد، وبلا

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا، وهو قريب من المثل الإنجليزى القديم: "التأجيل لا ينتج شيئًا، سوى القذارة وطول الأظافر "There's naething got by delay, but dirt and lang (long) nails" قريب جداً من المثل العربى "لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد"

غضاضة الاحتفاظ بحق بلده الطبيعى فى حضور المؤتمرات الإمبريالية القديمة، وأن هذا الحق ورثه أيضًا اتحاد وسط إفريقيا الذى لم يدم سوى فترة قصيرة. كان السير جودفرى شخصيًا قد وقَّع على ميثاق هافانا فى العام ١٩٤٨، وأنه لابد أن يكون قد حصل بعد الحرب على وضعية الدُّومينيون الكاملة، لو أنه طلب ذلك على الفور. يزاد على ذلك، أن فضل اتحاد وسط إفريقيا الأوسع، وكذلك فشل لجنة منكتون Monckton فى ضمان الاستقلال لكل من زامبيا، واقتران هذين الأمرين بكراهية المتوطنين لتجربة الكنغو والحكم غير الدقيق على الأعمال الكبيرة التى قامت بها كل من لشبونة وبريتوريا، أدى إلى تقوية تذكر مؤيدى إيان سميث لتلك الحقيقة ووعيها تمامًا، وترتب على ذلك اقتناع مفاده أن بريطانيا كانت قد أعطت وعدًا شرفيًا بالاستقلال عقب حل اتحاد وسط إفريقيا.

على الجانب المقابل وبالقوة نفسها، أدت إساءة الحكم على نفوذ نيكروما العالمى، وتخلى ديجول عن أوروبيى الجزائر فى الجزائر، واتفاق بريطانيا مع كينياتا بشأن مستوطنة البيض، ومساندة كينيدى الواضحة للحركات الوطنية الإفريقية، أدى ذلك كله إلى جعل نكومو هو وأتباعه يرون أن الحديث عن الاعتدال متعدد الأجناس أصبح أمرًا غير ضرورى. يزاد على ذلك أن خروج جنوب إفريقيا من الكمنولث أوحى من الناحية الشكلية للأقلية بمساندة من جار قوى (على الرغم من رؤية فيرورد التى مفادها أن جميع المصالح يمكن تحقيقها على أفضل نحو من خلال مستوطنة خالية من سفك الدماء)، يضاف إلى ذلك أن قلق بريطانيا من الرأى العام الأمريكى، والرأى العام الأفرو - آسيوى أضعف من احترام البيض الحماسى لأبناء جلدتهم، وعزز من ثقتهم بأنفسهم فى المضى "قدمًا وحدهم". أضف إلى ذلك أن تسلل قوات العصابات ضعيفة التدريب عبر نهر الزمبيزى أصبح أمرًا يمكن التغلب عليه بسهولة ويسر. وهذا هو الحاج السير أبو بكر الذى لم يعد مفتونًا بعد بذرائع ولنسكى Welensky، وبالشكل الذى ينتهجه إيان سميث، لا يزال يقر ويعترف بالارتباك الناجم عن الأسطورة الثقافية

والواقع المادى، لاحظ أبو بكر أيضًا أنه فى الوقت الذى انتقدت فيه المصالح الأمريكية، ومصالح العالم الثالث ومصالح جنوب إفريقيا، بريطانيا انتقاداً شديداً من وجهات نظر هذه المصالح المختلفة، فإن أحداً منها لم يقدم أى عون أو مساعدة مفيدة تمكن من حل هذه الكارثة بطريقة متحضرة.

تعقدت المشكلات فى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٥ . قام إيان سميث بتعيين ممثل ديبلوماسى معتمد له لدى لشبونة، واعترف أن حزبه لم يلغ انتهاج التمييز العنصرى، ما دام أن سياسة جمهورية جنوب إفريقيا تثبت أن سياسة الفصل العنصرى هى "الأفضل". أعلن الرئيس جوليوس نيريرى أنه سوف ينسحب من الكمنولث إذا ما أعطت بريطانيا روديسيا استقلالها، واقْتُبس عن الحاج نوح باماالى قوله: فى ضوء عدم استخدام بريطانيا لقوتها ضد روديسيا، وبالتالى "خذلاننا جميعًا"، فإن الأمم المتحدة يتعين الطلب منها التدخل فى هذه المسألة. وفى اليوم الرابع من شهر أكتوبر جرت مفاوضات بين هارولد ولسون وإيان سميث ومعهما هيئة العاملين معهما، وقد استغرقت تلك المفاوضات التى أجريت فى لندن وقتًا طويلاً، وكانت مختلفة النغم تمامًا عن مفاوضات الاستقلال المألوفة التى جرت العادة على إجرائها فى مجلس لانكستر. التزم ولسون بسياسة الحزبين البريطانية التى تحتم تحرك روديسيا فى اتجاه الاستقلال، لكن ذلك التحرك والاستقلال يجب أن يكونا فى إطار دستور متفق عليه من الشعب كله (وليس بالضرورة من الأعيان والوجهاء)، ويتحتم أن ينص مثل هذا الدستور على الانتقال السلمى من الحكم الحالى غير المحدود من قبل ٢٢٠٠٠٠ من البيض (كان الوطنيون الأفارقة قد قاطعوا إلى حد كبير التسجيل ضمن القائمة "أ" أو القائمة "ب" من دستور العام ١٩٦١ الذى أتينا على ذكره فى الفصل الرابع والثلاثين) إلى حكم الأغلبية الذى يضم الملايين الأربعة من السود.

لم تتطرق المناقشات إلى منع الاستقلال إلى ما بعد اكتمال حكم الأغلبية. لم يكن لخدمات الخدمة المدنية الخارجية لصاحبة الجلالة أى دور فى روديسيا الجنوبية. أصرت

نقاط ولسون الخمسة الأولية على عدم عرقلة التوجه صوب حكم الأغلبية بالصورة التى جرى تصورها فى إنفاقات العام ١٩٦١، التى تنص على ضمان عدم إحداث تعديلات رجعية، وتحسُن فورى فى الوضع السياسى للأفارقة، وإحداث تقدم فى اتجاه القضاء على التمييز العنصرى، وإقناع البرلمان البريطانى إقناعًا تامًا بأن أى أساس من أسس الاستقلال سيكون مقبولاً تمامًا من جميع السكان الروديسيين. كان ولسون على استعداد للتعاون، ربما مع أستراليا، فى برنامج تعليمى صادم يمكن السواد الأعظم من السكان من الحصول على نصيب كبير من حياة البلاد الاقتصادية والسياسية خلال عقد من الزمان، كان هناك تلميح غير معلن أن الموظفين الاستعماريين العائدين من غرب إفريقيا يمكن الاستفادة منهم فى القيام بدور تدريبى صرف. انهارت المحادثات فى اليوم الثامن من شهر أكتوبر، وسارعت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى التصويت على قرار بنسبة ١٠٧-٢ (البرتغال وجنوب إفريقيا)، يهيب ببريطانيا منع إيان سميث من "الإعلان المحتمل للاستقلال من جانب واحد". قال نوح بامالى إنه سوف ينصح لنيجيريا. بالانسحاب من نادى الكمنولث، مثلما فعل نيريرى، إذا ما ارتضت بريطانيا إعلان الاستقلال من جانب واحد. عاد إيان سميث إلى لندن، ليرفض رفضًا قاطعًا اقتراحًا بقيام فريق من رؤساء وزراء الكمنولث بالوساطة لحل هذه المشكلة. قال رئيس أساقفة كانتريرى إن استعمال القوة فى روديسيا سيحظى بتأييد المسيحيين، ولذلك طار رئيس وزراء بريطانيا فى اليوم التالى إلى سالسبيرى لإجراء المزيد من المحادثات. وفى اليوم السابع والعشرين من شهر أكتوبر فاجأ ولسون الروديسيين البيض، الذين ظنوا أنهم موالون للتاج البريطانى، وأنهم لا يزالون يتطلعون إلى "البلد الأم" طمعًا فى تعاطفه معهم فى كارثتهم، بأن قال على الملأ: إن إعلان الاستقلال من جانب واحد سيكون عملاً من أعمال التحدث، والتمرد والخيانة. لم يسمع الروديسيون هذه اللغة ولا هذا التفسير على المستوى المحلى من قبل. وبعد الانتهاء من مبادلات عامة عديمة النفع ومن جانب واحد وافق ولسون مع إيان سميث على حتمية تعيين لجنة ملكية تحدد ما

إذا كان الشعب يريد أو لا يريد الاستقلال فى ظل الدستور القائم. ومن المعروف سلفًا أن اللجان الملكية بطيئة وتستغرق وقتًا طويلاً.

وصل السيد/ ولسون بعد توقف قصير فى زامبيا، إلى ليجوس وهو فى طريق عودته إلى وطنه، وفى ساعة متأخرة من ليل اليوم الثلاثين من شهر أكتوبر، دخل الرجل فى محادثات مباشرة مع الحاج السير أبى بكر، وقد تواصلت تلك المحادثات إلى ما قبل الفجر. وراح رئيس الوزراء الذى كان منشغلاً بغانا وبمنظمة الوحدة الإفريقية، وبرواتب المعلمين واضطرابات الإقليم الغربى، يصغى منتبهًا إلى رئيس الوزراء الذى كان مُحْبَطًا من سميث صلب الرأى. حذر أبو بكر ولسون أنه على الرغم من مساندته للحظ الذى يسير عليه (الذى اسماه تشرشل ذات مرة "فك ـ الفكوك")، فإن هناك بعض الزعماء الأفارقة المصرين على عدم "منح الاستقلال قبل حكم الأغلبية" وأن (نمبار) Nimbar سوف يعارض ذلك. الواقع أن بعض وزراء وزاراته، كانوا فى دواخلهم، يثقون بالبنادق أكثر من الدبلوماسية فى هذه المسألة، لكنهم كانوا يسيرون على خطاه على نحو أثار أسف أحزابهم. وعندما طار ولسون إلى أكرا فى صبيحة اليوم التالى (حيث أثبت نيكروما عدم وجوده)، قال أبو بكر للصحفيين إنه حبذ إسناد هذا الأمر إلى لجنة ملكية مشتركة خاصة باستقلال روديسيا باعتبار أن ذلك "خطوة فى الاتجاه الصحيح. وأنا أرى أن هناك تقدمًا. وأنا أرى أنك عندما ترسى أسس شىء من الأشياء، فإن ذلك يحتم تهيئة الفرصة المناسبة لمثل هذا الأمر. هذا يعنى أننا يجب أن لا نتحامل على هذه المسألة". أعلنت روديسيا حالة الطوارئ بعد خمسة أيام، فى الوقت الذى كانت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة قد صوتت بنسبة ٨٢-٩ لصالح تعليق الدستور وتشكيل حكومة برلمانية، باستعمال القوة العسكرية، إذا ما تطلب الأمر ذلك. ويُنهى إيان سميث لفَّه ودورانه فى نهاية المطاف، فى اليوم الحادى عشر من شهر نوفمبر، ويقوم بإعلان الاستقلال من جانب واحد.

وتقوم بريطانيا على الفور بإعلان أنها ليس لديها القوة التى تجبر روديسيا على قبول قرار الأمم المتحدة (كما أن ولسون ليس لديه النية فى ذلك بحكم أن حكومته هى حكومة أغلبية بسيطة). ومع ذلك استنكرت بريطانيا ذلك الإجراء أُحادى الجانب استنكارًا تامًا، وطردت روديسيا من منطقة الإسترلينى، ووضعت قيودًا على صرف العملة وعلى التجارة، وعلقت أيضًا التعريفة التجارية. وعلى الرغم من ابتعاد السواد الأعظم من الدول عن المطالبة بالإجراءات العسكرية، فإن غالبية الدول الإفريقية كانت تطالب باللجوء إلى تلك الإجراءات على الفور، ونظرًا لأن زامبيا، كانت تعتمد على الطاقة الهيدروليكية المولدة من سد كاريبا، الذى يقع على الجانب الروديسى من الحدود، فقط طالبت بوجود قوات بريطانية لحماية السد، الذى كانت طاقته تستخدم فى تشغيل مناجم النحاس فى زامبيا. ومع ذلك علق هيستنجز Hastings باندا مشككًا فى جدوى القيام بأى إجراء عسكرى ضد روديسيا.

أعلن الحاج السير أبو بكر أن أتباع سميث ينبغى عدم استعمال "الرأفة" معهم، وأن نيجيريا كانت مستعدة لتنفيذ القرار الصادر عن اجتماع منظمة الوحدة الإفريقية فى أكرا: **"ليس هناك من وسيلة أخرى لسحق هذا العمل غير القوة. كل من يتمرد ينبغى التعامل معه بقسوة. المتمرد متمرد، وأنت لا يمكن أن تخمده فقط بالعقوبات فقط،... لابد من استعمال إجراءات أخرى أيضًا"**. ومع ذلك لم يوافق أبو بكر على أن بريطانيا قد تخلت عن دول الكمنولث، وأن المسألة الروديسية كانت مسألة حساسة ودقيقة، وأن أية حكومة لا تود أن تتهور فى أمر حساس، وأن بريطانيا تحركت التحرك السليم - **"سوف نساند أى إجراء تتخذه بريطانيا"**. وعندما سُئل فى تحد عما إذا كان سيقوم بتجميد الأصول البريطانية إذا ما فشلت فى حل هذه الأزمة، رد ردًا عمليًا: **"ولماذا نفعل ذلك؟ أنا على يقين أن لدينا فى بريطانيا أصولاً أكثر مما لهم عندنا"**. أشار أبو بكر أيضًا إلى شكوك باندا Banda وذكر سائله أن ملاوى كانت هى الوحيدة التى لم توافق على القرار الذى اتخذته منظمة الوحدة الإفريقية، وعليه، اجتمع الخبراء

العسكريون لبحث إمكانية تشكيل جيش إفريقي. كان أبو بكر على وشك إعلان الخطة النيجيرية المكونة من ست نقاط، التى كان من بينها قطع العلاقات الاقتصادية، وعدم الاعتراف بوثائق السفر الروديسية، وحظر رحلات الطيران من وإلى روديسيا. وقام ديالو تيللى فى أديس أبابا بعقد لجنة فى منظمة الوحدة الإفريقية، بخصوص روديسيا، وقد ضمت هذه اللجنة كلاً من كينيا، ونيجيريا، وتانزانيا، والجمهورية العربية المتحدة (مصر)، وزامبيا.

ذهب وزير الخارجية البريطانى إلى مجلس الأمن، وحصل على قرار بنسبة ١٠- صفر (وامتنعت فرنسا عن التصويت من منطلق سبب فنى مفاده أن هذا شأن بريطانى داخلى)، يدين إعلان الاستقلال من جانب واحد، ويهيب بالدول الأعضاء كلها عدم الاعتراف بذلك الإعلان وعدم مساعدة ذلك النظام غير الشرعى. رفض السير همفرى جيب، الحاكم الرسمى لروديسيا الجنوبية، إخلاء مقر الحكومة فى اليوم الرابع عشر من شهر نوفمبر، وقام بناء على أمر وزارى، جاء على شكل نصيحة، من الملكة إليزابث الثانية، بطرد إيان سميث من رئاسة الوزارة، لكن سميث لم يلق بالا لذلك العزل وعين شخصًا يدعى السيد/ دوبونت Dupont "حاكمًا عسكريا". اتخذت الحكومة البريطانية بعد ذلك بيومين الإجراءات اللازمة لفرض العقوبات، على أمل أن تؤدى الضائقة الاقتصادية إلى ظهور بديل ليبرالى لإيان سميث.

وفى اليوم العشرين من شهر نوفمبر أهاب مجلس الأمن من جديد ببريطانيا بقرار صدر بنسبة ١٠- صفر وينص على "إخماد ذلك التمرد من جانب الأقلية العنصرية"، من منطلق انهيار الدستور فى العام ١٩٦١ الميلادى، وأن المراسيم غير القانونية هى التى دمرت كل الضمانات المطلوبة كسريان القانون وحقوق الإنسان، لكن القرار فى جوهره كان عبارة عن حل وسط، طالب الدول كلها بقطع علاقاتها الاقتصادية وإنهائها مع روديسيا، ولم يطالب بعمل عسكرى أكثر من مجرد المقاطعة الاقتصادية وفرض حظر على البترول.

فى الوقت الذى راح فيه السيد/ ولسون يتحدث متفائلاً عن حظر البنزين والبترول المقترح، وأن ذلك سوف يدفع نحو إنهاء التمرد خلال أسابيع وليس أشهر، وصل سرب رمزى من الطائرات البريطانية النفاثة إلى بلده ندولا Ndola استجابة لطلب زامبيا حماية سد كاريبا، لكن السرب بقى على الجانب الزامبى من الحدود. كانت جهود ولسون الدبلوماسية من وراء الستار، قد فشلت مع زعماء الكمنولث الأفارقة، بعدم الفاعلية اللوجستية للهجوم العسكرى المباشر على روديسيا، ناهيك عن مشكلاته السياسية الداخلية أو مصاعبه الاقتصادية الداخلية أيضًا. وفى اليوم الثالث من شهر ديسمبر، هدد وزراء خارجية منظمة الوحدة الإفريقية فى اجتماع مجلس وزراء المنظمة الطارئ فى أديس أبابا، بقطع إجمالى للعلاقات مع بريطانيا إذا لم ينته إعلان الاستقلال من جانب واحد بحلول اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر. تحدثت كل من سيراليون، وأوغنده، وزامبيا عن الخروج من نادى الكمنولث. هذا الموعد غير الواقعى، على الرغم من تحديده من الأحد عشر الآخرين، الذين كانوا لا يزالون يصورون بريطانيا على أنها قوة كبيرة، قضى على فرص منظمة الوحدة الإفريقية فى ممارسة الضغط الأخلاقى أو المادى على الرأى العام البريطانى. كان نوح باميالى صريحًا فى كلامه بصفة خاصة عندما التزم بقطع العلاقات فى مؤتمره بصفته وزيراً منابًا للخارجية، لكن الحاج السير أبا بكر أحس بأن هذه المقاطعة لن تفيد سوى روديسيا ولكن بطريقة غير مباشرة، وبالتالى لم يساند أو يؤكد كلام وزير خارجيته، علق أبو بكر علانية على شكل تأنيب ضمنى أن قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا ستكون له مضامين وآثار بالغة الخطورة على بلاده، وأن "**الأرجح لقطع العلاقات هذا أن لا يحقق الأهداف التى نبتغيها جميعًا**". كان أبو بكر فى مجلسه الخاص حزينًا حزنًا كبيراً، وقال إن شيئًا من هذا القبيل لا يمكن أن يحدث. كان هناك رئيس أو رئيسان من رؤساء الحكومات أقل حماساً من الناطقين باسميهما فى اجتماع أديس أبابا. كان دوجلاس هوم وزير الخارجية فى حكومة الظل البريطانية قد اقترح

أربعة مبادئ تؤدى إلى العودة السريعة إلى الدستور، وحكم الأغلبية المطلقة الذى ارتضته الحكومة البريطانية.

طلب هارولد ويلسون فى اليوم السادس عشر من شهر ديسمبر من الجمعية العامة للأمم المتحدة مزيداً من الوقت والصبر، وطلب من أعضاء الجمعية دعم العقوبات الاقتصادية والمالية البريطانية حتى تأتى أكلها، وأن يرفضوا استخدام القوة، غادر أربعة وعشرون وفداً صالة الاجتماع. وعقب ذلك مباشرة بدأت تظهر آثار حظر البترول البريطانى، الأمر الذى أحدث انقساماً بين سياسيى الجناح اليمينى على الرغم من موافقتهم الصريحة على أن إعلان الاستقلال من جانب واحد أمر غير قانونى. لجأت روديسيا إلى اتخاذ بعض الإجراءات لإعادة توجيه تجارتها عن طريق جنوب إفريقيا، كيما ترفع ضريبة الصادرات على فحم الكوك وعلى الفحم، ولحظر الصادرات أو عبور البترول إلى زامبيا. فى تلك الأثناء فندت غالبية الدول الإفريقية قرار وزراء خارجية الدول الإفريقية، الذى أعلن ديالو تيللى أنه قرار رسمى، من خلال عدم تنفيذ ذلك القرار. لم يكن هناك تحضير من وراء الستار لتلك الاجتماعات، التى جرى الدعوة إليها خلال فترة قصيرة، والتى حضرها مندوبون جاءوا غير مزودين بتفويضات خاصة، ولم يكونوا على اتصال مباشر وسريع ووثيق مع عواصمهم، وصعب على الدول المحايدة العثور على من يهتم بتولى مصالح مجموعة كاملة من البلدان غير الممثلة بطريقة مفاجئة، فى واحدة من العواصم الكبيرة، وبخاصة فى وقت كانت فيه المسائل المالية والأعمالية اليومية هى والاهتمامات القنصلية المنصبة على الطلاب تتواصل كعادتها بطريقة ودية. صحيح أن غانا كانت لا تزال تتكلم عن الخروج النهائى من الكمنولث، وصحيح أيضاً أن تانزانيا كانت تكشف هى الأخرى عن دلائل إغلاق لجنتها العالية فى لندن، لكن الرئيس كينيث **Kennth** كاوندا سارع بالكتابة إلى رؤساء الدول الإفريقية الأخرى موضحاً لهم مصاعبه العملية مع اقتصاد مقيد تماماً باقتصاد روديسيا الجنوبية. كان الحاج عبد الملك عطا الأوكينى، المفوض السامى النيجيرى فى

لندن، فى إجازة فى وطنه وأخَّر عودته إلى وظيفته فى مقر عمله، لكن لم يحدث أن تلقت أية سفارة أخرى تعليمات بالاستعداد لإغلاق السفارة، بما فى ذلك تلك الدول التى أعلنت حكوماتها ذلك الإعلان الرسمى. عاد الحاج نوح بامالى إلى ليجوس وكله حماس لقطع نيجيريا علاقاتها مع بريطانيا، لكن رئيس وزرائه لم يلق بالاً لهذا الأمر، سوى توبيخ نوح بامالى توبيخًا شديدًا لانقياده للقطيع، وواثقًا من أن المسئولية الجديدة عن الشئون الخارجية كلها سوف تستنفذ كل قواه.

كانت رابطة الكمنولث البريطانية تعقد اجتماعًا فى ولتجتون Wellington فى نيوزيلنده، ودارت المناقشات فى ذلك الاجتماع حول مهاجمة روديسيا وجنوب إفريقيا الأجنبى. كان كل من الشيخ شاجارى هو وعيسى كيتا معنيين بالأمر ولما كان الشيخ شاجارى رئيسًا للوفد النيجيرى فقد راح يشن هجومًا مؤلمًا على هارولد ولسون لسماحه بإعلان الاستقلال من جانب واحد، كما هاجم الرجل أيضًا عمانويل شنويل Shinwell، رئيس الوفد البريطانى، لأنه "لم يأخذ المؤتمر مأخذ الجد". تحدث شنويل فى المقابل مستخدمًا مجموعة من العبارات المكررة المبتذلة، الخالية من التجديد والنقاط التى لا صلة لها بالموضوع، لكن شاجارى أصر على أن الأفارقة وافقوا للمستوطنين البيض على حقهم فى أن يقطفوا ثمار عملهم، على ألا ينكروا على الآخرين الحق فى العيش والحياة، والحريات الأساسية. وكان من بين أولئك الذين تحدثوا بصوت عال فى أوطانهم الرئيس آكنتولا الذى هاجم بريطانيا وهو يتحدث فى اجتماع المجلس التشريعى فى إيبادان فى شهر ديسمبر، إذ قال: إنه بصفته عضواً فى الكمنولث فإنه يشعر بالخجل، وأن قوات من الكمنولث يتعين عليها حراسة الحدود الروديسية حتى تكون للعقوبات فعاليتها، وتكلم المستشار السياسى الرئيسى أيضًا، وقال إنه مستعد لمساعدة بريطانيا إذا ما دعت الضرورة إلى سحق التمرد باستعمال القوة. جاءت مبادرة الحاج السير أبى بكر، فى ظل ظروف التردد الإفريقى من ناحية وارتابط السيد/ هارولد ولسون من الناحية الأخرى، فى موعدها وكانت بمثابة إنقاذ لماء الوجه،

على الرغم من كل منغصاته الداخلية. كان أبو بكر قد ألمح من قبل عن اعتزامه أن يقترح على ولسون عقد اجتماع مائدة مستديرة طارئ للكمنولث، وكان قد تلقى من كمنج - بروس رداً تلغرافيًا غامضًا فسره أبو بكر على أنه لا يحبذ مثل هذا المؤتمر. تحمل أبو بكر رحلة طيران محفوفة بالمخاطر بدأت فى اليوم الثالث عشر من شهر ديسمبر وتحول مسارها بسبب الضباب إلى فرانكفورت، مع بعض المحاولات الفاشلة فى الهبوط فى مطار هيثرو، وأخيراً هبطت الطائرة فى مانشستر بعد إحدى عشرة ساعة من الطيران. وأُلغى حفلُ العشاء الذى كان مقرراً إقامته فى مقر مجلس الوزراء البريطانى بهذه المناسبة، لكن أبا بكر وصل بطريق البر قادمًا من الشمال فى الوقت المناسب ليلقى حديثًا فى ساعة متأخرة من الليل. كان المندوب السامى البريطانى قد استدعى للمشاركة فى المحادثات، وانتهز فرصة وجوده فى الدرجة الأولى ليشجع أبا بكر على قبول هارولد ولسون على أنه "ليس شخصًا سيئًا". كان المسئولون البريطانيون متفائلين، إنه على الرغم من أنهم يعلمون أن أبا بكر يفضل التدخل العسكرى المُذل ومن ثم الخالى من سفك الدماء، فإن الرجل كان يهدف إلى استباق القرار المحرج الصادر عن منظمة الوحدة الإفريقية فى أديس أبابا ويقضى بقطع العلاقات، مع بريطانيا بدءًا من اليوم السادس عشر من شهر ديسمبر، والمؤكد أن سير نيجيريا على هذا الخط سوف يُخَرب مسألة انسياب المساعدة الفنية البريطانية إلى الساحل الغربى. وأُخرس البريطانيون عندما سمعوا أن أبا بكر دعا بلاد الكمنولث كلها إلى الحضور إلى ليجوس فى اليوم الحادى عشر من شهر يناير، بما فيهم أولئك الذين ربما يكونون قد خرجوا من الكمنولث أو رفضوا أن تكون لهم علاقات مع بريطانيا، لكن الرجل كان يود قبول مؤتمر لندن باعتباره منفذًا ومخرجًا إذا ما فضل الجميع ذلك. وقد غضب رئيس الوزراء البريطانى من هذا المكر، لأن الرجل لم يفكر مطلقًا فى أن برقيته سوف تُقرأ هذه القراءة الموضوعية.

لم تكن ردود الفعل الأولى مُبَشِّرةً بالخير، واقتصرت على تنازل هارولد ولسون تنازلاً مغلقًا "إذا كان الجميع مستعدين لمناقشة المشكلات بطريقة بناءة، وقد "أفكر فى الحضور". كان معروفًا عن نيكروما أنه يعارض انعقاد أية قمة من قمم الكمنولث خارج لندن (فى حال كونه لا يزال عضواً) ولم يكن يؤمن بأى حال من الأحوال بتحقيق أى شيء من هذه الاجتماعات". قال الناطقون الرسميون غير البريطانيين إنهم لم يكونوا مستعدين "للتقليل من شأنهم". أعلنت ماليزيا أنها تود أن ينعقد المؤتمر فى كوالالمبور، وذكَّر لال شاسترى الجميع أن لديه موعداً فى طشقند مع أيوب خان. وفى نهاية المطاف، وعلى الرغم من التحفظات البريطانية، وعلى الرغم أيضًا من رد فعل هارولد ولسون الذى كان مقصوراً على مجرد التعاطف الشكلى مع الاقتراح، فإن الرجل (ولسون) وافق على الانقياد إلى الردود الرسمية من جانب قادة الكمنولث الآخرين. كان هارولد ولسون يعرف أن الكثيرين من مؤيدى حزب العمال سيقاطعونه بسبب القسوة الشديدة على الروديسيين البيض، وكان يعرف أيضًا أن زعيم المحافظين الجدد إدوارد هيث سوف يحبذ بشدة اللجوء إلى المزيد من الإقناع الديبلوماسى وتشجيع السياسيين الروديسيين على العودة إلى طريق الاعتدال والتطور الدستورى المنظم. ويطير ولسون إلى أوتاوا Ottawa، حيث كان لستر Lester بيرسون Pearson، رئيس وزراء كندا، الذى كان يشاركه قلة الحماس، لكنه أوضح لولسون أن التقليل من شأن عرض أبى بكر سوف يؤدى إلى تفاقم المشاعر غير الطيبة داخل الكمنولث. ومع ذلك، قال روبرت منزيس، رئيس وزراء أستراليا إن مؤتمراً من هذا القبيل، يمكن أن تترتب عليه نتائج كارثية.

ظن الحاج السير أبو بكر أن حديثه الليلى مع رئيس الوزراء كان ناجحًا. وفى صباح اليوم الرابع عشر من شهر ديسمبر تناول طعام الإفطار مع السيرإليك دوجلاس - هوم، كما استقبلته أيضًا صاحبة الجلالة، وزاره أيضًا السيد/ آرثر بوتملى. وغضب أبو بكر من أحد المراسلين الصحفيين الذى سأله عما إذا كانت نيجيريا تنادى بعقد

المؤتمر ليكون نكاية فى غانا ليس إلا: "**نحن لا نعمل بهذه الطريقة!**" وقبل أن يطير أبو بكر عائدًا إلى بلاده على متن طائرة نقل **كومت** Comet تابعة للقوة الجوية الملكية قال: إنه على الرغم من قرار الرئيس جوليوس نيريرى بالخروج من الكمنولث، والذى أُعْلن بالفعل، فإنه لا يزال يعتقد أن نيجيريا لن تقطع العلاقات مع بريطانيا، وقال أبو بكر أيضًا فى ليجوس للجماهير التى كانت فى استقباله إنه أصبح متأكدًا من أن الكمنولث سوف يجتمع فى ليجوس فى اليوم العاشر من شهر يناير، وسوف يتعامل مع روديسيا داخل إطار الكمنولث. زعم أبو بكر، أن السيد/ ولسون أكد له وزاد من آماله، لكنه هو نفسه كان مقتنعًا أن العقوبات الاقتصادية وحدها لا يمكن أن تحل المشكلة. وصفت جريدة **الديلى تايمز** أبا بكر بأنه "فارس يرتدى درعًا لامعة يتقدم لملاقاة خصمه المرتعد". وعندما بدأت روديسيا تقنين توزيع البنزين هو ووقود الديزل، تعالت الأصوات مطالبة بعقد اجتماع طارئ آخر لمنظمة الوحدة الإفريقية، وأن يكون الاجتماع فى هذه المرة اجتماعًا لرؤساء الدول. قال أبو بكر على استحياء إنه يفكر فى هذا الأمر، ووافق بعد ذلك على إضافة اسم نيجيريا إلى اسماء أولئك الذين يودون الاجتماع فى اليوم التاسع عشر من شهر يناير، لكن آماله فى ذلك الوقت كانت معلقة على كل من السيد/ جونراتن Gooneratne، نائب أرنولد سميث، الذى طار من لندن لتنظيم انعقاد مؤتمر الكمنولث بالتعاون مع وزير الدولة لشئون الكمنولث، السيناتور دان Dan إيبكوى Ibek-we، وهيئة العاملين فى وزارة الخارجية فى ليجوس. وتردد صوت أزكوى قادمًا من البربادوس يقول إنه أحس بالأسف للورطة التى وقع فيها السيد/ ولسون وهو لا يود أن يكون فى مثل حالته. كان أبو بكر، قد قال لعيسى كيتا يوم أن كانا سويًا فى مزرعة باوتشى، وقبل أن يودع المستشار السياسى الرئيسى عند قيامه بالعمرة إنه "**يمكن أن يسترخى بحق، فى ضوء مؤتمر الكمنولث**" الذى نادى بانعقاده.

بحلول العام الجديد، كانت اثنتان وعشرون حكومة من حكومات الكمنولث المستقلة، قد وافقت على حضور المؤتمر، على الرغم من توقع إخلال الرئيس نيريرى

بالوعد الذى أعطاه لأبى بكر. وأكد السير روبرت منزيس رفضه لحضور المؤتمر مضيفًا إن المؤتمر سيركز على الخلافات ويؤكد عليها، على الرغم من أن المفوض السامى الأسترالى فى ليجوس قد يحضر الاجتماع بصفته مراقبًا. تغيب الرئيس نيكروما المتعمَّد جرى التلميح إليه أكثر من مرة وبطريقة واضحة. كانت ترينداد هى الأخرى متشككة فى مسألة الحضور. يزاد على ذلك أن مسحة الشك التى نعت البعض بها المؤتمر بأنه مؤتمر "صغير" لوزراء الكمنولث إنما نشأت عن مستوى المشاركة المحتملة فى ذلك المؤتمر. يزاد على ذلك أن رئيس الوزراء هارولد ولسون لم يحدد ما إذا كان سيشارك هو شخصيًا فى المؤتمر أم أنه سيُنيب عنه السيد/ آرثر بوتملى لمدة يوم أو يومين فى شهر يناير، لكن تقرر أن يحضر هذا المؤتمر رؤساء الوزراء أبو بكر، هارولد ولسون، ليستر بيرسون، السير داود جاوارا رئيس وزراء جامبيا، والدكتور هيستنجز باندا رئيس وزراء ملاوى، والدكتور بورج أوليفر Olivier رئيس وزراء مالطا، ولى كوان يو رئيس وزراء سنغافورة، والسير ألبرت مارجاى رئيس وزراء سيراليون والدكتور ملتون أوبوتى، رئيس وزراء أوغنده، وأن يكون ذلك الحضور مدعومًا من الرئيس القبرصى الأسقف مكاريوس، ودونالد سانجستر القائم بعمل رئيس وزراء جاميكا، والسيد/ كامانجا نائب رئيس زامبيا، ووزير مالية كينيا، ووزير العدل فى سيلان، ووزير القانون والأمن الاجتماعى فى الهند، ونائب رئيس وزراء ماليزيا، والمفوض السامى النيوزيلندى فى لندن، والمفوض الباكستانى السامى فى ليجوس، ونائبًا رئيس الوزراء فى كل من ترينداد وتوباجو.

جاء وكيل الوزارة البريطانى الدائم السير سافايل جارنز (الأفضل أن يتغيب جو Joe) من وزارة شئون الكمنولث إلى نيجيريا قبل انعقاد المؤتمر بأسبوع لكى يخلى الطريق لرؤسائه فى مواجهتهم لجدول أعمال مكون من بند واحد. جرى إخلاء فندق فيدرال Federal بالاس Palace من نزلائه العاديين، وجرى أيضًا تحويل صالة البالية فيه إلى مركز للمؤتمرات، وجرى إغلاق الكازينو الدولى الذى لم يكن يحظى برضاء

أبى بكر، حتى يمكن تزويد المبنى بأعلى درجات الأمن التى شهدتها نيجيريا. يزاد على ذلك أن الصحافة مُنِعَتْ من دخول الفندق بدون دعوات وتفتيش دقيق. استعد الحاج السير أبو بكر نفسه إلى الانتقال إلى أحد الفنادق التى تديرها إسرائيل، وعين شخصاً يدعى ليفنتس Leventis، حتى يتمكن هو بصفته رئيساً للمؤتمر من استقبال الضيوف وتحيتهم وأن يكون على اتصال بهم أثناء مقامهم فى نيجيريا: "**نيجيريا تعقد هذا المؤتمر للتوصل إلى حل عملي للمشكلة الروديسية**"، وأردف قائلاً: "**نظراً لأن منظمة الوحدة الإفريقية تعترف بأنها لا تستطيع التصرف عسكرياً مع روديسيا**، فإنها تود أن **تقوم بريطانيا بتغيير موقفها من المسألة الروديسية**". وأن المشكلة أصبحت تتمثل فى أن سياسيى الكمنولث، الذين كان الكثيرون منهم يؤمنون بأن قوة بريطانيا الوحشية التى جرى، تصويرها فى الأدب الإداواردى وفى الأدب الفيكتورى، هى التى أوجدت قوة إمبريالية وحافظت عليها، وإن النكسات فى الفترة من العام ١٩٣٩ إلى العام ١٩٤٢ جرى مسحها والقضاء على آثارها بالانتصارات التى حققها الحلفاء فى العام ١٩٤٥، هؤلاء السياسيون لم يفهموا أن هارولد ولسون فى ستينيات القرن العشرين كان بحاجة إلى ما هو أكثر من الإرادة السياسية والسيف المصلصل لنقل المسئولية فى سالسبيرى بطريقة فاعلة، حتى وإن كان قد سبق له تحديد من ستنقل إليه هذه المسئولية. تجلى مستوى هذا الفهم فى التعليقات الوقحة المتهورة التى مفادها أنه إذا كانت القوة الجوية الملكية قد استطاعت نقل القوات إلى عدن وموريشيوس، بل إنها كانت على وشك نقل الدكتور هيستنجر من بلنتيرى إلى ليجوس، فإن بوسعها فعل الشىء نفسه مع روديسيا. وكان أقصى ما يتمناه هارولد ولسون هو إقناع أنداده بأنه لابد من وضع حد زمنى عملى للعقوبات حتى تعمل عملها، مع عدم إعطاء وعود تقضى باستعمال القوة المطلقة ومن بعدها الحكم المباشر إلى أن يصبح حكم الأغلبية أمراً ممكناً. وصل هارولد ويلسون إلى ليجوس مستعداً لمواجهة قمة متشككة تتطلع إلى الاقتناع من جانبها وليست على استعداد لقبول المراوغات أو الموافقة عليها، لكن الرجل لم يكن مستعداً لمواجهة حملة صحفية ظالمة غير منضبطة وسط القلق الناجم عن زيادة

الرطوبة فى المطار الدولى، كما أحس بالارتباك أيضًا عندما وجد الجنود ورجال الشرطة القائمين على حراسة طريق المطار قد أعطوا ظهورهم للسيارة التى كان يستقلها وراحوا يواجهون الجمهور عند كل نقطة من النقاط. صحب الحاج السير أبو بكر هارولد ولسون طوال الرحلة إلى أن وصل إلى الفندق المحروس حراسة مشددة، وكانت جماهير أواخر الليل تهدر فى الشوارع، لكن أصوات طلقات البنادق كانت تسمع من بعد على خلفية الإقليم الغربى.

بدأ المؤتمر بداية عصيبة فى اليوم الحادى عشر من شهر يناير فى ضوء نشر الصحف المحلية أنباء عن نشوب نزاعات طائفية فى إليشا Ilesha. اقتاد الحاج السير أبو بكر هو والسيد/ هارولد ولسون المندوبين إلى غرفة الباليه، وبصحبتهم السيد/ آرثر بوتملى. وبعد الوقوف دقيقتين حدادًا على شاستري، بدأ رئيس الوزراء يرحب بضيوفه الذين تجمعوا "**لمناقشة مشكلة رئيسية التى تتخذ مجرد أبعاد عالمية، لكنها تهدد أيضًا بالانقسام داخل منظمة الكمنولث العزيزة علينا... وعلى الرغم من عدم وجود قلة قليلة من الأصدقاء والزملاء فى المؤتمر، فإننا جميعًا لدينا هدف واحد، يتمثل فى حل المشكلة الروديسية على وجه السرعة**". بعد ذلك "أدار الرجل المؤتمر بسلاسة، رجل معتاد على هذا الدور، وليس من منطلق رجل يترأس اجتماعًا من هذا القبيل لأول مرة" على حد قول أحد الحاضرين. وتبعه فى الحديث السيد/ لستر بيرسون، باعتبار كندا أقدم دومينيون فى الكمنولث، وكان الكثيرون ينظرون إلى كندا باعتبارها وسيطًا نزيهًا، ثم تحدث السيد/ لى كوان يو باعتبار سنغافوره أحدث دومينات الكمنولث. قام أبو بكر بعد ذلك بإلقاء الخطاب الرئيسى، مشيرًا فى استعراضه للموقف الحالى، إلى أن مهمتهم لا تتمثل فقط فى التوصل إلى طريقة النظام غير القانونى وإنما للنظر فى الحل الصحيح طويل الأجل لمستقبل روديسيا. وعلى الرغم من أن الشعب الإفريقى، هو والكمنولث، والأمم المتحدة يتعين عليهم ضمان قيام حكم الأغلبية فى روديسيا الجنوبية، فقد يكون من غير الحكمة فى شىء أن نهمل مخاوف الأغلبية البيضاء هناك، وكلما بكر

العرقيون إلى تعرف مستقبلهم، أدى ذلك إلى تسريع انتهاء التمرد. وبعد هزيمة إيان سميث، وإطلاق سراح الوطنيين كلهم، وبعد عقد مؤتمر، يتحتم إلغاء دستور العام ١٩٦١، وإفساح الطريق أمام حكم مباشر تقوم خلاله الشرطة، والقوات المسلحة، والقضاء والخدمة الحكومية بالخضوع إلى حد بعيد للسيطرة من قبل البريطانيين، من خلال تعيين مجلسين تنفيذى وتشريعى من جميع الأعراق ويكونا تحت رئاسة الحاكم. وبذلك تكون مهارات ولسون الحالية ورؤيته للمستقبل الروديسى قد تحققا من خلال غرفة مجلس الوزراء القديم الذى يراقب حاكمين أسكتلنديين.

حدد هارولد ولسون موقف بريطانيا فى استعراض كبير لسياسته التى تهدف إلى إسقاط نظام حكم سميث. وأصر هارولد ولسون على أن المشكلة برمتها هى من مسئولية بريطانيا وحدها، وليست من مسئوليات أية منظمة أخرى، وأن العقوبات الاقتصادية قد خفضت تجارة الصادرات والواردات بمعدل النصف، وأن حظر البترول ثبت نجاحه على العكس مما كان متوقعاً، وأن إعطاء المزيد من الوقت للعقوبات سيثبت فاعليتها. وقال إنه سوف لا يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، ثم جلس يستمع إلى رسائل الإدانة المتوقعة، فى الجلسة المغلقة على الزعماء، (الذين لقوا مساعدة وتأييداً من ثلاثة زملاء من كل من بريطانيا، ونيجيريا، وزامبيا، وزميلين من الدول الأخرى)، والتى جاءت من كل من آسيا، والكاريبى، وقبرص. كتب هارولد ويلسون بعد ذلك، أن الأفارقة بصفة خاصة كانوا يسعون الواحد بعد الآخر "لإثبات مدى صدق إفريقيتهم عن جيرانهم". كانت زامبيا ترى أنه لن تكون هناك مقاومة. واقترحت كندا أنه ما دام أن العقوبات قد فشلت فإن ذلك يحتم دعوة الأمم المتحدة إلى التدخل وفرض عقوبات عالمية انتدابية. وهنا أحس هارولد ويلسون من جديد، أن بريطانيا أصبحت من جديد فى قفص الاتهام، مثلما كانت قبل ذلك بشهر أمام الأمم المتحدة، وبفارق واحد هو أن الادعاء فى ليجوس كان ممثلاً فى رؤساء دولهم، وليس من قبل وزراء مفوضين يعربون عن آراء أشخاص آخرين. وتأثر هارولد ويلسون تأثراً كبيراً، إن لم يتشجع، بتلك

النوعية الراقية من خطاب مرتجل ألقاه لى كوان يو ودام أربعين دقيقة، وأن ذلك الخطاب يرقى من حيث المحتوى إلى مستوى أى خطاب من خطابات زعماء العالم، التى استمع إليها، وأن ذلك الخطاب كان يكشف عن وعى تام "بالوضع الذى عليه العالم الحديث".

لكن السير ألبرت مارجاى، الذى يتوقع وجوده دومًا بصحبة الدكتور ملتون أبوتى Obote، المشارك الأكثر إثارة، رفعا درجة حرارة المؤتمر بأن طالبا بريطانيا بضرورة الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك، وأن تبدأ حالة عدوانية بغية التدخل العسكرى. وقد رحب بهذا الطلب بصفة خاصة الأعضاء الذين لا تزال فى أذهانهم صور حية عن التخريب الذى جرى سحقه والسجن الذى قاسوا منه فى ظل الحكم البريطانى، ولا يزالون عاجزين عن التمييز بين القدرة العسكرية فى الموقف الاستعمارى الروديسى وماضيهم القريب. أصر السير ألبرت مارجاى فى خطبته وفى المذكرة المؤيدة لها على أن العقوبات الاقتصادية وحدها غير كافية، وأن بريطانيا إذا كانت مصرة على رفضها قمع نظام الحكم غير الشرعى بالقوة، فإن سيراليون سوف تطالب بناء على المادة ٤٢ من ميثاق الأمم المتحدة، بأن تستعمل المنظمة القوة فى سبيل إنجاح العقوبات. كان ألبرت مرجاى قد بدأ يخسر مساندة إخوانه المواطنين، سواء أكان ذلك على الرغم من أو بسبب صداقته المتنامية مع كل من سيكوتورى ونيكروما، وكان يتطلع إلى ما هو أبعد من فريتون أو ليجوس فى إحداث التأثير المطلوب. وبفرض أن هذه الخطبة كانت بالفعل فى متناول الصحافة العالمية وبفرض أنها سيجرى نشرها فى اليوم التالى، فقد بادرها هارولد ولسون بتمرير ملاحظة إلى أبى بكر يطلب فيها حق الرد الفورى، الذى لن يحظى على الفور بعنوان رئيسى فى الصحافة. ومن هنا استنتجت الصحافة فى واقع الأمر أن مارجاى قد ضمن طريقًا مسدودًا وربما نهاية مُذِلَّة للكمنولث.

ويروح رئيس الوزراء البريطانى يشن هجومًا غير مكتوب مدته خمس وعشرون دقيقة، من هجمات مجلس العموم، مركزًا فيه تركيزًا شديدًا على افتقار السيراليونى

إلى الفهم العسكرى بدلاً من ضعفه السياسى على المستوى الداخلى، لم يكن الحاضرون يقدرون المصاعب البريطانية حق قدرها - الأمر سوف يتطلب ما لا يقل عن ٢٥٠٠٠ مقاتل للقيام بغزو ناجح عبر نهر الزمبيزى فى مواجهة مع جيش روديسى مقاوم، ومدرب تدريبًا جيداً، ومزود بالمعدات طبقًا للمعايير البريطانية: "لو كنت قائداً عامًا لقوة من قوات الغزو، فهل يمكن لك أن تعطينا التاريخ الذى تستطيع فيه الإطاحة بحكم سميث؟ وهل يمكن أن يتحقق ذلك بدون قتل آلاف الأفريكان، وتدمير سد كاريبا؟" وأكد ولسون أن العقوبات ستؤتى ثمارها، وتوقع أنه سيشهد اعترافًا بهذه الحقيقة خلال فترة زمنية قصيرة، ومن مرجاى نفسه. وعلى الرغم من أن الحاج السير أبا بكر، شأنه شأن القادة الآخرين (وواقع الأمر أن كندا كانت أول من تحدث عن المادة ٤٢ من ميثاق الأمم المتحدة) كان على استعداد للموافقة على استخدام القوة، إذا لم يكن هناك بديل آخر، فإن المشاركات الأخرى كانت أكثر اعتدالاً، فقد أصر تون عبد الرزاق، رئيس وزراء ماليزيا على ما اسماه "تخطيط الطوارئ". كان من رأى الدكتور ملتون أبوتى أن استعمال القوة أمر قائم، لكن على الرغم من اعتراضه على معاملة بريطانيا للكمنولث باعتباره جمعية استشارية لبريطانيا وحدها فيها وضع الدولة، وبقية الأعضاء عبارة عن مقاطعات، فقد سار، فى نهاية المطاف، على الخط الذى سار عليه السيد/ جيمس جيشورو رئيس وزراء كينيا، وهو خط مرحلى معتدل ـ وبقى هارولد ولسون هو وألبرت مرجاى على طرفى نقيض من خلال مبادلاتهما ومقاطعتهما لبعضهما.

لم يكن ذلك يعنى وجود أى اتفاق، ولم تكن هناك أية إشارات إلى "الانسحاب" من المؤتمر. ألقى الدكتور باندا فى اليوم الثانى من أيام المؤتمر خطابًا فلسفيًا طويلاً وتاريخيًا، وكان واضحًا أن ذلك الخطاب تأييد لهارولد ولسون، الأمر الذى اضطر رئيس المؤتمر إلى مقاطعة الخطاب قبل أن تتطرق الأفكار الملاوية Malawian إلى فترة الثلاثينيات من القرن العشرين. لم تكن المساهمات بحلول فترة تناول الشاى قد توصلت بعد إلى مرحلة الإجماع، على الرغم من الثناء على الترتيبات السكرتيرية التى

اتخذها كل من السكرتير العام أرنولد سميث ومكتب رئاسة الوزارة النيجيرية. اقتراح هارولد ولسون تأجيل جلسات المؤتمر بعض الشيء لإتاحة الفرصة للوفود للتشاور، على أن تعود الوفود إلى الاجتماع بعد ذلك بحيث يمثل كل وفد عضو واحد مدعوم من بقية أعضاء الوفد. كان من رأى السيد/ مالكولم ماكدونالد، الدبلوماسى البريطانى الحائل فى إفريقيا، أنه ليس هناك أى أمل فى حدوث أى شكل من أشكال التقارب، لكن بعد ساعة واحدة كانت المجموعة المصغرة قد توصلت إلى اتفاق على الخطوط البريطانية العريضة، التى ستندرج ضمن البيان الصادر عن المؤتمر. كان الوزير الهندى قد غادر عائداً إلى بلاده لحضور جنازة رئيس وزرائه. تطلب إعداد مشروع البيان ثلاثة مجهودات من السكرتارية للتوصل إلى صياغة مقبولة من الجلسة الختامية، وهى يتحتم استبعاد عبارات "استعمال القوة" أو "الاستعمال الرشيد للقوة" "فى المرحل المناسبة"، وبغض النظر عما تعنيه هذه العبارات، فى الحرب الاقتصادية على روديسيا؟

صدر بالإجماع البيان الختامى المكون من ست صفحات عند الساعة الحادية عشرة وخمسة عشر دقيقة مساء عن أرنولد سميث، سكرتير عام المؤتمر، وكان يتضمن تحفظاً واحداً من الدكتور بورج أليفير Olivier، الذى لم يرق له تعبير "الحكم المباشر" من قبل بريطانيا بعد الإطاحة بالتمرد (كان الرجل متعاطفاً تعاطفاً كبيراً مع إيان سميث، الذى كان يراه على أنه الرفيق دواد يقاوم مارد الحكومة البريطانية الجبار). بعد الترحم على شاسترى، لاحظ المؤتمرون أن المؤتمر كان الأول من نوعه الذى عقد فى إفريقيا، وأن الوفود كلها وافقت على الاجتماع بين الحين والآخر فى عاصمة مختلفة من عواصم الكمنولث، وذلك من باب إبراز أهمية طابع الكمنولث وشخصه باعتباره رابطة من الدول المتساوية تضم الأعراق والقارات كلها. ناقشت الوفود ثلاثة جوانب من المشكلة الروديسية ـ إنهاء التمرد، الحاجة إلى التعاون مع زامبيا ومساعدتها، ومستقبل روديسيا فى ظل الحكم الدستورى. أكد رؤساء الوزراء من جديد على أن مسألة توجيه روديسيا إلى الاستقلال تقع على عاتق بريطانيا، لكنهم أكدوا

وأقروا أن هذه المشكلة تثير قلقًا كبيرًا في إفريقيا، وفي الكمنولث والعالم كله. تمثلت أهداف الكمنولث في إنهاء التمرد، وإطلاق سراح المحتجزين السياسيين، وحتمية أن تتسم الأنشطة السياسية بالطابع الدستورى وتكون خالية من التخويف من أى طرف من الأطراف، وحتمية إلغاء قوانين القمع والتمييز، نظرًا لأن فرض الشروط ذات الطابع التمييزى، أو السياسى، أو الاجتماعى، أو الاقتصادى أو التعليمى على الأغلبية من قبل الأقلية ولمصلحة قلة قليلة متميزة يعد انتهاكًا صارخًا لحقوق الإنسان الأساسية. وركز رؤساء الوزراء على العبارة البريطانية التى مفادها أن الأمر سيحتاج إلى فترة من الحكم المباشر، تفضى إلى عقد مؤتمر دستورى، يمثل قطاعات الشعب الروديسى كلها، ويكون الهدف من مثل هذا المؤتمر التوصية بوضع دستور يؤدى إلى حكم الأغلبية على أساس مقبول من الشعب الروديسى كله.

بعد مراجعة الإجراءات التى جرى اتخاذها ضد الحكم غير الشرعى واستعراضها، أعرب بعض المؤتمرين عن قلقهم من أن الخطوات التى اتخذت فى هذا الصدد لم تؤد إلى إزالة ذلك الحكم. وبعد أن ناقشوا مسألة استعمال القوة العسكرية، اتفقوا على أن استخدامها أمر وارد، إذا ما ثبت أن ذلك أمر ضرورى لاستعادة القانون والنظام. وركز رؤساء الوزراء فى هذا الصدد على تصريح رئيس الوزراء البريطانى، الذى مفاده أنه بناء على مشورة الخبراء له، فإن نتائج الجمعية للعقوبات المالية والاقتصادية قد تقضى على التمرد خلال أسابيع وليس خلال أشهر. ومع أن بعض المشاركين أعربوا عن بعض النقائض فى هذا الموضوع، إلا أن الجميع أعربوا عن أملهم فى أن تسفر هذه الإجراءات عن الإطاحة بالحكم غير الشرعى فى روديسيا الجنوبية خلال الفترة التى ذكرها رئيس الوزراء البريطانى.

وافق رؤساء الوزراء على الإجراءات التالية التى اتخذها الكمنولث:

١ – تعيين لجنتين مستمرتين، مكونتين من ممثلين من دول الكمنولث، تقومان بالتقاء السكرتير العام فى لندن، على أن تقوم اللجنة الأولى بصورة منتظمة

بمتابعة الآثار الناجمة عن العقوبات، ومراجعة الاحتياجات الخاصة التى قد تنشأ من حين لآخر وتحتم على الكمنولث القيام بتعهداته بمساعدة زامبيا كلما تطلب الأمر ذلك، وتقوم اللجنة الثانية بتنسيق برنامج مساعدات الكمنولث الخاص بتدريب الأفارقة الروديسيين على النحو الذى سيجرى تحديده فيما يلى.

٢ - توصى لجنة العقوبات بعقد اجتماع لرؤساء الوزراء إذا ما رأت أن ذلك أمر ضرورى. وفى كل الأحوال، وافق رؤساء الوزراء على الاجتماع مرة ثانية فى شهر يوليو من العام ١٩٦٦، إذا لم ينته التمرد قبل ذلك الموعد.

٣ - لجنة العقوبات هى التى تقدم المشورة لرؤساء الوزراء إذا ما رأت أن الأمر يحتاج إلى إشراك الأمم المتحدة.

٤ - أوضح بعض رؤساء الوزراء أنهم يحتفظون، إذا ما دعت الضرورة، بحق المناداة بتطبيق المادة ٤١ و ٤٢ من الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة. وركز رؤساء الحكومات الأخرى أيضًا على هذه العبارة.

اتفق رؤساء الوزراء على أن المساعدات المبرمجة لحكومة دستورية وقانونية فى روديسيا يجب أن تبدأ على الفور؛ وعليه وافقوا على وضع برنامج كمنولث خاص للمساعدة فى تسريع تدريب الأفارقة الروديسيين، والتبكير بإنشاء مركز للتدريب فى روديسيا، وطلبوا من السكرتير العام عقد اجتماع لخبراء المساعدات التربوية والفنية بأسرع وقت ممكن للوفاء بهذا الغرض. بعد أن رفض رؤساء الوزراء رفضًا قاطعًا المطالبات القارية السابقة باللجوء إلى استعمال القوة المسلحة فى المستقبل القريب "أعربوا فى النهاية عن أملهم أن يكون الحل العادل للمسألة الروديسية شعاع أمل للرجال والنساء من كل الأعراق فى سائر أنحاء العالم فى المستقبل، وأن يؤكد على المزيد من الوئام والانسجام بين الدول، والاعتراف بكرامة الإنسان". غلف ليستر

بيرسون موجة الفرح هذه بقوله: إنه جاء إلى المؤتمر وهو يعلم أن من الصعب التوصل إلى نتائج غير جيدة حتى وإن انتهى المؤتمر بالانقسام: "لقد أمكن درء الخطر، وأن الكمنولث عندما وافق على إنشاء هذه الآلية، قد أوضح من جديد قدرته على تكييف نفسه مع المواقف الجديدة، وأكد على قيمته فى موقف من المواقف متعددة الأعراق".

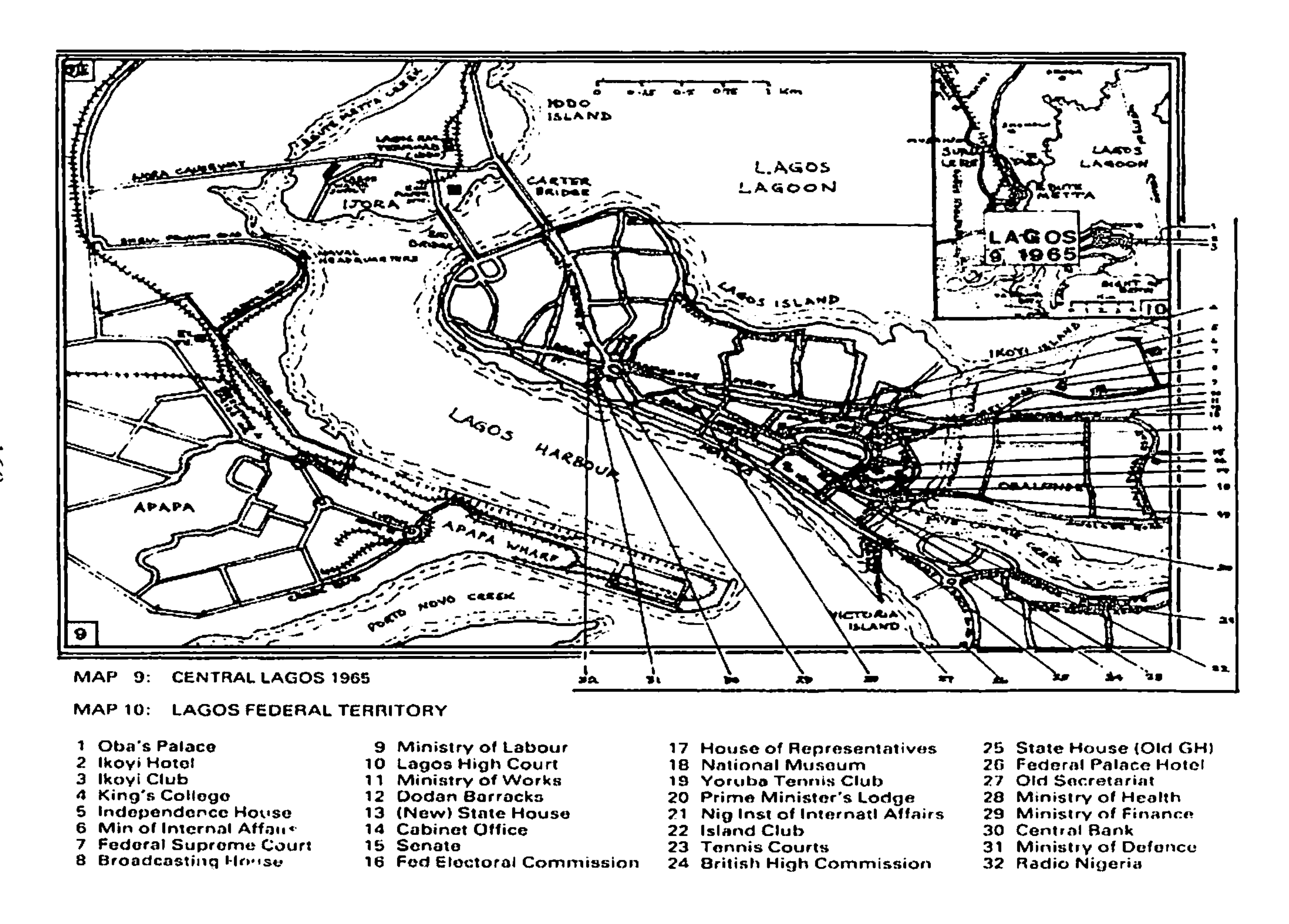
لم يكن الكنديون وإنما النيجيريون هم الذين حققوا ذلك. تكلم السيد/ ولسون بالأصالة عن زملائه بأن قال: "أنا رئيس الوزراء البريطانى الوحيد الذى حضر مؤتمر من مؤتمرات الكمنولث دون أن أكون فى موقع الرئاسة"، ثم قدم صينية من الفضة "لرئيسنا الناجح نجاحًا كبيرًا". بعد أن انفض المؤتمر (سافر الأسقف مكاريوس إلى إينوجو للقيام بجولة فى الإقليم الشرقى) أصر الحاج السير أبو بكر على مرافقة ولسون فى طريق عودته إلى الطائرة المستأجرة من طراز فايكونت - ١٠ فى إيكيجا Ikeja، ليطير بعد ذلك بساعة إلى لوساكا نظرًا لأن ولسون قد وعد بأنه سيعود إلى بلاده عن طريق زامبيا. وعندما كان أبو بكر يرافق ولسون فى الطريق المؤدى إلى داخل المطار وسط طلقات البنادق على سبيل التحية، قال أبو بكر لولسون: "**إن أمامك مستقبل عظيم بوصفك رئيسًا لوزراء بلدنا الأم، أنت حظيظ. شىء واحد أتمناه لك، ألا تصبح رئيسًا لوزراء بلد فيدرالى أو مقسم**". قال ولسون للصحافة إن المؤتمر حقق نجاحًا كبيرًا، وانتصارًا كبيرًا أيضًا للسير أبى بكر، على الرغم من النقاد الذين كانوا متشائمين من نتائجه. على المستوى الشخصى، كان ولسون مستاء من وجود نفسه وسط بلد يتهدد الخطر استقراره، وكان من الصعب عليه بعد ذلك تصديق عدم حدوث انقلاب فى ذلك البلد، عندما كان هو وأنداده هناك. ترددت قصة مثيرة لكن غير محتملة مفادها أن السيد/ ولسون دعا الحاج السير أبا بكر إلى مرافقته هربًا من متاعب البلاد، أما الإشارة التى لم تصل إلى الداخل فقد تمثلت فى أن الاثنين ساعدا بعضهما البعض فى المسائل الزامبية. وعلى الرغم من عدم الاعتراف مطلقًا بذلك، فإن الاعتقاد أكثر واقعية الذى بقى راسخًا يفيد أن سفينة الاقتحام الملكية، التى تدعى

فيرلس Fearless، كانت مرابطة فى المياه الدولية بعيداً عن ليجوس، طوال فترة المؤتمر، وعلى استعداد لحماية أمن رئيس الوزراء. وبينما كان الناس مشغولين بتناقل الشائعات والإبلاغ عن الانقلابات المحتملة والانقلابات المضادة، والاستيلاء على الحكم والضربات الاستباقية، كان عالم الاستخبارات الخاص مشغولاً انشغالاً تامًا بأمور غاية فى الأهمية. صحيح أن سفينة البحرية الملكية كانت هناك، لكنها لم تكن مفيدة فى التدخل البريطانى فى الاضطرابات، وبالتالى كانت إمكانياتها الهجومية قليلة جداً فيما يتعلق بالعمليات البرية.

وافق الحاج السير أبو بكر فى "المؤتمر الصحفى الأخير" الذى عقد فى الرابع عشر من شهر يناير، أنه بدأ يركز على المستقبل بعد انتهاء التمرد، وأنه لا يمكن وضع حد زمنى لتحقيق حكم الأغلبية: **"الحكم البريطانى فى روديسيا ينبغى أن يبقى كما هو قائم فى المستعمرات البريطانية السابقة، ثم حصلت الاستقلال - على الرغم من أنه لا يمكن أن يستغرق وقتًا طويلاً مثلما حدث عندنا. لكن لابد أيضًا من توفير الوقت الكافى لتدريب الأفارقة وإكسابهم الخبرة،... التدريب يجب ألا يقتصر على السياسيين وإنما الموظفين الحكوميين أيضًا، ولابد من توفر الوقت الكافى لكى يعتاد البيض على حكم الأغلبية. ما تحتاجونه هو الوصول إلى الوقت الذى يقول فيه الجانبان، أخيرًا، لم يعد الأمر سيئًا. لهذا السبب، يتعين الاعتراف بوجود البيض - وبذلك يمكن ضمان حكم الأغلبية. أنا أرى أن ذلك شىء ممكن، وعلى نحو أسرع من ذى قبل. أنتم تعلمون أن إعلان الاستقلال من جانب واحد كان بركة للأفارقة، صحيح أن السيد/ إيان سميث كان أحمق تمامًا".**

لم يكن الخطأ خطأ النيجيريين عندما لم تعد روديسيا إلى الشرعية، تحت اسم جمهورية زمبابوى، طوال أربعة عشر عامًا بعد ذلك. فقد وافقت حكومة أبى بكر على الفور ومن باب الكرم على ضرورة إرسال الجرارات التجارية الخمسة الخاصة بالسكك الحديدية، والمطلوبة من بريطانيا لاستعمالها فى صادرات الفول السودانى، إلى زامبيا

بدلاً من، كما تقرر أن تقوم الهيئة الاقتصادية البريطانية لغرب إفريقيا، وكيلة شركة ليلاند البريطانية فى ليجوس على تحويل شاسيهات ستين سيارة من سيارات النقل إلى ناقلات للبترول، لإعادة تصدير البترول إلى زامبيا فى الأسبوع التالى. أرسلت كادونا خطاب شكر، فى الوقت الذى ألغى فيه السيد/ بوتملى انتواءه العودة إلى بلاده عن طريق روديسيا كيما يلتقى الحاكم جيب الوحيد، بعد أن فرض إيان سميث عليه شروطه غير المقبولة. أما ما حدث بعد ذلك فيمكن استخلاصه، نظراً لأن عرف الموجة قد بدأ فى الانكسار. فى اليوم الثالث عشر من شهر يناير، أى اليوم السابق لفشل مجلس النواب بسبب عدم توفر النصاب القانونى، رد الرئيسى فستوس أكوتاى – إيبوه على مسألة عدم إدراج الأزمة الروديسية للمناقشة بقوله: "نحن الآن فى وضع أفضل يمكننا من مناقشة هذه المسألة، والسبب فى ذلك هو نجاح مؤتمر رؤساء وزراء الكمنولث الذى عقد فى ليجوس". كان أبو بكر قد عاد فى ساعة مبكرة من هذا اليوم إلى منزله الرسمى قادماً من فندق فيدرال بالاس.



MAP 9: CENTRAL LAGOS 1965

MAP 10: LAGOS FEDERAL TERRITORY

1 Oba's Palace
2 Ikoyi Hotel
3 Ikoyi Club
4 King's College
5 Independence House
6 Min of Internal Affairs
7 Federal Supreme Court
8 Broadcasting House
9 Ministry of Labour
10 Lagos High Court
11 Ministry of Works
12 Dodan Barracks
13 (New) State House
14 Cabinet Office
15 Senate
16 Fed Electoral Commission
17 House of Representatives
18 National Museum
19 Yoruba Tennis Club
20 Prime Minister's Lodge
21 Nig Inst of Internatl Affairs
22 Island Club
23 Tennis Courts
24 British High Commission
25 State House (Old GH)
26 Federal Palace Hotel
27 Old Secretariat
28 Ministry of Health
29 Ministry of Finance
30 Central Bank
31 Ministry of Defence
32 Radio Nigeria

الفصل التاسع والأربعون

نهاية الوحشية : "الخير يسعى للوحدة. والشر ينشد التفرق والانفصال"

الخير والشر لا ينسى الإنسان أيًا منهما(*)

كان هدف أبى بكر من حياته السياسية كلها يتمثل فى إسعاد النيجيريين، وقد أعرب عن ذلك مرارًا علانية وعلى المستوى الخاص. قسم كبير من هذه القصة تحتم أن يكون عن أحداث تعيسة، وطموحات ضائعة وصراع عن البحث عن السلطة، والقارئ الغريب على نيجيريا يصعب عليه أن يستخلص من كل ذلك رؤية صادقة لحيوات النيجيريين العادية. يزاد على ذلك أن عددًا كبيرًا من المشاركين فى هذه القصة ليسوا أناسًا عاديين، إضافة إلى بعض القادة القبليين لم يكونوا أصلاً مثل مرءوسيهم من البشر. وكل جماعة من الجماعات العرقية مكونة من أناس ذوى أذهان دينية، ونظرًا لأن أصحاب الأذهان الدينية هؤلاء مستسلمون لبعض المبادلات الاجتماعية عن الروابط التى بين البشر، والعائلات، والشعوب، والطوائف والحرف، فهم أيضًا ذوو أذهان سياسية. الخطأ السهل الذى يقع فيه العاملون بالسياسة والأكاديميون، والصحفيون، والمؤرخون الذين يدرسون هذه العينة من البشر هم ومؤسساتهم يتمثل فى نسيانهم أن

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا، وهو قريب من المثل الإنجليزى القديم: "افعل الخير ولا تشك فى أحد، وافعل الشر وتشكك فى الجميع" "Do well and adoubt nae (no) man, do ill and doubt a' (all) men" المترجم.

الإنسان العادى يكرس القسم الأكبر من حياة يقظته للأفكار الشطحات التى يربطها المتعصبون المجانين بالسياسة الحزبية. ومع أن السواد الأعظم من النيجيريين لم تكن حافزة أو ناقمة على أولئك الرجال الناجحين الذين جمعوا مالا وأصبح لهم أتباع. صحيح أن هؤلاء النيجيريين ربما يكونون يتشككون فى وعود الوزراء وفى دوافع أعضاء البرلمان، لكن غالبية هؤلاء النيجيريين لم يلقوا بالاً لتحمل حكومتهم لمبالغات المتغطرسين الداخليين أو العثور على حلفاء أخرين إضافة إلى نظم الحكم الثورية الأجنبية.

صحيح أن النيجيريين كلهم يفضلون تجنب العنف، لكن تاريخهم عامر بالعنف، واستعمال العنف من قبل الآخر كان صادمًا، بل لم يكن غير منتظر على الإطلاق. النيجيرى شأنه شأن الصينى، تدفعه فطرته إلى البعد عن أعين السلطة، وأن يطيع نزواتها عندما يصبح ذلك أمرًا لا مفر منه، وأن يواصل حياته الخاصة بلا إزعاج عندما تمضى قافلة السلطة فى نقل متاعبها إلى الآخرين. تزايد احتقار هؤلاء النيجيريين نظرًا لأن الطبقة السياسية التى بدأت تشتهر ربما تعرف كيف تتلاعب تلاعب الحواة مع المؤسسات المبرمجة المصطنعة، لكنها بصفة عامة فقدت الاتصال بديناميات الحياة اليومية - ما الذى تعرفه هذه الطبقة السياسية عما يدور فى الفصول الدراسية، وعن إدارة المحاصيل، أو عن الإمداد بالمياه، وما ينبغى عمله مع الأمراض، أو المحافظة على حركة السوق فى عالم الإنسان العادى؟ ونحن عندما نُقَرِّب النهاية المأسوية لحياة من الحيوات الشريفة، نقول إن القارئ الغريب لقصة أبى بكر، يتعين عليه أن يتذكر أن هذا الرجل على الخلفيات النادرة للمؤسسات الوطنية أو الدولية، لم ينس مطلقًا أن الناس الذين يقوم هو بخدمتهم كانوا يتمتعون بمباهج الحياة من خلال أسرهم، ومن خلال عبادتهم، ومن خلال أغانيهم ورقصهم، ومن خلال تمتعهم بثمار الأرض، ومن خلال موهبتهم التى تمكنهم من اكتشاف الضحك والتسلية فى الاكتشافات غير المحتملة وفى

سخافات الجنس البشرى عندما تنقلب على نفسها، وفى علاقة الشماليين والغربيين الثقافية بدنيا المال والأعمال، وافتتان الشرقيين بالمهن. كان هدف أبى بكر يتركز دوماً على تقليل فرص المؤسسات السلطوية إلى أقل حد ممكن، حتى لا تتدخل تلك المؤسسات فى سعادة الناس الربّانية. ولابد أن الرجل كان يفهم تقرير شوماخر Schu-macher عن المساعد الفنى الأمريكى المحبط عندما قال: "أنا أفعل أى شىء مع هؤلاء البورميين Burmese، لأنهم سعداء جداً....".

الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب يتناول كل منها الفترة نفسها لكن من منظورات مختلفة. وهذا الفصل الأخير يتناول الفترة نفسها. ربما يكون بعض القراء الصبورين لا يزالون ميالين إلى تشويه سمعة الحاج السير أبى بكر بوصفه رجلاً مهذباً، لكنه ضعيف، وعاجز عن متابعة عمله. احكموا من حيث أدبه، من حيث قوة شخصيته، ومن خلال قدرته ألا يستغرق فى أى أحد من معاونيه السياسيين ومن قدرته أيضاً على عدم الاستغراق فى أى أحد من غرمائه الذين كان همهم الأول الهيمنة السياسية. قله قليلة من زملاء أبى بكر فى مجلس الوزراء، ولا أحد من خصومة استطاعوا تركيز أذهانهم وطاقاتهم تركيزاً شديداً ولمدة طويلة على هذه الألغاز متعددة الأطياف. قلة قليلة أيضاً من أصدقائه المهنيين غير الحزبيين والموظفين الحكوميين هم الذين كانوا يشاركونه رؤيته الواسعة، والأرجح أنهم كانوا أصحاب قدرات عقلية متعمقة، لكنهم كانوا يفتقرون إلى معنى السلطة، تساءل الكثيرون من هؤلاء، "لماذا لم يفعل أبو بكر كيت وكيت؟" لم يذهب إليه أحد فى ذلك الوقت ليقول له: "خذ الإجراء العلانى ضد كذا وكذا" بغض النظر عن نصائح الآخرين، وسوف نقف حولك من الجهات الأربع وندافع عنك على الملأ". وعندما أمسكت حفنة من الأقزام الحقيقيين بآليات الحصار الصغيرة التى فى المتناول، تهاوت مردة البلاد المنقسمة على الفور، كانت قلاع الحماية التى بنوها حول أنفسهم عبارة عن ستر من قماش، كانوا قد احتقروا وازدروا الوحدة التى ترمز إليها

الضحية الرئيسية، الوحدة التى كان يمكن أن تعطيهم جميعًا (هم والشعوب التى زعموا أنهم يقودونها) القوة اللازمة للدفاع عن السلام والاستقرار فى أمة لا يحصل فيها الفائزون على كل شىء.

ومع ذلك ليس فى إمكان أى أحد، ناهيك عن الغريب، تسجيل الأحداث الأخيرة من هذه القصة تسجيلاً منظمًا. وما سأورده هنا يبدو لى وكأنه التسلسل الأكثر منطقية لكل ما نشر واحتوت عليه المراجع، وما رواه المعاصرون لمؤلف هذه السيرة، على المصير المشين والظالم الذى آل إليه رئيس الوزراء. وإذا ما ساعدت هذه السيرة على انبعاث بعض الدلائل الحقيقية والتصحيحية من الخفاء، فذلك يعنى أن الكتاب استحق العناء الذى بذل فيه فى زمن كان مجرموا الحرب فيه لا يزالون يُلاَحقون. لم أحاول الخروج عن حدود الجرائم والأحداث التى وقعت فى ليجوس أثناء المؤامرة والآثار التى ترتبت عليها، هذه الجرائم وهذه الأحداث كانت هدفًا لكثير من الروايات المتعارضة. الناطقون بلغة الهوسا يقولون: **"الموت هو الخافى غير الأرضى للأسرار!" Mutuwa mai tona asiri**. هذا يعنى أن أسرارًا كثيرة يتعين الكشف عنها حتى يمكن رد شرف نيجيريا إليها.

بدأ المتآمرون الذين أتينا على ذكرهم فى الفصل السادس والأربعين، تحديد أهدافهم الأساسية، بعون من مستشاريهم المدنيين مجهولى الاسماء، وعضو من وزارة الخارجية (وحسب زعم كبير، غير محتمل تمامًا، فى أجزاء كثيرة من الشمال) وبعون أيضًا من المال الإسرائيلى. جرى بعناية اختيار أعضاء من وحدات عسكرية ثقات يجرى اقتيادها لإلقاء القبض على كبار السياسيين فى مقرات حكومات الاتحاد الفيدرالى الخمسة، ومن يقاوم منهم يجرى قتله رميًا بالرصاص، يتم الاستيلاء على النقاط التكتيكية الرئيسية، المحددة منذ زمن بعيد فى خطة الطوارئ منذ أيام الاحتلال، بواسطة أفراد يسمح لهم فى البداية بالزعم بأن ذلك عمل من أعمال التدريب الروتينى فى الجيش - محطات الإذاعة، ومحطات الإرسال، وبدالات التليفونات، والمرافق العامة

ومراكز قيادة الشرطة، تقوم القوات المدرعة بالاستيلاء على معابر نهرى النيجر وبنيو فى كل من جبًا Jebba وماكوردى، لمنع التحركات الموالية من الشمال أو الجنوب، ويجب تصفية كبار الضباط الذين يحاولون أو يستطيعون إفشال التمرد. وعندئذ يقوم الثوار بتولى حكم البلاد، تم ذلك فى المناطق التى لم تكن الأهداف فيها محددة تحديداً جيداً.

اجتمع السبعة فى مطلع شهر نوفمبر فى منزل الرائد إفياجونا Ifeajuna فى ليجوس لمراجعة التفاصيل، فى الوقت الذى راحوا فيه يحشدون همهم المتزايد واسع الانتشار عن المبررات السياسية الذاتية ـ إصابة المتعلمين بالإحباط نتيجة تدخل الشلل الوزارية فى شئون المحاكم، والتعداد، والانتخابات، والشرطة، والخدمات المسلحة، وانتشار الفساد فى المرافق والخدمات العامة، والاختلاسات، والقبلية، أضافوا إلى قائمة من سيجرى القبض عليهم اسماء كل من وزير المالية الفيدرالى وبعض وزراء آخرين من ليجوس: كى أو مبادوى Mbadiwe، جاجا واشوكو، إينوا وادا، الشيخ شاجارى، الدكتور إلياس، الدكتور ماجيكودونمى، ماثيو Matthew مبو Mbu، وتشارد آكنجايد Akinjide، ووزيرى الحاج إبراهيم، الذى كان يُنْظَرُ إليه بوصفه الشيطان المسئول عن كارثة التعداد الأصلى، أما السياسيون الأقل مرتبة فيجرى تحديد إقامتهم داخل منازلهم، أما فانى - كايود فى إيبادان، والمحترم على مستشار بدا (بطا)، والحاكم السير عقيل، سكرتير المستشار السياسى الرئيسى، الذى وجه إليه نيزيوجو اللوم لتشجيعه على القيام بحالات قتل لا مبرر لها بين التيف خلال الاضطرابات التى وقعت فى بنيو.

أقر هؤلاء السبعة أن سلاحهم ليس فيه حب ضائع بين أجيو ـ إيرونسى وأديميوليجون Ademulegun أو بين أجيو ـ إيرونسى وميمالارى Maimalari، وأن هناك حسد وحقد بين غير المؤهلين أمثال آجيو ـ إيرونسى، وأديميوليجون، ويام، وجوون

الأوجـوكى[*] Ojukwu، الذى هـو صـديق لرئيس الدولة، وبعض آخـر من "خـريجى الجامعة". وحدد هؤلاء السبعة بعد ذلك تحديد قتل الضباط الأقدم منهم وهم: العميد زكارى ميمالارى قائد اللواء الثانى، والعقيد كور محمد، رئيس هيئة أركان الجيش المحبوب والغارق فى الملذات الشخصية، والمقدم يعقوب بام، القائد المساعد، وصديقه (الشخص الوحيد غير الشمالى ضمن القائمة الليجوسية)، والمقدم آرثر يونجبى Unegbe، قائد عام الإمدادات والتموين، والمقدم أبوجو لارجيما Abogo Largema، فى إيبادان، والعميد سام آدميول ليجون قائد اللـواء الأول والعقيد رالف شوديندى Shodeinde فى كلية التدريب، والاثنان موجودان فى كادونا. واللواء آجوى - إيرونسى. والعميد بابا أوجندايب Ogundipe (رئيس الأركان فى قوات الدفاع)، أما الأربعة غير الشماليين من بين قادة الكتائب الخمسة، داود إيجور، قائد الكتيبة الأولى فى إينوجو، هيلارى نجوكو، قائد الكتيبة الثانية فى إيكيجا Ikeja وأبيوكوتا، جورج تى كوروبو قائد الكتيبة الثالثة فى كادونا، وشوكوميكا Chukwuemeka أو أوجوكو Ojukwu قائد الكتيبة الخامسة فى كانو فقد تقرر الإبقاء عليهم بناء على فرضيات متباينة. وربما كان يعقوب جوون سيوضع على رأس القائمة لولا أنه كان مسافراً إلى الخارج، يضاف إلى ذلك أن المصير المحتوم لحسَّان Hassan كاتسنا Katsina لم يكن واضحاً عند هذه المرحلة. كانت هناك فرضية مفادها أن الباقين على قيد الحياة سوف ينضمون إلى المنتصرين. وعندما راح هؤلاء السبعة يتعاملون مع الانقسام الحالى لنيجيريا قرروا تقسيم البلاد إلى نسقى لواءين، وكان اللواء الأول يتولى فى الشمال عملية اسموها الفهد Damisa بقيادة نزيوجو، وكانت عملية الجنوب التى أطلقوا عليها اسم الغسيل الجديد New wash فكانت تحت قيادة الرائد إفياجونا، مع دور صغير فرعى فى إيبادان أسند إلى النقيب نويوس Nwobosi الأبيوكوتى، الذى عُرف بتعاطفه مع المتمردين منذ العام

(*) نسبة إلى منطقة أوجوكو. (المترجم).

١٩٦٤، لكن جرى مؤخرًا تجنيده ضمن المؤامرة، وأحيط علمًا بها فى آخر لحظة. وعقب تحديد ساعة الصفر يجب اتخاذ كل الترتيبات المناسبة اللازمة لنشر التمرد فى سائر أنحاء البلاد، حتى فى الأماكن التى يُعْتقد أنها ستكون خالية من المعارضة.

تحدثوا كما لو كانوا ضباط أركان فى "ثلاثة" مراحل، العمل المفصل لهيئة أركان الحرب وتمثيل الأدوار، التمرد الحقيقى والتجفيف، وإعادة التنظيم وتولى الحكم. وبقيت مسألة تولى الحكم ضبابية كما هى دومًا، وعلى الرغم من أن البعض حبذ إرسال النقيب يودياجا Udeaja إلى كلبار لإحضار الرئيس أولوو لتولى الرئاسة فى إدارة ثانوية لكن تقدمية، فإن بعضًا آخر ومنهم نزيوجو لم يوافقوا على ذلك، وكان هناك إجماع غير معلن على أن الضباط العظام الذين سيبقون على قيد الحياة قد يواجهون الأمر الواقع ويتحتم عليهم مواصلة عملهم من باب التعاطف. ولما كان الأعضاء الأكثر وحشية على استعداد لإخماد أى شكل من أشكال المعارضة، كان الأعضاء المتدينون يفكرون فى أخذ رهائن، وهنا أصبحت مبادآت وحى الساعة أمرًا لا مفر منه. أُعيد تسجيل ذكريات التحالف المتحد التقدمى العظيم، من الذاكرة حتى يمكن ترجمتها إلى أفكار كانت تقف خلف بعض مراسيم الحكومة العسكرية الدورية ومنشوراتها عن توحد المؤسسات القائمة وحيادها، لكن هذه المراسيم والمنشورات الدورية لم يتقرر نشرها حتى بعد الانتهاء من هذا الكتاب، عندما تعين على العسكر والموظفين الحكوميين أن يبدأوا فترة تعميرية قصيرة. يزاد على ذلك أن ما خُطِّط لتنفيذه فى شهر ديسمبر جرى تأجيله فى بداية الأمر إلى شهر يناير، ثم بعد ذلك إلى ما بعد مؤتمر الكمنولث – من باب درء الخزى والعار عن نيجيريا إذا ما أصيب أحد من الزوار بأذى، لكن واقع الأمر أن التأجيل حدث لأن إجراءات الأمن الشرعى ستكون فى قمتها فى ذلك الوقت.

تشجع هؤلاء المتمردون هم ومساعدوهم من الخونة، وإن شئت فقل المتعاطفين الأقوياء بفعل الشائعات التى ترددت فى الشوارع عن التهديد بالانقلابات، هذه الشائعات ثبتت جدواها فيما بعد فى تأييد دفاع مُميت مفاده أن التمرد جرى القيام به

لاستباق انقلاب منفصل من ناحية، وتخليص الشعب من الانحطاط السياسى من ناحية أخرى. هذا لا يعنى عدم وجود خطط أخرى، بعض النيجيريين لا يزالون متأكدين أن العميد ميملارى Maimalari كانت لديه أفكاره الخاصة به، بعض آخر من النيجيريين لا يمكن أن يبرئوا بعض الرجال الكبار من دس أصابعهم فى فطائر أخرى. وهذا هو قاضى القضاة الفيدرالى، وقد تلقى إنذاراً من أكرا، والذى لم يقره رئيس الوزراء نظراً لانشغاله تماماً بأمور أخرى. وهذا أيضاً هو الحاج أبو بكر إمام سمع رجلاً إنجليزياً من إينوجو، وامرأه مقيمة فى الشمال يعبران عن قلقهما الحقيقى من مؤمرات مزعومة، ساءل نفسه عما إذا كان يحذر السير كاشيم إبراهيم، لكنه قرر أن من الحكمة الابتعاد عن "السياسة الحديثة". كانت هناك أيضاً حدوته معاكسة مفادها أن المستشار السياسى الرئيسى، من خلال استغلال التحالف الوطنى النيجيرى، كان سيجبر رئيس الوزراء على إحالة آجوى - إيرونسى إلى التقاعد، أو يُمَكِّن لمنصب القائد العام، حتى يتمكن آدميوليجون من إخضاع التحالف المتحد التقدمى العظيم بالوسائل العسكرية. حدثت ثرثرة أيضاً بأن منازل الوزراء سيجرى هدمها وتدميرها، وأن تاريخ الحادى عشر من شهر يناير هو التاريخ المفضل للقيام بهذا العمل. أُشعلت الفرتيشة من جديد بما يفيد أنه ربما يجرى تنظيم مظاهرة فى الإقليم الشرقى، كيما يتمكن مجلس الوزراء من التحرك تحركاً ناجحاً فى البرلمان فى اتجاه إعلان حالة الطوارئ، التى يمكن أن تنتهى، مثلما حدث فى الإقليم الغربى، بإقالة الحزب الحاكم وحذف إقامة إقليم (خامس)، والإبقاء على حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين ضعيفاً فى موطنه مثلما هو حادث لحزب جماعة العمل فى موطنه. زد على ذلك أن ما قاله.. وزراء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين الفيدراليين، حول هذه المسألة ليس متاحاً وغير موجود. كان المستشار السياسى الرئيسى هو وآكنتولا، وبعض آخر من المتيمين بالقيل والقال (الجاهلين بحقيقة السيطرة الدستورية على الجانب العسكرى) يقولون: إن لارجيما الكانورى قائد الكتيبة الرابعة فى إيبادان سوف يشن هجوماً على أنصار التحالف المتحد التقدمى العظيم فى الإقليم الغربى. وعلى العكس من ذلك، جرى التلميح

إلى أن التحالف المتحد التقدمى العظيم كان يساند ويؤيد بعض الساخطين فى الجيش، فى إقالة الحكومة الفيدرالية وتنصيب أولوو على رأس زمرة التحالف المتحد التقدمى العظيم. هذا الذى قيل مؤخراً كان بعيداً عن الحقيقة، لكن لم تكن هناك أية دلائل على صدق هذه الشائعات، الأمر الذى دفع المتآمرين المحترزين إلى مضاعفة سريتهم، مما يعنى أن النتيجة جاءت صادمة للكثيرين، لكنها كانت مفاجئة لقلة قليلة من الناس. ترددت حدوته أخرى مفادها أن أجوى - إيرونسى توفرت لديه بعض الأخبار وكان يود السفر بالطائرة بصحبة ستانلى وى لتحذير السير أبى بكر فى باوتشى، لكن إينوا وادا منعه من ذلك وجعله يؤثر الانتظار إلى أن يعود رئيس الوزراء إلى ليجوس، ذاعت هذه الحدوتة فيما بعد لكنها لم تكن لها أية مصداقية أو أساس من الصحة. كانت الدائرة الداخلية تراقب تحركات الساسة وكبار ضباط الجيش، نظراً لأن الإجراءات الأمنية الرسمية القائمة على مبدأ "الحاجة إلى المعرفة" بدأت تنزلق نحو شبكة "الأفضل سماعة" بين القبليين المتعاونين المستاءين، وإشارة الجيش، والاتصالات المدنية.

تحدد للعمرة السنوية التى يمكن القيام بها فى أى وقت من أوقات العام، أن يقوم بها المستشار السياسى الرئيسى خلال رمضان، شهر الصوم، فى الفترة ما بين ٢٣ ديسمبر من العام ١٩٦٥ والحادى والعشرين من شهر يناير العام ١٩٦٦. هذا الموعد لا يمكن أن يغيب عن تقديرات المتآمرين، وبخاصة أن الكثيرين من أهدافهم يكونون متعبين بدنياً فى هذه الفترة، كما أن البعض منهم يكونون مشتتين عاطفياً، وهذا خيار يمكنهم من توجيه ضربتهم، يزاد على ذلك أن توقع حدوث عملية "بلا رحمة" التى أوجزناها فى الفصل السابع والأربعين تأجلت هى نفسها بالضرورة إلى ما بعد انتهاء مؤتمر روديسيا. قبل أن يطير المستشار السياسى الرئيسى لأداء العمرة قام بجولة فى سكتو Sokoto، بصحبة حاشيته المعتادة. ولحق بهم فى أرجونجو على عقيل سكرتير رئيس وزراء الشمال، وكان عقيل قد أحضر معه تقريراً استخباراتياً عن خطة تربُّص لشخص المستشار السياسى الرئيسى، ونصح على عقيل بالعودة فوراً إلى كادونا.

أصرت الجماعة على مواصلة الجولة، وعادت كما هو مخطط لها لتحظى بمراسم التوديع التى أشرنا إليها، ثم غادرت الجماعة مرة أخرى لأداء العمرة فى يوم الثلاثاء المصادف لليوم الرابع من شهر يناير. قبل الصعود إلى الطائرة أُعْطى المستشار السياسى الرئيسى خطابًا مريبًا مكتوبًا بإنجليزية عامية، يحذره هو شخصيًا وآكنتولا، بل وكل هرم الرئاسة فى الحزب الوطنى النيجيرى بأنهم جميعًا سيقتلون. وصف المفوض الإقليمى هذه الرسالة بأنها "كلام فارغ"، ووافق السير أحمد بللو على ذلك الوصف، لكنه ترك لمسئوليه تحرى هذه المسألة.

فى الوقت نفسه، وُجهت الدعوة رسميًا إلى اللواء ولبى - إيفرارد، الذى حصل مؤخرًا على لقب فارس، لحضور حفل تدشين القوة الجوية التى اكتمل تدريبها فى نيجيريا. ألمح سول Sule كولو، سكرتير إيفراد الدائم القديم فى وزارة الدفاع أن الرجل يمكن أن يكون مفيدًا: "لعلك أدركت يا كرستوفر أن الباطن ليس كالظاهر - ("نعم، هذا صحيح يا سول") - لك مطلق الحرية فى الذهاب إلى حيثما تشاء، إلى وحداتك القديمة، لكن بشرط واحد - ("ما هو هذا الشرط؟") - أن تخبرنى قبل أن تعود إلى وطنك عن الحال التى عليها الأجواء فى الجيش". حضر ولبى - إيفرارد استعراض القوة الجوية وخطبها، لكنه قام أيضًا بزيارة كثير من جنوده السابقين بصورة عامة، لكن الروح المعنوية بين الجنود فى ثكناتهم كانت جيدة، اشتم الرجل أن شيئًا ما غير محدد كان يدور من وراء ستار، لكن الرجل لم يشم رائحة تمرد وشيك الوقوع. وفى كادونا كان الرائد نيزيوجو يقوم علانية بتنظيم تدريب عسكرى اسمه الفهد Damisa، الأمر الذى اعتبرته رئاسة اللواء نشاطًا من جانب مدرب كبير.

غادرت جماعة رئيس وزراء الإقليم الشمالى إلى المملكة العربية السعودية فى اليوم الحادى عشر من شهر يناير عائدة إلى أرض الوطن، وهو فرح بحصوله على امتياز الدخول إلى الغرفة التى فيها قبر النبى (صلى الله عليه وسلم). وفى اليوم الثالث عشر من شهر يناير يلتقى رئيس وزراء الشمال فى كادونا كلا من رئيس الوزراء

الفيدرالى (أبى بكر تافاوا باليوا) ومعه السير كاشيم إبراهيم هو والقائم بعمل رئيس وزراء الإقليم، موزع المهام على كبار الموظفين فى بطا (بدا). ناقشوا آخر الشائعات وأحدثها، وكذلك الرسائل التى كان العميد آدميوليجون يكتبها للوزراء فى الإقليم الشمالى، بخط كبير الأئمة فى كادونا، والتى يحذر فيها تحذيراً كبيراً من دلائل الاضطراب وعلاماته، التى جرى استخلاصها من حركة تنقلات الضباط العظام أمثال الرائد حسان كاتسنا (ولد الأمير الذى يقود سرية الاستطلاع) والذى أصبح على وشك النقل إلى أبيوكونا، والأعمال "المميزة" التى كانت تسند إلى الإجباويين. ومع ذلك، لم يكن هناك سبب مقنع لتغيير توقيتات النوايا المبيتة. يزاد على ذلك التزويقات التى أُبلغ بها المستشار السياسى الرئيسى فيما بعد، والتى رفض تصديقها، ومفادها أن البريطانيين وفروا للحاج السير أبى بكر حراسة آمنه بعد أن غادر فندق فيدرال بالاس، فى اليوم الثانى عشر من شهر يناير يجب أخذها بتحفظ شديد، بحلول العام ١٩٦٦ كانت الاستخبارات البريطانية فى ليجوس لا تعرف شيئًا أكثر من المصادر الموالية، وعانت هى الأخرى من التشوهات نفسها من قبل الوسطاء المنحازين. وعلى الرغم من ذلك كان المستشار السياسى الرئيسى فى حال تتوجس الشر، الاستقالة، والاكتئاب الزائد عن الحد، وكان غاضبًا من النداءات التى كانت تلاحقه فى صحافة الشمال، والتى مفادها أنه يتعين عليه "القيام بجولة" فى الإقليم الغربى.

نزل إلى ألبر فى بلدة أبابا فى ذلك اليوم نفسه المقدم غير المرتاب جاك جوون Gowon، عائداً من دورة التعاون بين الأسلحة التى عقدتها كلية التدريب. كان جوون يتطلع إلى الإقامة مع جيمس بام، لكن منزل القائد المساعد كان مليئًا بأفراد الأسرة والضيوف، على الرغم من أن الرائد إفياجونا كان قد حجز له مكانًا فى فندق إيكوى Ikoyi فقد عثر الرجل على مكان لمبيت العسكر فى "ميس"(*) Mess ضباط الكتيبة

(*) الميس : المكان الذى يتناول فيه العسكر طعامهم. (المترجم)

الثانية فى إيكيجا Ikeja، والتى سيتولى قيادة وحدة من وحداتها، من باب تجديد خبرته الميدانية وإنعاشها بعد المناصب والمهام التى تولاها فى هيئة الأركان، كان جاك جوون غيارا(*) للمقدم هيلارى نجوكو فى قيادة وحدة مهمة فى كادونا. كان العميد آدميوليجون بدوره مشغولاً فى كادونا للاستعداد لزيارة غانا لإجراء المزيد من مناقشات منظمة الوحدة الإفريقية حول قيادة عالية إفريقية، الأمر الذى يمكن أن يسفر عن ترقية أجوى - إيرونسى أو هو نفسه أو الاثنين معًا.

استأجر فى اليوم التالى المصادف للرابع عشر من شهر يناير، الرئيس Chief آكنتولا، واهن العزم طائرة دون إنذار أحد من الناس، وطار هو وآكنجايد من إيبادان إلى كادونا. كان الرجل بحاجة ماسة إلى التأكد من التحالف الوطنى النيجيرى، حليفه القديم، سيواصل تأييده له، على الرغم من عدم احتمال علمه بعملية "لا رحمة" (كانت تلك العملية هى لب المؤتمر الأمنى المعاصر عالى المستوى الذى عقده كبار الضباط فى ليجوس). اكتشف آكنتولا عدم استعداد مضيفه بسبب حرارة الجو فى ذلك اليوم من أيام الصيام فى الإقليم الشمالى، فضلاً عن قيام المستشار السياسى الرئيسى بأداء صلاة الجمعة فى ذلك اليوم. قام الوزير المسيحى ميخائيل عودة بودا، بإحضار آكنتولا من المطار، ليلتقى على الفور كلاً من السير أحمد بللو، وعيسى كيتا، وأحمان Ahman باتيجى. يبدو أن المقدم لارجيما قائد الكتيبة الرابعة فى إيبادان كان حاضراً ذلك الاجتماع، بصفته صديقًا. أصر آكنتولا على قيام الجيش بإخماد خصومه على الفور، نظرًا لأن ناسه خسروا بالفعل ثلاثمائة رجل، وبالتالى لا يمكن التحكم فيهم بعد ذلك، وأن مسألة تولى السلطة بعون من بعض العناصر العسكرية أمر جاد، وأن المستشار السياسى الرئيسى يتعين أن يصحبه على الفور، وعلى ما يبدو لتحريك رئيس الوزراء

(*) "الغيار" عند العسكريون هو من يأتى لتولى القيادة فى وحدة من الوحدات بعد أن أمضى فيها من سبقه فترة زمنية. (المترجم)

هو وسلطات ليجوس. جرى تجاهل أكنتولا بحق، وبدأ رئيس وزراء الشمال يبدى عدم اهتمامه التام بهذه المسألة، على الرغم من إعطاء أكنتولا وعداً بأن الحاج السير أبا بكر بكل ما قاله، لكن أكنتولا عندما كان يصعد إلى طائرته عائداً إلى إيبادان فى ساعة متأخرة من عصر ذلك اليوم استدار إلى الحاج السير أحمد وصاح قائلاً: "أقول لك إنهم سيقتلونا اليوم". أما رئيس الوزراء، الذى كمم شفتيه حفاظًا على الأمن والسرية، فقد وجد من السهل عليه، فى ساعة متأخرة من ذلك اليوم، أن يرد على بعض التساؤلات العارضة بقوله، إن أكنتولا كان يصيح قائلاً من جديد "الذئب! الذئب! الذئب!" طلب رئيس وزراء الإقليم الغربى من زوجته الذهاب إلى أُجبو موشو Ogbomo-sho، التى كان يقضى فيها عطلة نهاية الأسبوع، حتى يستعد هو لاستقبال الإمبراطور هيلاسلاسى فى زيارة خاصة بعد انتهاء المؤتمر.

يزاد على ذلك أن جون سميث، مدير مركز هيئة العاملين فى تنمية الشمال، والذى كان يشغل منصب نائب سكرتير رئيس الوزراء الإقليمى، والأكثر اطلاعًا من أى أحد من المقيمين الباقين فى البلاد، بصحبة جيمس أوكونل O'connell، رئيس تحرير جريدة نيجيريان Nigerian أوبنيون Opinion(*) من جامعة إيبادان لمقابلة مفوض الشرطة الإقليمى إم دى يوسف فى كادونا، أبلغا مفوض الشرطة بأنهما متيقنان من حدوث انقلاب خلال أسابيع إذا لم تقم الحكومة بعمل منسق بأحكام قبضتها على البلاد (وإبعاد أكنتولا فى نهاية المطاف). وافق مفوض الشرطة الإقليمى على تقييمها، لكنه ذكرهما بمقاومة المستشار السياسى الرئيسى فى الوقت الحالى لأية مبادأة عملية من هذا القبيل. ووافقا على أن يوسف سيقوم بمحاولة أخرى، وعاد أُوكونل بسيارته إلى زاريا، ماراً من خلال القوات المجهزة للقيام بالتدريب المسمى **الفهد** **Damisa**.

(*) بمعنى "الرأى النيجيرى". (المترجم).

طار ضابط ميدانى شمالى إلى ليجوس، فى ظل زعم عام بأن ذلك كان من قبيل تنبيه آجوى - إيرونسى Aguiyi - Ironsi. وجرى إنذار كادونا أيضاً بأنها سوف تستقبل وزيراً فيدرليًا حديثًا (احمد رباط)، الذى يحمل معه مسودة كلام رئيس الوزراء عما سيجرى عمله فى الإقليم الغربى والجدول الزمنى لعملية الجيش، لكن نظراً لعدم اكتمال هذين الأمرين، فإن المستشار السياسى الرئيسى لم يتسلمها بعد. تروج بعض القصص التى مفادها أن المستشار السياسى الرئيسى، البعيد كل البعد عن خسارة "الهجوم المفاجئ القاسى" على التحالف المتحد التقدمى العظيم فى الإقليم الغربى، والذى ليس من سلطته، لكن "الرغّائين كانوا يحسبون أنه يستعد له، كان فى ذلك الوقت راضخًا لتوقع الأسوأ، لكن العنصر الذى يراه الغرباء على شمالى نيجيريا محيراً تمامًا، أنه فى الجو المشحون بالإنذارات واليأس، كانت تقاليد عطلة نهاية الأسبوع البريطانية تعم الجو كله. هذا يعنى أن المزيد من النقاش، والمنع، والعمل كان كله مؤجلاً إلى صباح اليوم السابع عشر من شهر يناير، فى الوقت الذى استنتج فيه الرائد نزيوجو، أن سر رفاقه قد انكشف وأن الأمر أصبح حقيقة واقعة.

فشل مجلس النواب فى ليجوس بعد الاستماع إلى بيان حكومى عن المال والأعمال، لم يكن هناك شىء آخر عن جدول الأعمال. خرج الحاج السير أبو بكر قاصداً مطار إيكيجا الدولى بصحبة الدكتور إلياس لتوديع آخر شخصية مهمة من زوار الكمنولث. كان الدكتور إلياس قد تسلم للتو رسالة من الدكتور كوفى بوسيا Busia الغانى المنفى، يحذره فيها من أن خصوم نيكروما قد اكتشفوا دلائل على تمرد وشيك فى نيجيريا. قرأ أبو بكر هذه الرسالة ووضعها فى جيبه. وعقد أبو بكر أيضًا مؤتمراً صحفيًا اقتبسنا عنه بعض الأشياء فى الفصلين السابقين. هناك مقطوعة أخيرة من ذلك المؤتمر الصحفى قد تعطى شيئًا من التبصر فى آراء الرجل الحكيمة فى ضعف بلاده السياسى، وذلك الذى يعد سببًا جوهريًا فى الاستياء الداخلى، والذى اتخذه المتمردون مبرراً للقيام بتمردهم: **"قلت للناس جميعًا ويومًا إننا لم ننضج بعد**

لقبول منظومة حكم تكون المعارضة فيها كاملة الامتيازات. المعارضة السياسية بمفهومها الغربى نوع من الترف الذى لا قبل لنا به. ألا ترون ذلك؟ فى أى منا هذه، نجد أعضاء البرلمان الغربى ـ البعض منهم ـ يقومون ببعض مهام المعارضة ـ وعليه هم قادرون على ذلك ـ دعوهم ينتقدون، دعوهم يدينون هذه الحكومة، دعوهم يقولون ما يحبون. المشكلة تتمثل فى أن عضو البرلمان النيجيرى يريد انتقاد الحكومة وأن يكون فى الحكومة نفسها فى الوقت نفسه . الديموقراطية، الديموقراطية؟ هناك الديموقراطية الأمريكية – الديموقراطية البريطانية. لماذا لا تكون هناك ديموقراطية نيجيرية؟ أتمنى لو نعثر على ذلك".

تحدث أبو بكر لآخر مرة عن الفساد أيضًا (كافحت دول أخرى الفساد بلا نجاح مرات كثيرة على امتداد خمس سنوات): "نعم،... الناس يتكلمون عنه فعلاً، وأنا أرى أن الفساد أمر خطير فعلاً، لكنك عندما تطلب الدليل، لا تحصل عليه. حاولت ذلك مرات كثيرة ـ سأعطيكم مثالاً. وصلنى تقرير من واحد من سكرتيرى البرلمانيين أن واحدًا من كبار الساسة تعرض عليه آلاف الجنيهات من قبل أحد الأوروبيين ـ رجل ألمانى ـ الذين لهم صلة بالبناء والتعمير. تتبعنا ذلك الرجل فى جوس، وبعد تقرير غير مرضٍ، تابعناه أيضًا فى كانو حيث كان على وشك مغادرة البلاد. واتضح لنا أن الرجل كان يتفاوض بشأن قرض خارجى لتمويل إنشاء بعض البنايات فى جامعة الأيف. كان ذلك الرجل قد سافر إلى إيبادان والتقى بعض الوزراء، ثم قال بعد ذلك، إنه عندما كان فى الفندق جاءه "شخص ما" يطلب نقودًا لوزير من الوزراء، ويؤكد له أن العقد سيكون "على ما يرام". هذا "الشخص ما" اتضح أنه محامٍ، ولا تربطه أية علاقة بأى وزير من الوزراء، أو حزب من الحكومة فى الإقليم الغربى. وعليه أشركنا الشرطة الدولية (أنتربول) فى الأمر، واكتشفنا أن هذا الرجل نفسه كان شخصية مشتبهًا جدًا فى نزاهتها، ولم يكن مخولاً التفاوض على أى قرض بأى حال من الأحوال. هذا البلد فيه عدد كبير من المقيمين حاليًا. أنشطة البعض منهم لا تساعدنا على الإطلاق. وأنا أتمنى

لو أمسكت بشخص ما حتى أجعله عبرة لمن يعتبر" لم يقل أبو بكر شيئًا عن انتقالات الخدمات الجوية التى جرت مؤخرًا.

أُجبر أبو بكر أخيرًا على التفكير فى مشكلة الفترة الانتقالية التى يمكن أن تنشأ إذا ما اعتزل الحياة العامة (إذ كانت تلك هى رغبته منذ زمن طويل)، وبخاصة بعد أن وافت المنية الحاج محمد رباط. كل ما قاله الرجل فى هذا الصدد هو: **"هذه هى المشكلة التى شغلتنى طوال القسم الأكبر من العام الماضى... وأنا أرى، إذا لم يكن لديكم مانع، فأنا لن أعلق على هذا الموضوع"**. عاد أبو بكر إلى منزله من المهمة التى قام بها إلى أونيكان Onikan، وكان لا يزال فى ظل حماية شرطية خفيفة، وزاره نائب رئيس حى كانو، بللو ولد عَمار Amar، الذى سعد عندما وجد صديق عمره أبا بكر، الحاج أبو بكر جاريا كافن ماداكى، نائب رئيس حى باوتشى، معلقًا فى غرفة الضيوف. جاء بعد ذلك الحاج ميتاما سول نيابة عن وكيل الحج فى بلدة كانو، لكن قيل له فى ذلك الوقت إن رئيس الوزراء منقطع الصلة عن العالم الخارجى بصحبة بعض الوزراء الآخرين يناقشون إجراء بشأن الموقف فى الإقليم الغربى.

فى هذا اليوم، أى فى يوم الجمعة المصادف لليوم السادس عشر من شهر يناير، كان الرئيس آزكوى لا يزال فى الخارج وكان الرئيس نوافور أوريزو قائمًا بعمل رئيس الدولة. كان وزير الدفاع، الحاج إينوا وادا غائبًا فى طريقه إلى زيورخ لإجراء عملية فى عينه، وكان رئيس الوزراء قد أبلغه أن صحته لها الأولوية على مؤتمرات الكمنولث، ونظرًا لأن الحاج إينوا وادا كان بصحبته سكرتيره الدائم سول كوبو الذى كان مكلفًا بأعمال أخرى، فإن وزير الجيش الحاج إبراهيم، ووزير تاكو Tako وأحمد كورفى نائب السكرتير الدائم كانوا مسئولين عنهما. كان الرئيس أيو روسيجى، وزير الإعلام، فى إجازة فى كل من مدريد ولندن، وكان قد التقى إينوا وادا فى روما حيث أبلغه أنه كان لا يزال يشعر بالقلق لأن رئيس الوزراء لم يفعل شيئًا إزاء التقارير الخاصة بالتمرد. كان الحاج نوح بامالى هو الآخر غير موجود فى ليجوس. وكان لويس إيدث، مفتش

الشرطة العام، هو الآخر قائمًا بإجازة، وكان نائبه الحاج كام سالم هو القائم بعمله، أما السيد/ لسلاى Leslie مارسدن Marsden بصفته ممثلاً للمفتش العام فكان مسئولاً عن أعمال الأركان والاتصالات.

لم يكن من بين الوزراء الذين جرى استدعاؤهم تليفونيًا، وبقوا على انفراد إلى ساعة متأخرة من الليل يتشاور معهم الحاج السير أبو بكر على انفراد، أى أحد من وزراء الشمال. أما أصدقاؤه الذين من قبيل رئيسى الحيين، اللذين لم يقبلا أو يقرًا بعد هذه السنوات كلها الحقيقة التى مفادها أن أول نيجيرى حقيقى يمكن أن يعامل رفاقه فى مجلس الوزراء على قدم المساواة معه، بدءا يرياه بعد أن حصَّن نفسه مبتعداً عن أقرب مستشاريه فى وقت بلغ فيه ذهنه من الانشغال حدًا أعجز الرجل عن التفكير الواضح السليم. كان الرجل يعرف أن من المحتم عرض العمل الذى سيقره حزب المؤتمر الوطنى الشمالى فى نهاية المطاف، على الشركاء الفيدراليين فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين لدراسته والموافقة عليه. والذى لا شك فيه أن الرئيس فستوس سام أوكوتاى – إيبوه كان واحداً من أولئك الوزراء الذين استغلوا وظائفهم فى تكوين ثرواتهم، لكنه كزميل يمكن أن يكون فطنًا ومسليًا إلى أبعد الحدود، كان الرئيس فستوس ميالاً للشماليين ومتفهمًا للشمال الذى أفقده ثقة الإجباويين المغالين فى الشوفانية داخل حزبه: المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وبين المتآمرين، يزاد على ذلك أن الرئيس فستوس كان وزيرًا للمالية مجداً وكفئًا. لم يكن صعبًا تحمله حتى فى أشد نوبات غضبه. كان الدكتور كنجسلى أوزومبا مبادوى قد ابتعد عن طريقه من باب الإبقاء على علاقاته الاجتماعية الودية مع رئيس الوزراء الذى كان يجله كثيرًا، على الرغم من قناعته أنه لو قسم القدر شيئًا مختلفًا لنيجيريا لأصبح هو نفسه رئيس الوزراء الفيدرالى، هذا الجمع بين الضدين الذى سمح لهذا الرجل بالحصول على منصب فيدرالى، فى الوقت الذى كان حزبه المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وكبار إخوانه المواطنين عاصين ومتمردين للسلطة الفيدرالية، قد يجعله ذا وجهين

وليس محلاً للثقة عند بعض الناس، لكن الزعيم الأوحد قد ينظر إلى ذلك وكأنه أمر مشروع ومن قبيل الولاء الشخصي، وبالتالي يكون محل ترحيب صاحبه. هذان الرجلان كانا هما المهمين في لجنة الحزب التنظيمية، على الرغم من وجود المحامي العام الدكتور إلياس ووزير النقل ريموند نجوكو.

كان أبو بكر واثقًا بهؤلاء الزملاء الجنوبيين إلى الحد الذى جعله يبلغ من القلق حدًا لا يستطيع معه البقاء على نحو يجعل الناس ينظرون إليه وكأنه جالس لا يفعل شيئًا سوى مراقبة ما يدور، كان أبو بكر على استعداد تام لإعلان حالة الطوارئ، وكان قد وافق من حيث المبدأ على الأسس التى ستسير عليها العملية العسكرية، وكان على استعداد أيضًا لإلقاء بيان فى البرلمان. كان على استعداد للتحدث بصفته زعيمًا لنيجيريا، وكان يتوقع من الدكتور مبادوى، بصفته زعيمًا لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين أن ينبرى مؤيدًا له تأييدًا صريحًا. تبادلا الملاحظات وأخرج أبو بكر المسودة الأولى للخطبة، التى ينبغى أن يكون المستشار السياسى الرئيسى قد اطلع عليها بالفعل. كان ينوى إعداد الخطبة بنفسه، لكنه طلب من الدكتور مبادوى تدوين ملاحظاته عليها فى البداية ثم يعيدها إليه فى اليوم التالى. كان مبادوى آخر من غادروا المكان قبل منتصف الليل، وجرى تقريعه شفهيًا على تأخير سيده إلى هذه الساعة من الليل. وفى حوالى الساعة الواحدة مساء، وبعد أن تحدث تليفونيًا مع المستشار السياسى الرئيسى، وبعد الاسترخاء خلال دردشة يغالبها النوم مع رئيس حى باوتشى عن تصرف **("الصديق أكنتولا" الذى وضعنا فى هذه الورطة، وأن الله هو وحده القادر على إخراجنا منها")**. اشتكى أبو بكر من أن جسمه يؤلمه، ودخل غرفته، كان واحد من أبنائه يتقاسم معه الغرفة، أما الزوجتان فنامتا فى مكان آخر، كانت إنى Inni فى باوتشى وحاملاً فى شهرها التاسع.

كان قادة الجيش مشغولين طوال فترة المساء، فقد اقترحوا على اللواء أجوى - إيرونسى أنه يتعين أن يكون ضيف الشرف فى الحفل الذى سيقام فى المنزل الموجود

فى إيكوى Ikoyi والملون للعميد ميمالارى الكانورى المحبوب، احتفالا بزواج العميد من زوجة جديدة من كانو، كان المقدم جوون Gowon مجرد واحد فقط من كثير من الضباط حاملى الرتب العالية الذين ذهبوا بصحبة مجموعة كبيرة من الصحفيين والضيوف الأجانب لحضور ذلك الحفل الخيالى، الذى جعل ردود أفعال أولئك الذين تسمح تقاليدهم بتعاطى المشروبات الروحية أقل من الحساسية المعتادة. يقال إن جوون حُذِّر بعد ذلك من صديقة إجباوية فى أحد النوادى الليلية من أن الخطر قادم، وولد لدى مراقبيه انطباع أنه متوجه بسيارته إلى إيبادان، لكنه عندما لاحظ النشاط العسكرى غير العادى، غادر الاحتفال فى ساعة مبكرة قاصداً موشن Mushin بدلاً من العودة مباشرة إلى الثكنات العسكرية، التى كان يمكن اكتشاف أمره فيها بسهولة كبيرة. ذهب أجوى - إيرونسى نشوانا إلى حفل آخر على ظهر سفينة القيادة أوريول Aureol الموجودة أمام رصيف المرفأ فى ميناء أبابا. وهنا حان وقت بدء عمل المتآمرين.

فى ساعة متأخرة من ليلة اليوم الرابع عشر من شهر يناير استدعى إفياجونا رفاقه من المتآمرين الليجوسيين، كما استدعى لأول مرة، السواد الأعظم من النقباء والضباط الآخرين الذين دون رتبة النقيب الذين جرى التأكد من تأييدهم وولائهم وإمكانية الاعتماد عليهم، وكان من بين المستدعين أيضًا أوكافور، وإفياجونا (بعد أن قام بغياره الرائد مُرتالاً محمد قائداً للإشارة)، وأنوفورو، وشكوكا من مركز رئاسة الجيش، وأديمويجا Ademoyega والنقيب أوجى Oji، وقد وصل عدد المجتمعين فى منزل إفياجونا فى أبابا (الذى كان ينزل فيه معظم ضباط الجيش). كان العديد من هؤلاء الضباط يشربون ويضحكون فى حفل ميمالارى. راح إفياجونا يشرح ويوضح عمليات الغدر والخيانة التى يرتكبها الساسة الفاسدون، والفوضى السائدة فى الإقليم الغربى، والخطر الذى يمكن أن يترتب على تورط الجيش فى عنف سياسى يقضى على الطرفين، والانهيار الذى دُفعت نيجيريا فى اتجاهه - هل يمكن أن يشاركوا ويعانوا فى خطة لإنهاء هذه الكارثة؟ جرى إقناع المتشككين، من منطلق أن من ليسو مع

التمرد فهم ضده بالفعل، وسيصحبون معروفين. جرى تحديد سبعة أهداف منفصلة فيما بينهم: اختطاف رئيس الوزراء ووزير المالية، اغتيال العقيد محمد والمقدم يُنجْبى Unegbe، أسرا وقتل كل من اللواء أجوى - إيرونسى والعميد ميمالارى، قتل المقدم بام، احتلال غرفة السيطرة على الشرطة، احتلال بدالة التليفونات، اختلال مبنى أل ECN. لابد أنه كانت هناك اسماء أخرى لم يأتوا على ذكرها فى هذا الاجتماع وسيجرى تصفيتها أيضًا: مثل الحاج وزيرى إبراهيم، وجرى التنسيق بين العمليات التى ستدور فى كادونا، وفى مدينة بنين وإيبادان، وأن الرائد إفياجونا سوف يتجه إلى إينوجو للاطلاع على الإنجاز هناك. من المرجح أن تكون الرتب كلها مطلوبة، أو يتعين أن تبقى منشغلة بأعمالها، وأنها سوف تندب للقيام "بعمليات أمن داخلى" زائفة فى الفترة ما بين منتصف الليل والساعة الواحدة صباحًا، حتى يمكن توفير النقل والعتاد الحربى. يجب أن تظهر القوات على شكل استعراض يتخذ تشكيل القتال على شكل مركزى رئاسة لواءين. بعد أن تتم القوات مهامها، يتحتم تجمعها أمام ميس الحرس الفيدرالى، وعند الساعة الثانية صباحًا يتحرك كل واحد صوب الهدف أو الأهداف المحددة له. ومع انتهاء الليل كان سبعة آخرون من ضباط الصف قد انضموا إلى جانب المتآمرين.

قام قول أفياجونا، ومعه ملازمان واثنان وعشرون جنديًا بغلق دوَّارة أونيكان القريبة من مسكن رئيس الوزراء، والمواجه لنادى تنس اليوروباويين. جرى تخويف رجال الشرطة المتمركزين هناك ومعهم كلب حراسة، الأمر الذى جعلهم يستسلمون بسهولة ويضعون بنادقهم، ثم جرى احتجازهم فى غرفة البوابة، هؤلاء الجنود كانوا على استعداد للتعامل حتى مع اللصوص، وليس مع أفراد متمردين من الجيش متمرسين على القتال. قاد إفياجونا بعض أفراد جماعته من خلال البوابة الخلفية، ودار حول بعض البنايات. استيقظ الشرطى المريض قفطان توبوليميو Topolomiyo، الذى كان نائمًا فى سكنه الرسمى لأول مرة، وظن أن الضوضاء صادرة عن الحرس الشرطى الذى يحاول اعتراض بعض اللصوص أو توقيفهم، ولف حزام مسدسه حول

البنطال القصير الذى كان يرتديه. خرج قفطان، ليجرى الإمساك به وإجباره على الجلوس على أحد الكراسى والمسدس مصوَّب إلى رأسه، سمع المسدس وقد انطلقت منه طلقة طائشة، نظراً لكسر إصبع من أصابعه بسبب واقى التتك (الزناد) عندما قام إفياجونا بأخذ بندقيته منه. دخل صبى صغير من أبناء قفطان للدفاع عن والده باستخدام عصا، لكن أُمسك به وجرى اقتياده فى اتجاه الغرف الرئيسية، وأنكر ذلك الصبى الصغير وهو يواجه الموت أنه يعرف المكان الذى يقيم فيه رئيس الوزراء، أو مكان الأبواب الرئيسية، أو مفاتيح ماكسويل أوركبابو Orukpabo، الذى شاهده رجال الشرطة من خلال النافذة، قبل ذلك بوقت قصير، وهو يقطع الغرفة جيئة وذهاباً. خرج أوركبابو وهو يرتدى فانيلة بلا أكمام وتنورة، وينكر هو الآخر أنه يعرف مكان المفاتيح وهو تحت التهديد بفتح النار عليه، قال إن رئيس الخدم ربما كان معه مفاتيح، ومع تصويب البندقية إلى رأسه قاد أفياجونا ومرافق قفطان إلى غرفة عودو Audu. وعندما أنكر عودو أنه ليس لديه مفاتيح، سُئل قفطان مرة ثانية. طلب قفطان منهم أن يفتحوا النار عليه ويقتلوه رمياً بالرصاص إذا كان ذلك هو مبتغاهم. تواصلت هذه المهزلة السوداء باقتحام الباب الأمامى المصنوع من الزجاج، والدخول الدرامى المسلح إلى غرفة الكرار الخالية، وأدرك قفطان عند هذا الحد أنه واقع فى قبضة بعض الخونة السياسيين المتنكرين فى زى الجنود، وجعلوه يصعد السلم غصباً وحاول جعلهم يقتادوه إلى الدور الثانى، حيث يوجد سكن خال معد لإقامة الضيوف. فى هذه المرة كان أوركبابو فى الخلف، وهنا نادى عليهم شخص من الخلف. وعندما وقف قفطان أمام غرفة نوم الحاج السير أبى بكر، أصر على أنه غريب تماماً على هذا الجزء من المنزل، لكن بعد تشاور آخر بِلُغَةِ الأجبو، وكان أوركبابو لا يزال تحت تهديد البندقية وأومأ برأسه فى اتجاه الباب.

طرق أفياجونا الباب وسمع صوتاً يقول: **"من الطارق؟"** ويرد قفطان "سيدى، إنه أنا". **"ماذا حدث؟"**– "سيدى، أنا مقبوض علىّ، وممسوك من الجنود". وقبل أن يُزيد من

كلامه لقى ضربة فى ظهره بدبشك البندقية، وقوله له "إخرس" لأنه ذكر كلمة "جنود". صاح أوركبابو قائلاً شيئًا مثل "!Pa يحاولون إخراجك يا سيدى". فتح أبو بكر الباب، ودُفع قفطان إلى داخل الغرفة، ويتلوَّى إفياجونا ويدخل بعد قفطان كما لو كان فرداً من أفراد الصاعقة شاهراً بندقيته. كان رئيس الوزراء واقفًا أعزل مرتديًا ملابس النوم. وقف إفياجونا، وحيا رئيس الوزراء وقال: "أنا هنا وأقدم احترامى وتقديرى، وسوف آخذك معى". أحضر أبو بكر ملابس الخروج، لكن قيل له إنه يرتدى ملابس كافية، ويحتج قفطان بأن هذا رجل مميز، لابد أن يرتدى ملابس مضادة للرطوبة. سُمِح له بارتداء الصديرى والبنطال، وثوب أبيض، وغطاء الرأس، وشبشب، وأن يأخذ معه مسبحته، وأصر على حتمية الصلاة قبل مغادرة المكان. طلب قفطان أن يعرف ذلك الذى فعله "الحاج"، حتى يستحق ذلك، وما سيفعلونه معه. قال إفياجونا بطريقة غامضة: "أنا لن أفعل معه أى شىء، سوف أعتنى به"، وفى الطُّرقة، نادى إفياجونا على الجنود الذين لم يؤدوا التحية، بالوقوف فى الوضع انتباه وأداء التحية لرئيس الوزراء. عجلت المجموعة بالخروج، مخلفة وراءها خوذة وسلاحًا ناريًا بسبب الارتباك. سمع رئيس الحى ذلك كله، وهو محبوس فى غرفة نومه، بعد أن أخفت زوجته مفتاح الغرفة.

فى الخلاء، كان المحترم أبو بكر يمشى هادئًا فى المقدمة، ومن خلفه قفطان، مقيَّد الذراعين من الخلف بواسطة جماعة أفياجونا، ويخرج الجميع من بوابة المنزل عائدين إلى الدوَّارة(*). حاول القائد أن يؤكد للأسير، "نحن نعلم أن كل المتاعب التى تدور فى البلاد ليست من صنعك أو بسببك". ولم يقل أبو بكر شيئًا سوى، **"نعم"**. أوقف أبو بكر بالقرب من القاعة التذكارية، وطُلب من قفطان الذى كان يواصل الصياح بأن "الحاج" هو الابن الوحيد لأمه، ويسألهم عن أسبابهم ونواياهم، العودة إلى المنزل. رفض قفطان

(*) الدوَّارة: ميدان مستدير الشكل. (المترجم).

العودة على الرغم من ضربه مرات عدة بمؤخرات المسدسات، إلى أن طلب منه أبو بكر الهدوء والعودة، لكن قفطان راح يراقبهم وهم يسيرون فى طريق أولوو قاصدين دوَّارة فورس Force رود Road القريبة من المتحف وحمام سباحة أوكينان، حيث كانت سيارة إفياجونا ألبك – أب" Pick - up واقفة. حدث فى المسكن فى حوالى الساعة الرابعة صباحًا فوضى ورعب، بعض النسوة حسبن أن "الحاج" نُقل إلى المستشفى لأن جسمه كان يؤلمه، أخريات ومنهن زوجته لارابا Laraba، عرفن أن الجنود اختطفوه، زاد انزعاجهن بعد ذلك بسبب الأحداث التى وقعت للجيران فى منزل أُوكوتاى – إيبوه. كان إبراهيم ولد قفطان قد طلب على الهاتف زوجة مفوض الشرطة فى ليجوس، همام ميدوجورى Maiduguri، وهو صديق لأسرة أبى بكر، وأرسل إنذارًا يحتم القيام بإجراءات مضادة.

فى إطار الأحداث الأخرى، قام الأعضاء الباقون من جماعة إفياجونا بالتعامل أولاً مع وزير المالية، أوميمى – إيجو والرئيس فستوس صمويل أوكوتاى – إيبوه، ذهب أفراد الجماعة إلى المجمع السكنى الخاص بوزير المالية، فى سيارة نقل حمولة ثلاثة أطنان، وقفزوا من فوق السور، وألقوا القبض على الشرطى الوحيد، والحراس المدنيين الخمسة الذين كانوا منعوسين على أقواسهم وسهامهم، ثم رفسوا الباب الزجاجى بأحذيتهم. أوقظت المُعَلِّمة حبيبة، مديرة شئون منزل أبى بكر، وزوجة الحاج عيسى كيتا، على إثر صياح وضوضاء فى المنزل المجاور عند الساعة الثانية صباحًا، وقد عزت ذلك الصياح بحكم نعوستها إلى بعض نساء السوق وهن ينادين على بضائعهن. وعندما أطلت من نافذتها على مجمع الرئيس فستوس السكنى رأت الجنود الذين ربما كانوا يحاولون التغلب على حارس كان يقاوم المتمردين، لكنها تعرفت فستوس بعد ذلك وهو يُجَرُّ لابسًا تنورته، ويصيح مكررًا، "لا تقتلونى!"، ثم يُطْلب إليه الركوب فى السيارة النقل. بعد مزيد من المقاومة والصراخ "افتحوا النار عليه"، أُجْبر على الركوب فى اللورى. تلا ذلك سماع طلقتين ثم صمت، اللهم إلا من صوت السيارة وهى تغادر

المكان، والأرجح إلى دوَّارة فورس رود. هناك رواية تقول إن هذه المجموعة قتلت ميمالارى رميًا بالرصاص وهى فى طريقها إلى ميس الحرس الفيدرالى.

قام الرائد شوكوكا Chukuka فى الوقت نفسه بمهاجمة منزل المقدم جاك بام، زاد وصول الجنود غير المنتظر من شكوكه المشوبة بالعصبية، كان بام يحاول تليفونيًا إقناع اللواء المتهافت آجوى - إيرونسى، فى سكنه فى جلوفر Glover رود Road بالقرب من البحيرة، بأن الاضطرابات قد بدأت، ذهب بام بالحال التى كان عليها مع الجنود، إذ كان يرتدى معطفًا وملابس نومه، مشى بهدوء حتى لا يسبب خطرًا لزوجته التى أنجبت منذ وقت قريب جدًا طفلاً ذكرًا، اقتاده الجنود إلى ميس دودان Dodan. ومن دودان أعاده أنوفورو Anuforo إلى إيكوى Ikoyi، وسمح له بالخروج لأداء الصلاة، وأرداه قتيلاً بطلقات مدفع ماكينة، فى أرض الجولف خلف منزله. وحُملت الجثة مرة ثانية وأعيدت إلى ثكنات دودان، فى سيارة، تقول بعض الروايات إنها هى السيارة نفسها التى وُضع فيها أبو بكر، ولم يكن فيها مقعد للجلوس عليه سوى جثة من الجثث.

سمع آجوى - إيرونسى فى الوقت نفسه صوت إطلاق نار بعد مكالمة جاك بام التليفونية، وهنا قام الرجل بإيقاظ حُرَّاسه، ونزل إلى الدور الأرضى، متحاشيًا أولئك الذين كانوا مستعدين لإلقاء القبض عليه أو اغتياله. يبدو أنه فى البداية قد أصدر أوامره للرتب الأخرى الباقية فى ثكنات ديدان بالاستعداد لمقاومة مثيرى الشغب، وأن لا يأخذوا أية أوامر إلا منه هو شخصيًا أو ميما لارى، وأن يفرقوا المحتلين غير القانونيين لغرفة العمليات الفيدرالية، وبعد أن شق طريقه خلال طريق غير سالك وملىء بسدادات الطرق التى تستخدم ضد المتمردين، وبعد أن موّه طريقه متخطيًا ضابطًا صغيرًا متمردًا حاول إيقاف سيارته بسيارة أخرى طراز لاندروفر، أفلح إيرونسى فى استنفار القوات الموالية فى ثكنات إيكيجا Ikeja قبيل الفجر.

قامت جماعة الرائد أنوفورو، باغتيال المقدم الإجباوى ينجبى Ungebe، قائد الإمداد والتموين لرفضه تسليم أى مفتاح من مفاتيح مستودع الأسلحة. واصل

أنوفورو مهمته بالذهاب إلى بارلند Parland وأبابا، لكي يغتال المقدم الكانورى كور Kur محمد، رئيس الأركان، الذى كان حراسه عبارة عن جنود إسعاف ميدانى غير مسلحين. وجرى ربط المقدم كور محمد إلى جذع شجرة فى فناء سكنه المؤقت وهو مرتدٍ ملابس نومه، باستعمال "قايش" واحدة من البنادق، ثم جرى اغتياله أيضًا بطلقات مدفع ماكينة. ثم نقل الجثمانان بعد ذلك إلى ميس دودان.

فشل أوكافور قائد الحرس الفيدرالى هو وجماعته فى أسر كل من آجوى - إيرونسى، الذى ربما كان أوكافور شخصيًا يريد حمايته، أو ميمالاى. وعندما جرى الهجوم على العميد الكانورى ميمالارى المتزوج حديثًا، بعد أن حُذِّر بصفة مبدئية بالمشادة المبدئية التى دارت بين أوكافور والحرس وسماع صوت دفعة نيران من رشاش خفيف أثناء رنين جرس تليفونه، أفلح الرجل فى الهرب من خلال مكان إقامة أولاده ومنه إلى الفناء الخلفى، ومنه إلى محطة من محطات المحروقات، وسواء هاتف أم لم يهاتف سائقه لإحضار سيارته، التى جاءته مليئة بالجنود المتمردين، فقد أُلقى القبض عليه (هناك رواية مؤكدة تقول إن ذلك المتمرد كان إفياجونا، هو الذى رماه هناك بالرصاص بعد ذلك وهو فى طريقه إلى فندق إيكوى Ikoyi). يبدو أن أوكافور ادعى أنه هو الذى اغتال بام بنفسه، وبعد أن فشل فى العثور على ميمالارى، اضطر إلى الانضمام إلى إفياجونا فى سكن رئيس الوزراء، وأنه شارك فى المرحلة الأخيرة من اختطاف رئيس الوزراء. كان معروفًا أن المقدم الكانورى أبوجو لارجيما يقيم بصورة مؤقتة فى فندق إيكوى بعد حضوره حفل زفاف العميد ميمالارى، وجرى استدعاؤه وهو يرتدى بيجامته، وجرى رميه بالرصاص فى الممر بواسطة رجال تابعين لإفياجونا، وجرى سحب جثمانه إلى الصالة الرئيسية فى الفندق.

ليس هناك شك فى أن الأسرى الأحياء كلهم، أبا بكر، ويحتمل أيضًا ميمالارى، وأوكتاى - إيبوه، وحوالى ستة عشر آخرين الذين كانوا يسمون الضباط غير المتعاونين نُقلوا إلى اجتماع ثكنات دودان، لو كانت أوامر آجوى - إيرونسى بعدم أخذ أوامر من

أى أحد آخر، قد صدرت لما قام الصف والجنود بفعل أى شىء بصورة أو أخرى. بعد الساعة الرابعة صباحًا أخلى كل من إفياجونا وأوكافور سبيل أبى بكر، وربما أيضًا ميمالارى وبعض الضباط الآخرين، وبعد التجوال فى شوارع ليجوس فى حيرة وذهول لأن الأمور لم تكن تسير حسب الخطة المرسومة قام الرجل باحتجاز رئيس الوزراء فى نهاية المطاف، تحت حراسة حارس إجباوى فى "منزل أمين" مملوك لشخص يدعى أويكان Oyekan، رئيس Oba ليجوس. وربما يكون الضباط الموالون قد انضموا إليه. وبدأ جمع الجثث فى مشرحة المستشفى، فى حين سافر إفياجونا وأوكافور إلى إينوجو لتولى مقاليد الأمور هناك. أدى ذلك إلى ترك أنوفورى يتولى مقاليد الأمور فى ليجوس: يبدو أن أونوفورو قام عند الساعة الثالثة صباحًا بنقل جثث ميمالارى، وكور، وبام ويونجبى Unegbe فى سيارة حمولة ثلاثة أطنان ووضعها فى مقابر ضحلة تبعد مسافة أميال قليلة على الطريق المؤدية إلى أبيوكوتا. تزعم الرواية التى تقول: إن أوكوتاى - إيبوه لم يجر قتله بالفعل، إن الرجل كان لا يزال يجلس مذعورًا فى هذه السيارة من سيارات النقل. يقال إن أنوفورو حملق فيه متعجبًا، "من هو ذلك الرجل؟"، وأنه أجبره على النزول من السيارة إلى الغابة، وأرداه قتيلاً برشاشه الخفيف، ليجرى دفنه على الفور مع ضباط الجيش الأربعة.

باقت الأبواق فى الحرس الفيدرالى حوالى الساعة الثالثة صباحًا، ورافقها إطلاق نيران متفرقة ونداءات ليلية غير عادية مميزة للتحركات العسكرية، مستهدفة جعل الجبناء والعقلاء يهجعون ويهدأون، ومحاولة إفهام قلة قليلة من الشجعان يدركون أهمية ما يجرى ويخشونه أيضًا. عند هذا الحد كانت بدَّالة التليفونات قد أُسكتت تمامًا. كان كام سالم مفتش الشرطة العام هو وهمام ميدوجورى مفوض شرطة ليجوس قد أيقظا كبير مسئولى الدفاع المدنى فى البلاد، الحاج أحمد كورفى، نائب السكرتير الدائم، ليخبراه أن رئيس الوزراء جرى اختطافه بواسطة الجنود، ويطلبان منه الرأى والمشورة. خرج أحمد كور بسيارة من السيارات لتحرى الأمر، وكان قائد الشرطة فى سيارة

أخرى، ذهبا أولاً إلى منزل ميملارى فوجداه مظلمًا ومهجورًا، وفيه جثة ملقاه خارج البوابة. كان منزل جاك بام أيضًا، صامتًا، وشاهد أحمد كور السيارة وقد أطلقت طلقات نارية على إطارتها، ووجد حرم جاك بام بائسة وخائفة. وبطريق الحدس ذهب إلى فندق إيكوى، ليجد لا رجيما مقتولاً لكن جرى نقل جثته. هؤلاء الضباط الثلاث كانوا رفاقًا لأحد كورفى كلية زاريا الحكومية. ويعود أحمد كورفى ليؤكد ما حدث لأسرته ويرتدى ملابسه الرسمية.

كان رئيس أحمد كورفى السياسى فى ذلك الوقت هو الحاج إبراهيم تاكو، وزير الدولة لشئون الجيش ومستشار بدا (بطا)، صحا هذا الرجل على أصوات الأبواق التى فسرها على أنها إنذار، يدوى بالقرب من منزله. وعندما عرف من واحد من الخدم أن هناك غوغاء وهرج ومرج فى ثكنات دادان العسكرية سارع خارجًا من منزله مرتديًا ثيابًا قصيرة ليرى بنفسه ما يجرى ويطلب حراسة مرافقة، لم يعثر على أحد من الضباط، لكن ضابط صف أبلغه أنه بحاجة إلى حرس مناسب، مشيرًا إلى بعض المتمردين الذين يحتمل أن يقوموا بمهاجمة منزله. بينما كان الحرس الوقائى راكبًا (ومتشددًا إلى حد أنه منع أحمد كورفى من الدخول بعد ذلك إلى الثكنات) وعندما هرب المتمردون، ركب إبراهيم تاكو دراجته قاصدًا سكن رئيس الوزراء، لكنه أيضًا وجد المنزل يغص بالجنود العائدين. انطلق أحمد كورفى يبحث عن وزراء آخرين عله يجد واحدًا منهم على استعداد لتولى المسئولية، لكن الحرس المدنى المعتاد منعه من ذلك، كان ذلك الحرس المدنى مسلحًا بأسلحة غير متطورة لكنها فعالة، رُفض من قبل حرس المنازل كلهم اللهم باستثناء منزل واحد، لم يكن فيه سوى حارس ليلى واحد. كان الشيخ شاجارى قد استقال وانقطع للتسبيح، لكنه رفض تولى أية مسئولية وزارية، نظرًا لأن زنا بوكار دبشاريما يجىء فى المرتبة التالية بعد أبى بكر وإينوا وادا فى الترتيب الهرمى الفيدرالى لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى. ويعود الحاج أحمد كورفى يائسًا إلى منزله انتظارًا لما سيأتى به النهار.

كانت شقيقة زوجة قفطان قد اتصلت بالحاج ميتما سول قبل قطع الاتصالات التليفونية. قفز ميتاما نازلاً من سريره، وركب دراجة ولده وهو حافى القدمين وبلا حذاء، ووجد بوابات مسكن رئيس الوزراء مفتوحة، حدث شىء مجهول بعد دخول الليل، وتذكر أن عصابة من الجنود عارضته أثناء الليل (قيل إن أوكافور ادعى أنه رفع مسدسه على ميتما سول لكنه

أبقى على حياته من باب احترام العشرة القديمة). انطلق ميتما سول قاصداً مسكن رئيس الوزراء القديم، الذى أصبح الآن داراً للضيافة، حيث يوجد بالرَاب Bala-rabe "الأخ" الأصغر لأبى بكر، والذى كان سكرتيراً خاصاً لميتاما سول ودبلوماسياً مستقبلياً، كان بالراب فى المنزل لكن ميتاما سول فشل فى إيقاظه (مصطلح "أخ" يجرى استخدامه فى الشمال من قبيل المكافأة أو المعولين الذين بلغوا من السن مرحلة يصعب معها مناداتهم بلقب "الابن" لكنهم شباب على نحو يمكن معه اعتبارهم من الأولاد الذين ينتمون إلى العائلة). فى طريق عودته شاهد ميتاماسول جنديين يمشيان شاهدين سلاحيهما فى اتجاه مركز رئاسة اتحاد الإذاعة، حيث كان هناك ضابط يعلن على الشعب النائم أن الجيش تولى الحكم ليضع حداً للعصابات، والفوضى والفساد والإقطاع ("إخوانى، لن تكونوا بعد اليوم بحاجة إلى الخجل من كونكم نيجيريين......"). عندما وصل ميتاما سول إلى أوبالندى Obalebde تسلق جدار المنزل لينذر ويحذر إبراهيم تاكو بصفته نائباً لوزير الدفاع، الذى كان على علم بالفعل بالأحداث الدائرة، وقال إنهما ينبغى أن يرسلا مذكرة إلى القائد العام أجوى - إيرونسى. كان الرد الذى حصلا عليه على الفور يفيد أنه كانت هناك "محاولة" مؤكدة لكن كل شىء تحت السيطرة. سارع إبراهيم تاكو هو وميتاما سول قاصدين منزلى ميملارى وجاك بام، واكتشفا أن البيتين جرى الهجوم عليهما، كما جرى الهجوم أيضاً على منزل سكرتيره الدائم الذى كان فى الخارج مع الوزير الاسمى. عاد ميتاما سول إلى منزله مجهداً ومثقلاً بالشكوك. ذهب إبراهيم تاكو للقاء كام سالم القائم بعمل المفتش الشرطى

العام، الذى أبلغه أن رئيس الوزراء غائب أو بالأحرى مفقود، وأن الاتصالات العادية مع كادونا مقطوعة. قرر إبراهيم تاكو مقابلة مستشار التدريب الألمانى، وإرسال سكرتيره الخاص بطائرة القوات الجوية إلى كادونا للاتصال. كان إبراهيم تاكو قد اكتشف، وجود فانى كايود، نائب رئيس وزراء الإقليم الغربى، فى ميس دودان، وكان يرتدى الزى العسكرى، الذى من الواضح أن الضباط الذين أخذوه من إيبادان قد تخلوا عنه بعد إلقاء القبض عليه، وأنه أخذ فانى كايود إلى منزل صديق من أصدقائه قبل العودة مرة ثانية إلى منزل رئيس الوزراء، وهو منزعج تمامًا من دلائل ذيوع خبر الانتفاضة على مستوى الأمة كلها.

كان التيار الكهربائى مقطوعًا عن إيبادان فى تلك الليلة، ارتدى الرئيس صمويل أكنتولا رئيس وزراء الإقليم الغربى ملابسه على وجه السرعة، وقال لولده الأكبر وبقية الأسرة إن ذلك هو ما كان يتوقعه. وصلت جماعة بقيادة نويوسى ومعه ضابط رتبته أقل من النقيب فى سيارة نقل، واستدعته إلى خارج المنزل واغتالته رميًا بالرصاص عند أول درجات سلم المدخل، وجاء الاغتيال بعد أن استسلم تمامًا لتلك الجماعة. كان أكنتولا مسلحًا، ويبدو أنه دافع عن نفسه تمامًا طيلة عشر دقائق، بل إنه قتل واحدًا من مهاجميه. وقد جُرِحت زوجة ولده هى وحفيده. جرت فى ظل هذه الاضطرابات التى حدثت فى إيبادان تصفية حسابات مدنية كثيرة عن طريق العنف، الأمر الذى أسفر عن هرب الكثيرين إلى داهومى، كما اندلعت أيضًا حملة إحراق وسلب ونهب لممتلكات وزراء الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى.

أشرف نيزيوجو فى كادونا، وبمساعدة كل من النقيبين بن جويلاى **Gublie** ويودى، على عملية موثقة توثيقًا جيدًا وأكثر دموية فى إطار عملية الفهد **Damisa**، هى التى أوحت فى المقام الأول بالنجاح التام للتمرد. كانت القوة الجوية الوليدة تقوم بطلعات من باب دعم المتمردين على الأرض. وجرى اغتيال كل من رئيس وزراء الإقليم الشمالى الحاج السير أحمد بللو، وزوجته الأولى، والعميد أدميوليجون هو وزوجته،

والعقيد شوديانـد Shoedeinde، وبعض ضباط الجيش، والعديد من الحراس المدنيين واثنين من خفراء المستشار السياسى الرئيسى وموظف حكومى كبير اغتيالاً بشعاً بإطلاق النار عليهم، لمجرد فقدان متمرد واحد فقط، وقد أصيب نيزيوجو نفسه ببعض الجروح نتيجة ارتداد بعض الطلقات، وجرى قصف منزل رئيس وزراء الإقليم الشمالى بقنابل الهاون وإشعال النار فيه. وشُلَّت حكومة الإقليم الشمالى السياسية، وسيق حاكم الإقليم، السير كاشيم إبراهيم، بمنتهى الأدب إلى الحجز. قال نيزيوجو للسير كاشيم "أنت رجل ماجد،... ما يجرى ليس موجهًا لأناس مثلك،.... كل هؤلاء السياسيين الفاسدين... جعلوا من هذا البلد رهينة... بدون مبرر". وذكر بالاسم كلا من أحمد بللو، أكنتولا، آزكوى، أوكوتاى - إيبوه، أكبارا وأوريزو. تجمع الموظفون الحكوميون المحليون والمقيمون لمواجهة الموقف. جرى دفن جثمان المستشار السياسى الرئيسى فى منزل السلطان القريب من كادونا. كانت الجنازة متواضعة، بسبب رفض نيزيوجو من ناحية، والخوف العام الذى انتاب بعض المقربين من رئيس وزراء الإقليم الشمالى من ناحية ثانية. وألقى القبض على الوزراء الإقليميين، ثم سمح لهم بعد ذلك بالتفرق عائدين إلى بلدانهم.

أعلن نيزيوجو فى ساعة متأخرة من ذلك اليوم الأحكام العرفية (العسكرية) على "مقاطعات الإقليم الشمالى". قام نيزيوجو بإعلان صيغة، يبدو أنها تكررت بلا أدنى شك من قبل زملائه فى عواصم الأقاليم الثلاثة الأخرى. كان الهدف منها تعليق الدستور، وحل الحكومة والمجلس التشريعى "باسم المجلس الأعلى للثورة فى القوات المسلحة". وحظر نيزيوجو كل الأنشطة السياسية، والثقافية، والقبلية، ونشاطات النقابات العمالية، والمظاهرات، والتجمعات غير المرخص لها، (باستثناء التعبُّد الدينى). وفى إعلان غريب وشاذ للغاية، صادر عنه، قال وأعلن أن المخالفات التى يعاقب مرتكبها بالإعدام يدخل ضمنها السلب والنهب، والحرق، والجنسية المثلية، والاغتصاب، والاختلاس، والرشوة، والفساد ومساعدة الغزاة الأجانب، والمظاهرات، والتجمعات غير

المرخص لها، والتخريب، والتدمير، والبلاغات الكاذبة، وعدم التعاون مع قوات الثورة، وعدم الإبلاغ عن الأنشطة المضادة للثورة، أو الانتباه والحرص من الأشخاص المطلوبين عندما يحاولون الهرب من العدالة، كان الولاء المشكوك فيه، والتجمهر أو الجلوس فى الطرق العامة من ضمن هذه "الجرائم" أيضًا. نسب نيزيوجو على الملأ، فضل التمرد إلى "خمسة رواد" Majors، لكنه عيَّن حكومة تنفيذية من المدنيين "للقضاء على المحسوبية والمحاباة، والقبلية الإقليمية". ودُهش الرجل عندما التقى الرائد حسان كاتسنا فى المطار، كان مفترضًا أن يطير حسان فى اليوم السابق إلى ليجوس، حيث كان رفاقه ينتظرونه هناك، لكنه كان قد أُبعد عن حمولة الطائرة "دون نزع رتبته عنه"، وكان يفكر فى مصيره، لأنه لم يكن مسلحًا فى تلك اللحظة.

قامت مفرزة صغيرة بتطويق منزلى الحاكم ورئيس وزراء إقليم الغرب الأوسط، لكن الرئيس دنيس Dennis أوسادباى Osadebay سُمح له بعد ذلك بالعودة إلى موطنه فى أصابا Asaba مخلفًا وراءه الفوضى، وزوجته التى كانت تنتحب قائلة: "لماذا هذا يا دنيس، قلت لك: لا تشتغل بالسياسة!" جرى فى إينوجو، فى بداية الأمر، محاصرة مكتب البريد ومحطة الإذاعة، وصدرت الأوامر لمحطة الإذاعة بالانضمام إلى محطة إذاعة ليجوس، وجرى عزل المقار الرئيسية بواسطة سدادات الطرق، لكن على الرغم من تعطل التليفونات فى كل من ليجوس وإيبادان، فإن قلة قليلة من شاغلى هذه المقار الرئيسية ظنوا أن هناك نوعًا من التمرد – ظهر الأمر هنا وكأنه مجرد تدريب يقوم به الجيش. عندما وصل إفياجونا هو وأوكافور إلى إينوجو بعد الغداء، تحادثا مع رئيس وزراء الإقليم الشرقى الدكتور ميخائيل أوكبارا، وسمحا لزائره، الأسقف مكاريوس رئيس قبرص أن يرحل بطائرة عمودية إلى ليجوس فى طريق عودته إلى إبدجان، وبحضور الوزراء زملاء رئيس وزراء الإقليم الشرقى وفى حضور الحاكم أيضًا، نصح كل من إفياجونا وأوكافور للرئيس ميخائيل أوكبارا بالعودة إلى يوماهيا، ونصحا

للآخرين بالعودة إلى قراهم. واختفى الرائدان على الفور، بعد أن اكتشفا أن المقدم داود إيجور قد عاد من ليجوس عند الظهر، وأن كتيبته فشلت فى مساندة التمرد.

عندما أعيد القسم الأكبر من الاتصالات فى فترة متأخرة من يوم السبت تلقى نيزيوجو مكالمة تليفونية فى كادونا من العاصمة الفيدرالية، أدرك نيزيوجو فشل أفياجونا فى ليجوس، وأن أوكبارا لا يزال على قيد الحياة، وأن الأمر يتطلب تغيير نواياه، نظراً لأن السيطرة لا تزال أيضاً فى أيدى بعض آخر من الناس. يبدو أن المقدم أوجوكو فى كانو، لم يكن يعلم بما يحدث فى الأماكن الأخرى، على الرغم من وجود رواية تقول إنه كان بصحبته عشيقة له فى كادونا فى اليوم الرابع عشر من شهر يناير، وعندما وصلت أخبار الاضطرابات والقلاقل غير المؤكدة رضى لنفسه بالاستيلاء على المطار الدولى، ولما كانت طموحاته قد أثارت فى نفسه الغيرة من أنداده وممن هم أقدم منه، فقد راح يؤخر الإعراب عن تعاطفه مع الرواد المتمردين إلى أن يصبح ذلك أمراً غير ضرورى. كان السير كرستوفر ولبى إيفرارد ضيف شرف المقدم أوجوكو، على وجبة العشاء فى ميس الكتيبة الخامسة، فى الليلة السابقة، وقد تلقى كرستوفر إشارة تليفونية تحذيرية من وزارة الدفاع فى ليجوس، تطلب منه السفر فوراً إلى موطنه؛ فقد راجت بعض الشائعات التى تفيد أن كرستوفر ولبى إيفرارد كان متورطاً فيما يدور بطريقة عجيبة وغريبة.

بدأت عند الساعة التاسعة من صباح يوم السبت نتائج الرحلة التى قام بها آجوى - إيرونسى إلى إيكيجا فى الظهور. كان المقدم جاك جوون قد سمع أثناء الليل تحركات للقوات بعد أن غادر النادى الليلى إلى موشن Mushin، وعندما استيقظ فى الصباح تلقى تقريراً محرّفًا فى إيكيجا عن حدوث تمرد واحتمال اختطاف كلٍّ من أبى بكر وفستوس. التقى آجوى - إيرونسى القائد العام وضباط الكتيبة الثانية فى الميس، وصدرت له التعليمات بنقل سرية كاملة إلى ليجوس. التقت هذه القوة العسكرية كلاً من القائم بعمل وزير الدفاع ومدبرة منزل أبى بكر السيدة/ حبيبة كاتيا، اللذين

أخبرا قائد هذه القوة بما حدث فى مسكن رئيس الوزراء. وهنا صدرت الأوامر إلى العسكر الموجودين فى مبنى البرلمان وفى دار الإذاعة بعدم تلقى أية أوامر إلا من القائد العام شخصيًا. وقام جوون بالتأكيد للسيدة/ أجوى - إيرونسى أن زوجها فى مأمن وسلام، وأكد لحرم جاك بام أن الأمل كبير فى بقاء زوجها على قيد الحياة. شاهد جوون فى منزل ميمالارى دمًا ودمارًا، ووصل متأخرًا إلى ثكنات دادان الأمر الذى لم يتمكن معه من إلقاء القبض على أحد من المتمردين. وبعد أن ترك القوة فى ظل تعليمات وأوامر صارمة، قام بإرسال قول(*) صغير بقيادة أديموجا Ademoyega، الذى تنصل من عملية المطاردة وفر هاربًا إلى الإقليم الشرقى. تكلم جوون باللاسلكى مع أجوى - إيرونسى، من وزارة الدفاع ليبلغه أن سدادات الطرق الضخمة يجرى وضعها فى المناطق التكتيكية، وأن منازل كبار الضباط ومنازل الوزراء تحت حراسة مشددة. جرى بعد ذلك إنشاء مركز رئاسة فى مركز رئاسة الشرطة، وصدرت من خلال شبكة اتصالات هذه الرئاسة تعليمات إلى كل الوحدات العسكرية، فى سائر أنحاء البلاد، أن التمرد الذى حدث فى ليجوس جرى إخماده وقمعه، وأن كل الأسلحة والذخيرة يتعين وضعها فى مستودعات سلاح الوحدات، وأن تعليمات أجوى- إيرونسى وحدها هى التى يجب أن تُطاع. كان جوون هو الضابط الشمالى الوحيد الذى بقى على قيد الحياة من بين كل أولئك الذين كانوا يحملون رتبة الرائد.

أوقظ ميتاما سول فى صباح يوم السبت بواسطة خادم موفد من قبل زوجة رئيس الوزراء، ليبلغه أن أبا بكر جرى اختطافه بواسطة الجنود، وأنها تعتقد أن هؤلاء الجنود كانوا بقيادة أوكافور، القائد المعروف لحرس الشرف الخاص بزوجها. دفع هذا الخبر ميتاما سول إلى الذهاب مباشرة إلى زنًّا Zanna دبشاريما، أقدم أعضاء مجلس

(*) القول: بلغة العسكريين عبارة عن مفرزة صغيرة من القوات. (المترجم).

الوزراء، قام ميتاما سول بعد ذلك هو والشيخ شاجارى، الذى التقاه عند دبشاريما، بإرسال برقية مشتركة إلى كى أو مبادوى، سارع مبادو بالذهاب إلى أونيكان، وشوهد من أسرة رئيس الوزراء وهو يبكى تحت شجرة فى المجمَّع السكنى. وبينما كان الوزراء يستعيدون انتباههم، تجمعت قوة مهمة رسمية فى مركز رئاسة الشرطة، ومكونة من كام سالم، همان ميدوجورى، مارسدن، أحمد كورفى، الفرع الخاص وبعض ضباط الجيش، بقصد جمع معلومات استخباراتية، وتقييم الموقف، والتخطيط لإجراء مضاد. انضم إلى هذه القوة كل من إبراهيم تاكو وميتاما سول، وبدأت تروج فرضية مفادها أن القائد العام لابد أن يكون على علم بذلك التمرد، هذا إن لم يكن وراءه بالفعل من الناحية السياسية، وأنه لابد من إلقاء القبض عليه، وقد جرى التخفيف من هذه الفرضية عندما انضم أجوى - إيرونسى إليهم وانفجر باكيًا، بعد تلقى برقية تؤكد له مقتل المستشار السياسى الرئيسى فى كادونا. وسرعان ما أكدت المصادر الاستخباراتية حالات الاغتيال الأخرى. وافق القائد العام أنه هو نفسه لم يصدر أى توجيه إلى القائم بعمل وزير الدفاع عندما كان يتعامل مع مسألة ثكنات دودان عند الساعة الثالثة صباحًا، وعندما هم باستنفار قوات إيكيجا، لكنه أقنع الوزراء تمامًا أنه ارتبك ولم يكن يعرف من هو الصادق. عند هذه المرحلة تعززت هذه القوة بحضور كل من بوكار دبشاريما والدكتور السياسى.

قام كام سالم بمبادأة ساقته إلى الملحق العسكرى فى المفوضية البريطانية العليا، ليسأل عن نوعية المساعدة العسكرية التى يمكن تقديمها، كان من حق الملحق الاتصال المباشر بوزير الدفاع فى لندن، ومارس الرجل هذه الصلاحية على الفور دون الرجوع إلى المفوض السامى. وفى الوقت الذى أُبْلغ فيه، توم ولسون، ضابط عظيم عطلة نهاية الأسبوع، قام الوسطاء بتشويه اسماء كل الضباط الواردة اسماؤهم فى التقرير على نحو لم يصعب معه على لندن تبرير عدم اتخاذها لأى إجراء على نحو سريع.

انهار مجلس النواب بعد خمس عشرة دقيقة، عندما لم يحضر من أعضائه سوى ثلاثة وثلاثين عضواً، معظمهم من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، ومن بينهم وزير حديث (المعين حديثًا المدعو أر بى كى أوكافور)، ونائب عن المتحدث الرسمى. لم تنجح محاولات تجميع مجلس الوزراء، نظراً لأن الأمن الشخصى كان لا يزال محفوفًا بالمخاطر. جرى فى نهاية المطاف عقد اجتماع لبقية مجلس الوزراء فى مركز رئاسة الشرطة، فقد نجح ستانلى وى Wey فى جمع بوكار دبشاريما، ومبادوى، وإبراهيم تاكو، وميتاما سول، والدكتور إلياس، دونًا عن بقية الأعضاء الذين بلغ عددهم اثنين وثلاثين عضواً، وحضر هذا الاجتماع أيضًا كل من اللواء أجوى - إيرونسى ورجل الشرطة ليسلاى Leslie مارسدن Marsden. وترك مقعد رئيس المجلس شاغراً. دعا الحاج بوكار دبشاريما السير فرانسس كمنج - بروس إلى الحضور أيضًا، كما أحضر المفوض السامى معه سكرتيراً أولاً. يبدو أن بوكار دبشاريما، كان يتوقع مثل رفاقه، قيام جماهير ليجوس بالهجوم على المجتمعين فى أى لحظة وذبحهم، قال دبشاريما وهو حزين إن القانون والنظام ينهاران، وطلب المزيد من التقارير. جاء رد أجوى - إيرونسى غامضاً، ولا ينطوى إلا على ما مفاده أن السواد الأعظم من الجيش كانوا موالين، وأن هذا الرد لم يشجع الوزراء. أكد مارسدن لهم أن الشرطة المدنية مستقرة، لكنه أنذرهم أنهم ربما يكونون بحاجة إلى عون عسكرى فى حال إلقاء القبض على المتمردين. أسفر التهديد الميلودرامى(*) من قبل البلاطجة الذين وصلوا إلى منازل إيكوى، بحثًا عن الشراب والنساء، قبل استعادة الجيش والشرطة للمسئولية، عن طلب بوكار دبشاريما بصورة مباشرة من السير فرانسس أن يطلب من لندن قوات لإخماد ذلك التمرد.

(*) يصح فيه أيضًا "المشاحاة" : وهى تمثيلية عاطفية مثيرة تعتمد على الحادثة والعقدة أكثر مما تعتمد على تصوير الشخصيات. لكن المقصود هنا هو الأحداث المثيرة أو السلوك المثير. (المترجم).

قدر كمنج - بروس على انفراد، أن الأمر لا يحتاج سوى إلى كتيبة واحدة، لكنه وافق على الانسحاب لفترة قصيرة يتشاور خلالها مع مساعده القلق. أعاد السكرتير الأول إلى الأذهان، فى الاجتماع الذى جرى داخل سيارتهما الرسمية الموجودة أسفل المنزل، والمحاطة بمجموعة من رجال الصحافة، أن هذا العمل كان له تأثيره القوى جداً فى شرق إفريقيا قبل عامين، لكنه كان عالى الكلفة باهظ الثمن: "لن يغفر لنا نيريرى هو والأوغنديون مطلقًا، وأبدًا فقدان ماء الوجه هذا" (واقع الأمر أن نيريرى تحتم عليه الاعتراف "ببيافرا" المتمردة خلال الحرب الأهلية النيجيرية المستقبلية، ويرجع سبب ذلك إلى تذكر بلاد نيريرى بشىء من الحرج للدين الذى فى عنقها لكتيبة جال بام التى قامت بإخماد جيشه المتمرد). عاد بروس ومساعده إلى اجتماع الوزراء، ليقول للوزراء المجتمعين أنه واثق تمامًا بقدرة القوات النيجيرية هى وقوات الشرطة على استعادة القانون والنظام والمحافظة عليهما. لم يُذَكِّر كمنج - بروس الوزراء أن بوسعهم إرسال طلب مباشر من خلال مفوضيتهم السامية فى لندن، وأن الحكومة البريطانية كانت ممنونة لعدم تلقيها طلبًا رسميًا. هذا يعنى أن الظرف واللوجستيات، أصبحت مختلفة تمامًا، عما كانت عليه قبل عامين، يوم أن كانت القوات البريطانية قاب قوسين أو أدنى فى شرقى إفريقيا.

تمثلت النتيجة بعد انفضاض المجتمعين فى أمر بسيط مفاده أن القائد العام يتعين عليه العثور على رئيس الوزراء، وسحق التمرد، وحماية مبانى البرلمان من التدمير، ووقَّع القائم بعمل وزير الدفاع أمرًا فوريًا، كتب مسودته ستانلى وى Wey وراجعه النائب العام شخصيًا. قلت المشورة السلطوية القانونية المعطاة لآجوى - إيرونسى، مما يوحى بأن بوسعه فقط قبول تعليمات العمليات التى تصدر إليه من رئيس الوزراء، وكانت هناك فى مجلس الوزراء فرضية مفادها أن الدكتور نوافور أويزو، القائم بعمل رئيس الدولة سوف يقوم بتعيين الحاج بوكار دبشاريما قائمًا بعمل رئيس الوزراء، على الرغم من وضوح آمال الدكتور ك أو مبادوى هو وحزبه فى هذا

الاتجاه. كان هناك اقتراح أيضًا بتلفيق رسالة خاصة من السير أبى بكر تافاوا باليوا إلى الرئيس نانمدى آزكوى فى إنجلترا، سلمت باليد بواسطة وزير الدولة لعلاقات الكمنولث، السيناتور دان إيبكوى Ibekwe، والذى ينبغى أن يغادر صباح يوم الأحد (على طائرة من طائرات الخطوط الجوية البريطانية من طراز فايكونت ١٠٠ التى احتجزها المقدم أوجوكو فى مطار كانو). على كل حال، لم يسافر إيبكوى فى تلك الظروف، إضافة إلى أن الدكتور نوافور أوريزو المتشكك الحائر لم يقم بأية تعيينات. أعلنت الإذاعة فى ساعة مبكرة من عصر اليوم نفسه، وكما لو كان الإعلان صادرًا عن مجلس الوزراء، إلى المستمعين فى ليجوس والذين كانوا يتمتعون بيوم هادئ من أيام السبت، أن قسمًا متمردًا من الجيش قد اختطف رئيس الوزراء ووزير المالية إلى مكان مجهول، وأن القائد العام اللواء جونسون آجوى - إيرونسى هو والأغلبية الساحقة موالون ومخلصون، "وأن هذا التمرد غير المسئول" سوف يُجْهزُ عليه، واستعادة القانون والنظام فى المناطق القليلة المضطربة.

استدعى الدكتور نوافور أوريزو فى اليوم التالى بعضًا من هؤلاء الوزراء ليبلغهم أنه هو أيضًا لديه مشورة قانونية، ليست من النائب العام، بأنه لا يعرف ذلك الذى من سلطته القيام به، وأنه يود الرجوع إلى رؤساء الجيش شخصيًا، هم ونائب الرئيس عن طريق الاتصال التليفونى. كان واضحًا أن أوريزو لا يود تعيين دبشاريما، إذا ما استطاع الحيلولة دون ذلك. وبينما كانوا يتحاورون، مع الحاج بوكار دبشاريما عن المنصب، قام آجوى - إيرونسى، الذى حصل هو الآخر، على مشورة من بعض المحامين المدنيين المهمين، بإرسال مذكرة مفادها أن ضباطه العظام الباقين كانوا يتسببون فى خلق المصاعب وأن التعليمات الصادرة له كانت تسبب العصيان والتمرد، جرى الاستفادة أيضًا من عجز الوزراء الواضح عن تحديد ما إذا كان دبشاريما أو مبادوى هو الذى سيعين قائمًا بعمل رئيس الوزراء، فضلاً عن أنه كان هناك أيضًا انطباع لدى الوزراء بأن حيواتهم لا تزال يتهددها الخطر من قبل المتمردين، تحدث آجوى -

إيرونسى بعد ذلك شخصيًا، إلى البقية الباقية من مجلس الوزراء، أنه ما دام لم يستطع إقناع أوريزو بإحداث التعيين المطلوب، فإنه يتعين أن يتولى هو القيادة العليا للإدارة، وأن يتصرف من خلال الجيش والشرطة، وأن مسئوليتهم تتمثل فى ابتكار نص قانونى يستخدم فى تغليف هذا القصد، وانتهز أجوى - إيرونسى الفرصة وراح يفرِّع السياسيين على إقحامهم الخريجين الشبان المسيسين عليه بصفتهم ضباطًا، بدلاً من الصبية الذين أرادوا أن يكونوا جنودًا حقيقيين. كان الوزراء الحاضرون الآخرون قد طلبوا من كل من الدكتور إلياس هو والسيناتور إيبكوى، وبخاصة بعد أن أصبح الوزراء بلا دفة، وباعتبار أن الدكتور إلياس هو الدومنجى(*)، أن يأتى بشىء يمكن قبوله على أنه إجراء مؤقت. وافقت البقية الباقية من مجلس الوزراء على العودة إلى الوضع الطبيعى فى فترة تتراوح بين ستة وثمانية أسابيع، أو أقل من ذلك إذا ما سنحت الفرصة بالعثور على رئيس الوزراء آمنًا وسليمًا. قام عبد الرزاق، محامى حزب المؤتمر الشعبى فى إيلورين، بتسجيل وقائع الاجتماع على ورق "دشت" فى منزل إيكوى Ikoyi.

فى ساعة متأخرة من تلك الليلة أذاع أوريزو القائم بأعمال رئيس الدولة أنه توصل فى تلك الليلة إلى "توصية" من قبل مجلس الوزراء، برئاسة بوكار دبشاريما، مفادها "التوصل إلى قرار وافق عليه الجميع طواعية واختياراً بتسليم إدارة البلاد إلى القوات المسلحة والشرطة فى البلاد". جاء هذا التأكيد بمثابة محك. فيما يتعلق بالناس العاديين الذين فقدوا الثقة بالسياسيين، وفيما يتعلق أيضًا بأنصاف المتعلمين الذين ضُلِّلُوا بالشائعات حول حدوث الانقلاب، واحتياج المتعلمين إلى حد بعيد إلى مثل هذا الانقلاب، وأن ذلك ينطبق بصورة خاصة على سكان الغرب الذين كرهوا آكنتولا، وأولئك الموجودين فى سائر أنحاء البلاد ولم يستطيعوا التوافق مع فهمهم الشعبى

(*) واضح أن هذه الكلمة تركية الأصل وهى تعنى "مُوجِّه الدَّفة". (المترجم).

للمستشار السياسى الرئيسى. عند هذه المرحلة ظن الجميع أن بالامكان عودة الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا، إلى إسطبل نظيف. تجلى شىء من البهجة فى الأسواق وفى أوساط المفكرين الذين أحسوا ببلادهم وهى تخرج من الهوة إلى الأضواء.

قام القائد الأعلى للحكومة العسكرية الفيدرالية بسرعة مستغربة تماماً بإصدار إعلان عام مكون من برنامج من سبع نقاط، يرسم بتعليق منصب رئيس الدولة، ورئيس الوزراء، والبرلمان، وأن يكون لكل إقليم حاكم عسكرى، وتكون الحكومات الإقليمية العسكرية مسئولة أمام الحكومة الفيدرالية العسكرية، وجرى أيضًا تعليق حكام الأقاليم، ورؤساء وزراء الأقاليم، والمجالس التنفيذية (على الرغم من عمل حكام الأقاليم كمستشارين)، وتقرر أن يواصل قاضى القضاة هو والقضاة عملهم المعتاد، وانطبق ذلك أيضًا على كل الموظفين الحكوميين، وعلى الشرطة النيجيرية وبخاصة الكونستبلات، أما السلطة المحلية هى والشرطة المحلية فتخضعان للمفتش العام. وتعهدت الإدارة الجديدة باحترام الاتفاقات المالية والاتفاقات الأخرى التى أبرمتها الحكومة السابقة، والإبقاء على علاقاتها الخارجية القائمة. ويتعين على المواطنين جميعًا "التعاون فى هذه المهمة العاجلة للمحافظة على القانون والنظام فى البلاد". وجرى أيضًا تعليق الدستور إلى أن يتم وضع دستور آخر يتفق مع رغبات الشعب. لم يعط القائد الأعلى أية وعود بشأن أولوو، أو الدستور الذى يجرى تجهيزه.

لم يمض وقت طويل حتى أجهز مستشاروه الخارجيون على المؤسسات الديموقراطية التى قادها أشخاص اختار الشعب النيجيرى السواد الأعظم منهم وأيدهم. استدعى آجوى - إيرونسى السكرتيرين الدائمين، وبعض كبار الموظفين الحكوميين وطلب منهم مواصلة أعمالهم المعتادة لحين صدور إشعار آخر. وفى ضوء الخسائر وعمليات الموالاة، كان لابد من الاعتراف بفضل جوون وتعيينه رئيسًا للأركان. كان لابد من إعداد مسودات بعض التصريحات العامة بواسطة الضباط البريطانيين أمثال مارسدن، جورج دكت Duckett واستاسى برهام، واقع الأمر أن دور مارسدن

الرئيسى فى هذه الفترة الوجيزة من الشئون الدستورية، والشئون الحكومية، وشئون الأمن، كان دورًا مهمًا وأساسيًا. ويبدو أن نوافور أوريزو بقى مؤثرًا فى موقع رئيس البلاد البراق إلى اليوم الواحد والعشرين من شهر يناير، وهو اليوم الذى أصبح فيه أجوى - إيرونسى رئيسًا للدولة. وبدأ بعد ذلك التخلص من منصب القائد الأعلى عن طريق مستشارين من النوع نفسه الذى سبق أن قدم المشورة لآزكوى قبل ذلك بعام.

سُمعت بعض القوات، خلال عطلة نهاية الأسبوع، بعض قوات كادونا وهى تتساءل عما تفعل، فى الوقت الذى كان فيه رفاقهم فى بنين وإينوجو خاملين، لكن ترددت أيضًا بعض الحكايات عن نيزيوجو الثائر (الذى غضب لأن رئيس وزراء الإقليم الشرقى ورئيس وزراء الغرب الأوسط واللواء أجوى - إيرونسى لم يجر قتلهم) الذى كان يستعد للتحرك إلى ليجوس ويقوم بإرسال سرب للاستيلاء على جسرى جبًا Jebba وماكوردى أو نسفه. ومع ذلك، وفى صباح اليوم السابع عشر المصادف ليوم الاثنين من شهر يناير، قام نيزيوجو، الذى كان قد "عيَّن" حكومة شمالية مؤلفة من السكرتيرين الدائمين، مثلما يفعل شبان ما بعد المراهقة، بإعلان أنه بدون "استسلام" للحكم العسكرى الجديد، فإنه "يقدم سيفه وقيادته" إلى اللواء أجوى – إيرونسى، تعهد بالولاء "لمجلس الثورة الأعلى". كان هناك وسيط آخر لرائد آخر يدعى الإسكندر ماديبو Ma-diebo، وهو ضابط من الأجبو يقود فوجًا من المدفعية النيجيرية متمركزًا فى كادونا، ذلك المتفرج الذى يمكن أن يرى الآن أن أغلبية الجيش لن تنضم إلى المتمردين فى الحرب الأهلية التى ستدور بين الحكومة الفيدرالية برئاسة القائد العام والحكومة الثورية السفَّاحة التى شكلها أحد الرواد فى كادونا. طلب المقدم جوون من الإسكندر ماديبو إحضار نيزيوجو إلى ليجوس، حيًا أو ميتًا، وعليه استطاع ماديبو إقناع نيزيوجو أنه يتحتم عليه تسليم نفسه، رفض جوون تحمل مسئولية إعطاء التطمينات التى طلبها، لكن أجوى - إيرونسى وافق عليها. قام المقدم كونراد دى نواوو Nawawo صديق نيزيوجو بتلطيف الأجواء، وكان نواوو قد عاد لتوه من لندن التى كان يعمل فيها

ملحقًا عسكريًا لدى المفوضية السامية، وقام نواوو بمرافقة نيزيوجو، فى شكل المقبوض عليه علانية.

كان التفاهم الشفاهى الذى جرى عن طريق التليفون بين ليجوس وكادونا ينص على أن السلامة والتحرر من كل الإجراءات القانونية التى اتخذها نيزيوجو هو وضباطه ورجاله المتورطون فى التمرد وحمام الدم فى الشمال، سيكونان أمرًا مضمونًا ومؤكدًا فى المستقبل، وأن الناس الذين قاتلوا فى كل حالات التمرد، كما جرى التفاهم أيضًا على إطلاق سراح كل الضباط والرجال الذين ألقى القبض عليهم فى ليجوس. قال نيزيوجو للصحافة "إنه لشيء سخيف أن نشعر أن الرجال الذين ضحوا بحيواتهم لإقامة الحكم الجديد، يلقى القبض عليهم بوساطة جنود آخرين". ألمح نيزيوجو بصفة خاصة أن هناك زميلاً رائدًا آخر كانت لديه خطط خاصة به لإحداث تغيير سياسى. قبل آجوى - إيرونسى ذلك كله، مركزًا على فرضية مفادها أنه بدلاً من استعادة القانون والنظام، ذهب بالثورة إلى ما هو أبعد من ذلك، وأنه تسبب بل وجر على نفسه الإعدام عن غير قصد. ربما يكون خشى استثارة أولئك الذين من كادر الضباط، الذين كان يمكن أن يحذو، عن طيب خاطر، حذو إفياجونا ونيزيوجو لو أنهما انتصرا، وأنه أصبح فى وضع يمكنه من قمع التمرد الذى يحتمل حدوثه فى الشمال. ولم يكن متأكدًا أيضًا من بقاء أوجوكو على الخط الجانبى. أشار نيزيوجو بطريقة عابرة إلى التمرد فى مؤتمر صحفى على أنه "اضطراب عام فى الجيش". ربما يكون قد عبر عن هذا التمرد بطريقة مختلفة لو كان المقدم فيكتور بانجو قد قام بالفعل بتنفيذ محاولة اغتيال القائد العام التى حدثت بعد ذلك بوقت قصير فى صباح ذلك اليوم، جرى إلقاء القبض على المقدم فيكتور بانجو وإيداعه السجن فى إينوجو. عُولج نيزيوجو من جراحه الناجمة عن الشظايا، فى المستشفى التعليمى، القريب من المشرحة، وانضم بعد ذلك إلى ما يقرب من أربعين رجلاً وضابطًا من المتمردين، جرى تطويقهم وإيداعهم سجن برود Broad ستريت Street .

جرى بعد ذلك تعيين حكام عسكريين للأقاليم، ومع كل واحد منهم الحاكم المدنى يقوم بدور "المستشار": جرى تعيين الرائد حسان كاتسنا حاكمًا عسكريًا للشمال، والمقدم إميكا أوجوكو حاكمًا عسكريًا للإقليم الشرقى، والمقدم أدكُنلى Adekunle فاجوى Fa-juyi فى مقاطعة ليجوس والإقليم الغربى، والمقدم داود إيجور Ejoor حاكمًا عسكريًا للغرب الأوسط، أى جرى تعيينهم كل فى موطنه. أصبح السكرتير الخاص للرئيس، إيه كى ديسو Disu سكرتيرًا رئيسيًا لمقر الحكومة. وعين السيد/ ستانلى أو وى wey سكرتيرًا للحكومة العسكرية، مقدمًا بذلك استمرارية لا تقدر بثمن. أما التغييرات التى ترتبت على ذلك فهى تشكل أجزاءً من قصص أخرى حدثت فى نيجيريا فيما بعد.

بقيت الأماكن التى اقتيد إليها رئيس الوزراء موضوعًا للتساؤل والثرثرة الشعبية المتزايدة، وقد زاد أوار هذا التساؤل وتلك الثرثرة عندما اكتشف الناس فى يوم الثلاثاء المصادف لليوم الثامن عشر من شهر يناير، وفى المقابر الضحلة التى توجد على بعد حوالى ٤٨ كيلاً متريًا على الطريق المؤدى إلى أبيوكوتا الجثث المضروبة بطلقات الرصاص لكل من الرئيس أوكوتاى إيبوه، وخمسة من الجنود المحبوبين (أبوجو لارجيما، زكريا ميمالارى، كور محمد، جيمس بام، وأرثر يُنجبى). بدأ الناس يشيرون إلى "الانقلاب على الانقلاب" الذى قام به أجوى - إيرونسى. وكما قلنا من قبل، فإن الحاج السير أبا بكر بعد أن نقل إلى هنا بالسيارة ثم بعد ذلك إلى مكان بعيد عن ليجوس بواسطة إفياجونا المشوش، الذى كان يدرك أن التمرد قد فشل، يقال إنه وُضِع فى منزل أمين من منازل الرئيس Oba، هناك رواية غير مرجحة لكنها عالية المصداقية مفادها أن ميمالارى كان هو الآخر موجودًا مع أبى بكر فى ذلك المكان، ليقوم أجوى - إيرونسى نفسه بفتح النار عليهما. الفكرة التى وراء هذه الرواية هى أن أجوى - إيرونسى، من باب عمقه الفكرى ومن باب أنه كان فريسة للتأثيرات الشريرة، بدأ يحس

بالقلق إزاء ما يمكن أن يحدث فى حال بقاء أبى بكر على قيد الحياة حرًا طليقًا، وأهمية ذلك للمعارضة الشديدة لحكومة عسكرية، لكن على الرغم من أن أجوى - إيرونسى كان يود اغتيال ميمالارى رميًا بالرصاص، نظرًا لغيرته الشديدة من شجاعة الرجل العسكرية منذ أيام الكنغو، فإنه لم تطاوعه نفسه على قتل أبى بكر وترك ذلك لدوناتوس Donatus أوكافور الذى كان يود ذلك. المصادر نفسها هى والمصادر الأخرى يغلب عليها الاتفاق على أن ستة عشر من الضباط الذين لم تذكر اسماؤهم، والذين جرى إحضارهم مع الأسرى إلى ميس دودان جرى إعدامهم رميًا بالرصاص فى المنزل نفسه. يشير السواد الأعظم من المصادر إلى أوكافور، الذى أُعيد من إينوجو، سواء أكان أم لم يكن لديه علم مسبق، أو بصحبة أجوى - إيرونسى، على أنه هو الرجل الذى قتل الحاج السير أبا بكر تافاوا باليوا بفتح النار من رشاش خفيف على قلب الرجل فى ساعة مبكرة من صباح (البعض يقولون إن ذلك تم على وجه التحديد عند الساعة الثانية والنصف صباحًا) يوم الثلاثاء المصادف لليوم الثامن عشر من شهر يناير. هناك رواية أخرى تقول: إن الصف والجنود الذين كانوا برفقة أوكافور وبَّخوا أبا بكر فى البداية وعيَّروه بالثراء مثل الوزراء الآخرين، وإصدار مطالبات بالأموال بدون جدوى، هناك رواية أخرى واضحة تزعم أن أوكافور عرض إنقاذ حياة أبى بكر إذا ما شرب شيئًا من الكحول، وأن أبا بكر رفض ذلك تمامًا من منطلق أنه مسلم حقيقى، وأنه قال شيئًا قبل أن يقتلوه "أيها الإجباويون! سوف تفتقرون إلى أى مكان تنتمون فيه إلى نيجيريا!". Ibo! Ibo! Ibo! Sai kun rasr wajen zama a Nijeriya. هناك شىء آخر قد يبدو صحيحًا فى هذا الرفض الشديد، بعد النضال الشديد من أجل الوحدة والمصالحة، لكن كل من عرفوا أبا بكر ويعرفون إخوانه المواطنين قد يشتمون رائحة ذلك الخيال الهوساوى الشاطح الذى يلوِّن قصصهم لروايات الشهداء الآخرين.

ناظر المشاهدون خمس جثث ملفوفة قام الجنود بوضعها فى مشرحة مستشفى ليجوس التعليمى صباح يوم الاثنين، وجرى نقلها بعد ذلك، وبلا أدنى شك بواسطة أنوفورو Anuforo إلى طريق أبيوكوتا. هناك جثث أخرى كثيرة عديدة، لقيت الخدمة نفسها فى اليوم التالى. شوهد جثمان رئيس الوزراء يقينًا بين هذه الجثث بواسطة أخصائى بريطانى فى علم الأمراض، وهنا لابد أن نسلم أن جثتين من هذه الجثث أخذها أوكافور بعد ذلك إلى أوتًا Otta. أوضح أحد المراقبين المتعاطفين أن أوتًا هى المكان الذى أنهى عنده شعب الشمال غزوه المستمر فى اتجاه البحر، أثناء جهاد الفولانيين والهوساويين فى القرن التاسع عشر، والذى أُحْبط بسبب إصابة خيولهم بمرض المثقبيات – الجهاد الذى أشرنا إليه فى الفصل العاشر، من خلال نغمات المعلم أبى بكر تافاوا باليوا، الأولى المدوية فى أول خطاب له فى المجلس التشريعى، أى قبل تسعة عشر عامًا.

الخاتمة

فى يوم الوفاه. يشعر الحب بالخجل(*)

هذه الرواية عن رجل وعن أزمانه، وبغض النظر عن تفاصيلها عن بعض الناس، لا تحتوى سوى على قصة واحدة منتقاة من قصص نيجيريا. صحيح أنه بعد مقتل هذا الرجل فإن ربط هذه التفاصيل الثانوية ببعضها قد يهيئ للقارئ المتعاطف فرصة تمكنه من تقييم أبى بكر على خلفية البيئة التى عاش فيها أبو بكر، وليست البيئة التى يحيا فيها القارئ الحديث. جرى تناول العقود التى تلت ذلك تناولاً دقيقًا فى بعض الدراسات الأخرى، كما أن القارئ الذى على اطلاع بهذه الدراسات لابد أن يحكم بنفسه مدى تلوين هذه الذكريات للفرضيات التى انطلقت منها التقييمات الأخرى. وهنا يحق لنا إيراد ملخص مقتضب لتلك القصة الطويلة قبل أن نصل إلى نتائجها.

هذا صبى من أصل بسيط تربى على عقيدة دينية قوية، مما جعله متيمًا بالروابط الأبوية التقليدية. ومن باب المصادفة البحتة أن كان ذلك الصبى واحدًا من القلائل الذين تلقوا تعليمًا ريفيًا بعد الحرب العالمية الأولى، وتلقى هذا التعليم فى مدرسة بدائية. لاحظ الأكبر سنًا ومقامًا قدرات ذلك الصبى وألحقوه بمدرسة أكبر فى إحدى البلدات الكبيرة، حيث بدأ يعى عالمًا ثقافيًا جديدًا من التغيير والسلطة الأجنبية. أدى

(*)ورد هذا المثل بلغة الهوسا، وهو قريب من المثل الإنجليزى الذى يقول: "البرد يُبَرِّد الحب الذى يُزيد السخونة" "Could (cold) cools the love that kindles o'er het (over heat)" (المترجم).

تَمَرُّس ذلك الصبى على الدروس الحديثة خلال الثلاثينيات إلى اكتسابه مهارات التلميذ الذى تخرج فى مدرسة نحو اللغة الإنجليزية. كانت المدرسة التى التحق بها أبو بكر واحدة من المدارس الداخلية التى جرى تكييف سماتها الأرنولدية تكييفًا كبيرًا كيما تناسب الغرف الدراسية المبنية من الطوب اللبن، والميزانية الحكومية الضيقة، والدين الإسلامى. تعلم أبو بكر فى هذه المدرسة الكبيرة كيف يوازن بين قدرته الذهنية وإنسانيته فى مواجهة الشخصيات الأرستقراطية وأصحاب التطلعات الطموحة. عاد إلى الريف ليعمل بالتدريس، وهو على قناعة بأن بئر المعرفة الجديدة لا تنضب مطلقًا، وأن تَفَهُّم روابط الجنس البشرى، وتفهم الافراد لروابط بعضهم البعض، هو الطريق السليمة المؤدية إلى حضارة عادلة بمشيئة الله. اقتربت به ترقيته من مصادر بعض المظالم التى كان يرى أن بالوسع إزالتها وتعديلها. جلب عليه استعداده الدائم إلى التحدث مع الأذكياء من بين أنداده، ومع واحد أو اثنين من الأجانب الصرحاء، عن الطرق المختلفة للقضاء على الظلم، قبولاً اجتماعيًا بوصفه مصدرًا متواضعًا من مصادر الحكمة الهادئة.

لم تكن مسألة المصادفة إذن هى التى هيأت له التدريب الفنى لمدة عام فى الخارج، عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، فى بلاد الشعب الذى ابتكر "المدرسة العامة". عثر أبو بكر على أولئك الذين كانوا يبحثون عن وسائل لتمويل الانتصار العسكرى لتحالف يضم فسلفات متباينة عن الحرية الاجتماعية، التى حصلوا عليها على حساب فقرهم الاقتصادى وإرهاقهم الأخلاقى، إلى نمط عالمى جديد. وعندما عاد الرجل إلى وطنه، واجه تغييرًا فى أسلوب الحكومة المستقرة وهدفها. تطلب ذلك مشاركة سريعة من السكان المحليين الموهوبين، على الرغم من التردد فى المضى قدمًا من قبل تلك الجماعات التى كانت تمتلك أقل المميزات الحديثة. حتم ذلك أن يصبح أبو بكر صوتًا ممثلاً لمعاصريه الذين يفتقرون إلى الفرص المتاحة له، وقدرته على توصيل أفكاره بطريقة مقنعة. وعندما وجد نفسه فى مواجهة مع المجتمعات المجاورة

المستفيدة الساخطة والمتباينة، هدته فطرته إلى أن يهب للدفاع عن ثقافته الاجتماعية الخاصة، التى لا يمكن فصلها عن عقيدته وفقهه، والتى يعد فيها الاستقرار والإيمان بقدر الخالص (أهم بكثير من تطلع البشر إلى المنافع الدنيوية الزائلة. لكن اهتمامات الرجل المدروسة وإحساسه المستقر بأن الواجبات تسبق الحقوق، إضافة إلى التشجيع الذى لقيه من بعض الأجانب الجدد، الذين كانوا يشاركونه بعض مفاهيمه الأساسية، عجلت بحصوله على المزيد من الاعتراف والارتقاء فى سلم المسئوليات.

ونظراً لأن أبا بكر كان يتقاسم هذا الوصول إلى السلطة مع أعضاء آخرين من ثقافات أخرى منافسة، فقد أدى ذلك إلى إسراعه فى تعلم احترام السمات والخصائص المتباينة، الأمر الذى جعله يحظى، باحترام هؤلاء الأعضاء جزاء قواه الأخلاقية. وخلال فترة زمنية قصيرة زادت نزاهة هذا الرجل وسهولة عقده لصداقات دولية ورجحت كفتهما على الخبرة الفكرية التى كان يتمتع بها أولئك الحمقى الذين كانوا مقيدين داخل الأعراف الثقافية الخاصة بأصولهم. لم يعرقل افتقار أبى بكر إلى الجاذبية الشعبية التى يتمتع بها الآخرون، وصول الرجل إلى القيادة الوطنية الرسمية، وسبب ذلك أن الذين اختاروه كانوا أمناء، ويتمتعون بالحصانة وحدة الذهن، فضلاً عن تفضيلهم الجد والاجتهاد على البريق والوهج الكاذب. هذا المنصب أعطى أبا بكر ميزة أن يصبح هو أول سفير دولى لبلاده. استطاع أبو بكر استخدام هذه الصفات، فى أن تصبح لبلاده مكانة فى غضون بضع سنوات قليلة، فى عيون أولئك الطلاب المغرمين بالسياسة الدولية، الذين كانوا ينظرون إلى إفريقيا بوصفها عنصراً جديداً، لكنها ليست مكوناً مهماً أساسياً، وأن أى بلد من بلدان جنوب الصحراء لم يستطع تحقيق مثل هذه المكانة. تَقَوَّى أبو بكر لأنه رأى الاستعمار والعنصرية باعتبارهما قوتين متباينتين تماماً، ومن أصلين مختلفين ومكشوفتين ومعرضتين.

لما كان أبو بكر من المؤمنين بالسلوكيات التقليدية والنظام التقليدى، ولما كان أيضاً ملتزماً التزاماً ذاتياً، ولما كان الرجل مؤسساً أيضاً فى حياته العامة مثلما هو

فى الفصول الدراسية، فقد تطورت ونمت لديه إرادة فى أن يكون قويًا على المستوى الداخلى، وذلك من أجل صالح بلاده ومصالحها. كل ذلك كان يجرى إغفاله والتغاضى عنه دومًا فى المراوغة التنافسية على السلطة بين الزعماء شبه الوطنيين. كان هؤلاء الزعماء شبه الوطنيين يقاسمونه سلطته، لكنهم كانوا يستحوذون لأنفسهم على القسم الأكبر من الولاءات الشعبية، ربما يكون العالم الخارجى قد أغفل منافسيه وراح يتعرف نيجيريا فى الوقت الحاضر من خلال أبى بكر، لكن نيجيريا لم تحدده رمزًا لها. اضطرته الأحداث إلى إنفاق المزيد من طاقاته المحدودة على المشاغل الخارجية التى يمكن أن تفيد بلاده من حيث النفوذ والنجاح، لكن بينما كان هدوء مواطنيه يتناقص بفعل التناحر، ظهرت مجموعة من العسكر الشبان الذين يعانون من مظاهر الضعف الذهنى الناجم عن الاستهانة التى هى حصيلة من حصائل زيادة الاعتداد بالثقة بالنفس، وضيق الصدر الناجم عن الصلف والكبرياء الذى يصيب الشبان غير الناضجين. أعطى هؤلاء العسكر الشبان لأنفسهم حق القوامة، كانت مهمتهم تفترض القيام بعلاج الشرور التى تشيع (وربما كانت فى نيجيريا أقل من بعض الأماكن الأخرى) فى معظم المجتمعات التى بدأت فى الظهور من خلال التغيير الكلى، خروجًا من ماض غير مميز إلى زمن يوحى بمستقبل عظيم. قيام العسكر بالتصرف على هذا النحو، وربما بدون تأمل عميق، بل وبلا خزى أو عار أو حذر، أخذوا فى حسبانهم مسألة اغتيال الرجل الذى ضمن لبلادهم أكبر تقدير سياسى ممكن. كان هؤلاء العسكر يسلمون أن بوسعهم إلغاء الإقليمية، والقبلية، وسوء الخلق، والفساد فى عشية أو ضحاها. كان ذلك أيضًا هدفًا بعيد المدى من أهداف الرجل الذى اغتالوه، لكنه كان يتعامل مع هذا الهدف من منطلق الصبر والاصطبار الذى كان أولئك العسكر يفتقرون إليه. صحيح أنهم عالجوا قليلاً من الشرور، وأطلقوا شرورًا أخرى، وهذه مسألة شائعة بين الثوار. لم تكن مسألة اعتراف النيجيريين الذين فى السلطة، وعلى الملأ فى العام ١٩٦٧ و ١٩٦٨، بأن الزمن أثبت أن البريطانيين كانوا على حق وأنهم كانوا مخطئين،

فى مسألة تسريع الاستقلال دون حل لمشكلة الاستقرار الفيدرالى، هذا المسألة لا تريح المؤلف الأجنبى الذى يكتب فى موضوع من هذا القبيل.

فى اليوم العشرين من شهر يناير من العام ١٩٦٦ الميلادى أعلن صديق عمر رئيس الوزراء، ورئيس حى باوتشى، أنه علم من عائلة الرجل المفقود إن إحدى نشرات الأخبار الصادرة عن الإذاعة الغانية أبلغت عن العثور على الجثة، وأنه تسبب فى إقلاق الضباط جميعًا الذين كانوا يستمعون إليه بنبوءة مفادها أنه ما لم يتم تأكيد سبب الاختفاء وإيجاد مبرر له أمام الشعب، فإن الشمال سوف يطرأ عليه حتمًا موقف مماثل "لموقف الكنغو". كان رئيس حى باوتشى لا يزال راغبًا فى تصديق الشائعات التى مفادها أن أبا بكر احْتُجز حيًا كرهينة فى مكان غير معلوم، سواء أكان فى منزل رئيس من الرؤساء أصحاب أغطية الرأس البيضاء فى ليجوس، أم مقابل أولوو المسجون، كما كان يتطلع، بل وظل يحصل على ما يطمئنه من الشمال همَّان ميدوجورى، مفوض الشرطة فى ليجوس. جرى فى صبيحة اليوم التالى استدعاء رئيس الحى هو وقفطان توبولوميو Topolpmiyo مفتش المفوض الإدارى فى الحى، من ننجاسو Nangasu، دون إبداء الأسباب إلى مركز رئاسة الجيش فى ثكنات دودان. وجرى السماع لهما بالانصراف لأداء صلاة الجمعة، لكن على الرغم من أنهما كانا صائمين، جرى استدعاؤهما بعد ذلك مرتين، إلى أن جرى توصيلها بالسيارة فى ساعة متأخرة من الليل إلى المستشفى العسكرى. فى المستشفى وبعد شىء من الأخذ والرد مع أحد المساعدين الإجباويين، أُعطيا "قماش كاف لتكفين رجل مهم" استعداداً لدفنه. لم يحصلا على أى تفسير، وأن ما توصلا إليه كان من عندياتهما، انضم إليهما ضابط طبيب من الجيش وضابط أو اثنين من ضباط الشرطة. قام قول عسكرى كبير، يبدو أنه كان من الإجباويين، بحمل مشاعل الكيروسين وصاحبهما إلى مسافة ٤٢ كيلاً متريًا على طريق أبيوكوتا. وبالقرب من أُوتا Otta، توقف الجميع وساروا إلى مسافة معينة وسط الأعشاب المبللة بماء المطر، ووسط أشواك الغابة، حيث شاهدوا لأول مرة جثمانًا

عاريًا منتفخًا مهشم الرأس، يرجح أن يكون جثمان لارجيما Largema. وعلى مقربة من هذه الجثة أشار إليهم ضوء أبيض إلى الاتجاه إلى جثة ثانية، ومسنودة إلى جذع شجرة. كان الثوب الأبيض هو الذى مكنهم من التعرف على البقايا المتعفنة، وجرح فوق القلب وفجوة فى الظهر ناتجة عن المطلقات التى أطاحت بالعمود الفقرى، على أنها بقايا الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا. كان غطاء رأسه عند قدميه.

أما مسألة إن كانت هناك إصابات أقل من ذلك، فقد فات أوان اكتشافها من قبل الضابط الطبيب أو الناس العاديين. قيل إن الرسالة التحذيرية التى أعطاها الدكتور السياسى لأبى بكر وتتعلق بالثورة، والتى وصلته من الدكتور بوزيا Busia المنفى فى لاهاى، كانت لا تزال فى جيب الثوب. عرض العسكر القيام بحفر القبور فى التو واللحظة، لأنهم أحضروا معهم التوابيت والمشمّع المُقطران. قام الضابط الطبيب برش بعض المعقمات والمطهرات، فى حين قام قفطان بتكفين البقايا التى لا يزال عليها بعض من الملابس، ثم قام بإغلاق غطاء التابوت. أفاق رئيس الحى تمامًا من الحزن الذى ألم به، وأصر على حتمية إعادة أبى بكر إلى باوتشى ليدفن فيها وأن تقام له الجنازة المناسبة.

جرى نقل التابوت إلى مطار إيكيجا قبل طلوع شمس يوم السبت، واتخذ همان ميدوجورى الترتيبات اللازمة لاستئجار طائرة للقيام بالرحلة. طلب همان أيضًا من قفطان تجميع أسرة أبى بكر كلها لكى تصحبهما. وقام الرجل بهذه المهمة، لكن من دون أن يخبرهم بشىء إلى اللحظة الأخيرة، أنه أصبح يعرف تمامًا مصير زوجهن وأبوهم. رافق كل من همان مفوض الشرطة، وكام سالم، نائب المفتش الشُّرطى العام، الوزير الحاج يوسف ميتاما سول وزوجتى أبى بكر لارابا Laraba وجومًّاى Jummai، ورافقوا أيضًا الحاج أبا بكر جاريا، رئيس الحى الحزين وبقية أفراد العائلة والتابوت إلى بلدة باوتشى مباشرة، التى وصلوها عشية صلاة عيد الفطر التى تحل فى نهاية شهر رمضان. انضم إليهم فى باوتشى كل من الحاج السير كاشيم إبراهيم هو

وقاضى القضاة. قام الحاج آدم تافاوا باليوا، تلميذ أبى بكر ووصيه، الذى كان يتصدر العائلة الكبيرة والمريدين والأتباع بجوار مهبط الطائرة، قام بكل مراسم عملية الدفن ومسئولياتها. كان الجثمان لا يتحمل اللمس أو الغسل، لكن جرى صب الماء عليه باعتبار ذلك هو الطقس الأخير من طقوس الطهارة، وأعيد غلق التابوت، ثم جرت صلاة الجنازة على الميت. حضرت آلاف مؤلفة لأداء صلاة الجنازة على أبى بكر. ثم ووري جثمانه التراب داخل منزل المدينة الذى دفنت فيه أجيال من أسرة الطاهر وأفراد أسرهم وعائلاتهم. كان الحاج آدم يعلم أن الناس يودون معرفة مكان القبر، ويودون الصلاة نيابة عن الميت. تنفيذاً لتعليمات الشريعة الإسلامية التى تنص على أن تكون الأرض مستوية ولا يجرى رصفها، وعدم كتابة أى شىء من قبيل التأبين على أى حجر من الأحجار المجاورة، قام الحاج آدم بتعليم القبر ببعض الكتل الاسمنتية. وعادت الزوجات والآخرون إلى منزل أبى بكر. لم تكن الزوجتان تملكان شيئًا غير ما يلبسانه وما يحملانه فى أيديهما. كان الحاج السير أبو بكر قد ترك لهما شيئًا من الذهب فى صندوق صغير قام قفطان بإحضاره من ليجوس، هذا بالإضافة إلى المزرعة وأدواتها، وكذلك المنزل الذى بناه أبو بكر فى كادونا.

غادر أجوى - إيرونسى مقر رئاسة الشرطة، بمناسبة عيد الفطر، الذى حل مؤذنًا بنهاية صوم رمضان، لقضاء عيد الفطر مع ابن أخى السلطان الحاج الشيخ مالامى Malami. وفى ساعة متأخرة من اليوم نفسه أعلنت الحكومة الفيدرالية العسكرية "بعميق الأسى"، العثور على بقايا رئيس الوزراء الأسبق وأنه سيتم دفنه فى موطنه باوتشى، "ومن باب الاحترام لذلك الابن العظيم من أبناء نيجيريا"، أمرت الحكومة الفيدرالية العسكرية بتعطيل العمل فى ذلك اليوم وتنكيس العلم طيلة ثلاثة أيام. كانت الجنازة قد أقيمت وانتهت بالفعل فى ذلك اليوم. بدأت بعد ذلك تحدث أصداء للانقلابات المفاجئة فى نيجيريا، بعد أن فُسر الاحتلال الأجنبى فى كل من بنين Benin وسكتو، من قبل غير العلميين بأنه نوع من "الفرح المفرط". هذا فى الوقت الذى تناست فيه الجماهير

الكبيرة عن قصد، كل هذه الترُّهات، وعادت إلى حيواتها الروتينية الزراعية والسوقية، والمكتبة، والبيع والشراء، وسط شكوك هامسة، وبريق هؤلاء الذين كانوا يتعلقون بأطراف ثياب السلطة، وسط آمالهم المرتقبة الجديدة. تولت الصحافة أمر هؤلاء الذين كانوا متعلقين بأطراف ثياب السلطة، هذه هى جريدة **الديلى تايمز**، التى تصدر فى ليجوس، راحت توجه اللوم إلى السياسيين على الطريق الخاطئة التى سارت عليها البلاد، وامتدحت الحكم العسكرى الجديد على تولى السلطة بطريقة هادئة تحاشت نشر الرعب والفزع بين أفراد الشعب، وهذه هى صحيفة **وست أفريكان بايلوت** West African pilot تقول: إن اليوم السادس عشر من شهر يناير يسجله التاريخ على أنه اليوم العظيم الذى أبرمت فيه نيجيريا عقد حياة جديدة، وهذه جريدة **الديلى تلجراف** Daily Telegraph النيجيرية تقول: إن الفيدرالية طورت القبلية، وحثت آجوى - إيرونسى على خلق نظام موحد بلا أقاليم، وهذه جريدة **نيجيريان مورننج بوست** Nigerian Morning Post تتهم السياسيين بأخذ حق مقدس لتخوله لأناس عاديين، وانضمت إلى ملايين المواطنين، على حد زعم الصحيفة، فى الترحيب بفجر تلك الحقبة، وهذه جريدة **سنداى تايمز** Sunday Times النيجيرية تحسب فى تحليلها النهائى للأزمة أنها لم تكن مأساة، نظراً لأن الدرس المستفاد هو أن المصلحة الوطنية وصلت إلى مرحلة يصبح الحل الوسط عندها أمراً غير حكيم.

قام السياسيون الأفراد بنوع عام من أنواع التغطية على ما حدث، وبخاصة أولئك الذين (بما أوحت لهم ضمائرهم بأنهم ساعدوا فى جعل الثورة أمراً محتملاً، هذا هو حزب المؤتمر الشعبى الشمالى تحت رئاسة زعيمه الجديد زنًا بوكار دبشاريما يعلن مساندته غير المشروطة للحكومة العسكرية الفيدرالية الجديدة، وهذا كولا بالوجُن الناطق بلسان حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين ومختلف الطلاب، ومنظمات الشباب يفعلون الشىء نفسه، وذلك على الرغم من أن التحالف المتحد التقدمى العظيم أشار فيما بعد إلى "الموت المحزن لابن عظيم، ترك آثار أقدامه على رمال الزمن، لأن

المساواة عنده كانت هي كل شيء"، وهذا هو حزب جماعة العمل يرحب بالعهد الجديد على لسان آدجبنرو، واثقًا في الوقت نفسه أن آجوى - إيرونسى سيجرى انتخابات عامة خلال ثلاثة أشهر (وإذا ما فشلت سيشنُّون العنف من جديد في الإقليم الغربى ويؤرقون الجيش)، وهذا هو رتشارد Richard آكنجايد يتعهد بمساعدة الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى ودعمه. وهذه أيضًا رابطة المحامين تعرض الولاء والمساندة، وتعاونها في وضع دستور جديد. وهؤلاء هم الأمراء ينادون شعبهم ويطلبون منه الالتفاف حول الحكومة في دورها في القضاء على الفساد والرشوة والمحسوبية، واستعادة مجد البلاد الضائع، نظرًا لأن هذا العهد الجديد يهتم بالجماهير بغض النظر عن القبلية أو الدين أو المكانة. وأهل الشمال الذين فرحوا بحق هم أقارب أولئك التيف Tiv الذين لا يزالون يرزحون في السجون لتحديهم حزب المؤتمر الشعبى الشمالى.

هذا هو الدكتور آزكوى، الذى يتماثل للشفاء من مرض الرئة، يعلن في اليوم الحادى عشر من شهر يناير، وفى أول سلسلة له من التصريحات من فوق سرير مرضه في فندق دوركنج، أنه بحكم كونه فوق السياسة سيطير عائدًا إلى بلاده لاستعادة السلام والأمن. وهذه هي المراسيم الصادرة عن آجوى - إيرونسى تُفْرِغُ أى عمل يود آزكوى أو ضباط الجيش المرتبطون به، من مضمونه، لكن الرجل غير رأيه في اليوم السابع عشر من شهر يناير، وأنه بسبب تولى السلطة من آخرين فإنه لن يعود إلى البلاد إلا بعد أن يطلب منه ذلك، على الرغم من أن انهيار الاتحاد الفيدرالى سيتحول إلى مأساة إذا ما انهار: "أنا لست مقتنعًا بأن المتورطين في هذا العمل لهم مطامح سياسية... وأنا لدى إحساس بأننا نستطيع دومًا التفاوض مع القائمين على الأمر بعد أن تستقر الأحوال". قال آزكوى أيضًا، وهو يصف نفسه بأنه أبٌ لشعبه، وأنه مهتم فقط بمسألة استعادة السلام والأمن "أنا لن أقول أنى متساوٍ مائة بالمئة مع أبى بكر تافاوا باليوا، لكن من الناحية الدستورية فأنا أعمل بالنصيحة والمشورة. وإذا ما كانت

النصيحة التى تقدمها لى حكومتى تهز ضميرى، فأنا مع مثل هذا الحال أفعل الشىء المشرِّف ثم أستقيل بعد ذلك". وبغض النظر عن وعيه للاستياء العسكرى والسياسى، فقد كان مشوشاً بنتيجة الأحداث التى وقعت، وندم على تقديم "الأتراك الشبان" لعنصر الثورة العنيفة، "إنها سياسة غير حكيمة". (عندما عاد إلى الوطن بالفعل، على الرغم من أن أجوى - إيرونسى كان على اتصال تليفونى منتظم به منذ حدوث التمرد، لم يذهب أحد من الرسميين لاستقباله فى المطار - لم يكن هناك أحد من موظفى البرتوكول فى استقبال أزكوى). وإذا ما نحينا جانباً الإعراب الصورى عن الأسف بطريقة عابرة لا نجد أحداً من خارج الإقليم الشمالى فى نيجيريا يعرب حقيقة عن حزنه الدفين على أبى بكر تافاوا باليوا.

بعد ذلك بأشهر قلائل نجد الدكتور كينيث دايك، نائب رئيس جامعة إيبادان، ينادى بالوقوف دقيقة حداداً على ذكرى رئيسهم الأول، قائلا: "النيجيرى المتعلم هو أسوأ الباعة الجائلين للقبلية فى نيجيريا".

فى تعليق إذاعة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية على الحادث، نجد أن الإذاعة تجاهلت اسم أبى بكر، وراحت تنظر إلى القارة الإفريقية كلها، وجاءت الصورة الذهنية لهذه الإذاعة صورة سيريالية وتجريدية بشكل واضح عن الأغلبية الاجتماعية الإفريقية الريفية، "لم يحدث إصلاح اجتماعى كبير فى نيجيريا ... الديموقراطية الحقيقية كانت مصادرة ومحظورة فى كل الأنحاء، لكن نيجيريا كانت بلداً تعده بريطانيا صديقًا مخلصاً لها فى إفريقيا. كانت الدوائر الحاكمة فى نيجيريا موالية بحق للاحتكارات الغربية، وكانت تعمل لمصلحة هذه الاحتكارات، وليس لمصلحة الشعب العامل... وتنبرى الصحف البريطانية لتثبت أن الأحداث إنما نجمت عن الصراعات القبلية، بل إنها زعمت أن تلك الأحداث نجمت عن عجز الأفارقة فى مجال التنمية السياسية المستقلة... فى التسابق على الدفاع عن العنصرية والاستعمار.... لقد أدى

تدخل الجيوش إلى هذه [illegible] من التقويم [illegible] الغابرة [illegible] عن
فشل الاستعمار الجديد.

.... الصراع الواضح يدور أيضًا بين العناصر الثورية والعناصر الديموقراطية في صفوف الجيش.... وإذا ما كررت الحكومات العسكرية الأخطاء التي وقعت فيها الحكومات المُبْعدة... أو إذا ما عجزت عن تقديم بديل للشعوب من السياسات الاستعمارية الجديدة السابقة، فإن الأزمة الحالية سوف تنشب مرة أخرى. لقد سئمت الشعوب الإفريقية الانتظار لإيجاد حل للمشكلات الملحَّة". لقد جرت تصفية كل أولئك الذين لم يتعرفوا الفلاَّح الحقيقي مطلقًا، كما تمت أيضًا تصفية كل تلك الكوادر التي ولدت بعد الفلاحين الأغنياء، هؤلاء لا يزال بوسعهم استعمال المأساة أداة في الصراع ضد المنظومات متعددة الأحزاب وضد المشروع الحر، في الوقت الذي يسديئون فهم الأدلة التي في أيديهم.

على كل حال، إفريقيا فيها أماكن أخرى عامرة بردود الأفعال القوية. **هذا هو اللواء سوجلو Soglo في داهومي يغلق الحدود وأعلن الحداد مدة أسبوع. وهذه الأعلام قد نُكست في كينيا، وزامبيا، وفي ساحل العاج. وهذا هو الدكتور هيستنجز باندا في ملاوى يقول: إن وفاة الرجل الذى كان يؤمن إيمانًا عميقًا بالكمنولث من ناحية والعلاقة بين الدول الناطقة بالإنجليزية والدول الناطقة بالفرنسية، تؤدى إلى جعل مصير منظمة الوحدة الإفريقية يحتاج إلى إعادة التوازن إليه، وهذا هو الدكتور ملتون أبوتى الأوغندى يقول: إن وفاة واحد من أحسن القادة الأفارقة في هذا القرن وهذا السياسى البارز على مستوى العالم، قد هزت الدنيا كلها، وكارثة كبيرة لانعكاسات الصورة الذهنية الناجحة عن الدول الإفريقية المستقلة - "نحن عندما نحزن على وفاته، يجب أن لا يغيب عنا، بل ويجب أن نحفظ في قلوبنا ذلك الافتقار غير الإنساني لتقدير كل ذلك الذي كان يمثله رئيس الوزراء الراحل، وأن الطريقة [illegible] التي اغتيل بها الرجل لن تحل المشكلات النيجيرية [illegible]**

رئيس الكاميرون يأسف لوفاة الحاج السير أبى بكر ورئيس الوزراء الإقليميين، ويردف قائلاً: إن قتل الزعماء لم يكن هو الوسيلة أو الطريق إلى بناء إفريقيا، وهذا هو الرئيس هامانى ديورى فى النيجر يعلن هو الآخر إغلاق الحدود، ويتكلم عن الاغتيالات البشعة، ويأمر بإعلان الحداد على أبى بكر مدة ثلاثة أيام، وهذا هو الرئيس جوليوس نيريرى، رئيس تانزانيا، يروى كيف أن أبا بكر، الرجل النزيه والشجاع، عرف كيف يختلف بدون غضاضة أو تآمر، وتمنى نيريرى على القادة الجدد التغلب على المشكلات الملحة الخاصة بالتنظيم وبالمواقف التى جعلت أبا بكر ضحية بريئة. تكلم كل من الإمبراطور هيلاسلاى، والرئيس تبمان Tubman، والرئيس جرونتزكى، رئيس توجو كلاما صادراً من قلوبهم.

على الجانب الآخر، نجد أن الرئيس المصرى جمال عبد الناصر، بدأ يتطلع إلى علاقات أوثق بعد رحيل الرجل الذى قاوم افتتاحيات عبد الناصر. أما فيما يتصل بالرئيس نيكروما، رئيس غانا، والذى كان لا يزال يحمى خونة حزب جماعة العمل (وقبل شهر من إطاحة جيشه به)، والذى كان لا يزال مؤمناً بأن الأنظمة الاجتماعية القائمة على الكلام والتى من صنع البشر، وتستخدم الفلسفة الخرافية والمنطقية سوف تحبط الكثير من الأخطاء الدنيوية للإنسان، ولا تدرك مطلقًا أن الأمة قد تحتاج إلى قرن أو قرنين من الزمان كى تستعيد استقرارها بعد الثورة الاجتماعية، هذا الرجل كانت له تعليقات احتفائية على وفاة أبى بكر. فقد زعم نيكروما فى إحدى تصريحاته الإذاعية أن الحاج السير أبا بكر "مات ضحية لقوى لم يفهمها أو يعيها، وأنه مات شهيداً للاستعمار الجديد، الذى كان هو فيه بمثابة شخصية رئيسية. لما كان أبو بكر شديد التدين، وشديد الصدق والأمانة فى تعاملاته الشخصية، ولما كان يحاول جاهداً تسيد موقف أكبر من قدراته، فقد أوقعه ذلك فى صراع لم يفهم طبيعته مطلقًا. من الصواب أن نحزن على هذا الرجل. ومن الصواب أيضًا أن نُخلِّد ذكراه. لكن مهم أيضًا أن نفهم العوامل التى أدت إلى وفاته....

"أمضى أبو بكر الجزء الباكر من حياته فى شمالى نيجيريا، منطقة الاستعمار الجديد ممثلاً فى أول صورة من صور الحكم غير المباشر، الذى جرى ابتكاره وتطويره واكتماله منذ بداية القرن . بدأت الطبقات الحاكمة فى نيجيريا وبطريقة لا شعورية، تنظر إلى القوة الإمبريالية البريطانية باعتبارها مصدراً لسلطتهم، وكانوا ينظرون إلى الاستقلال باعتباره مجرد طريقة لاستمرار الحكم غير المباشر لمنطقة أكبر لكن بوسائل أخرى. عند هذه المرحلة بدأت متناقضات ومتضاربات الاستعمار الجديد تكشف عن نفسها. سلم أولئك الذين ورثوا السلطة فى نيجيريا أنهم لا يتعين عليهم سوى نسخ صورة طبق الأصل من المنظومة البرلمانية البريطانية حتى يمكن ضمان الحرية والعدالة فى نيجيريا. واقع الأمر أنهم عندما يفعلون ذلك يكونون قد نقلوا إلى المرحلة البرلمانية المتناقضات التى عليها نيجيريا باعتبارها مُشكَّلة تشكيلاً استعمارياً. هذا الذى تولاه السير أبو بكر هو وحكومته كان مجرد دولة مصطنعة، جرى إنشاؤها كيما تناسب متطلبات استعمار مطلع القرن العشرين. هذا يعنى أن نيجيريا أصبحت كياناً، لا بحكم شعوبها وإنما بسبب أن التنافس بين بريطانيا وفرنسا عند نهاية القرن حتم على بريطانيا السيطرة على النيجر وأراضيه الداخلية. عندما حصلت نيجيريا على الاستقلال كانت الحكومة الفيدرالية قد أعطيت مجرد ظل من السلطة، أما السلطة الحقيقية فقد بقيت متمركزة فى الأقاليم. من خلف هذه الواجهة ذات الأشكال المختلفة، سعى الاستعمار إلى تمديد مصالحه وترسيخها. وهذا يعنى أن السير أبا بكر هو وحكومته كانا يواجهان مهمة مستحيلة.

"..... تمثلت مأساة السير أبى بكر فى أنه لم يفهم مطلقًا أن الخيار المطروح على نيجيريا كان يتمثل فى التوحيد السياسى العاجل لإفريقيا، أو تفكك نيجيريا.... ونظراً لأن أبا بكر كان أميناً مع نفسه تماماً فقد عجز عن السيطرة على قوى الشر التى تولدت من النظام الذى يحكمه هو. نبع فشل أبى بكر من الحقيقة التى مفادها أنه كان يسلم، أن الحكومة إذا ما قلدت بل ونسخت كل المظاهر والمرايا الخارجية للحياة

السـياسـة البـريطانيـة، فـإن كل شيء سـيكون على ما يرام. فـشل أبو بكر في فـهم الحقيقة التي مـفادها أن الاسـتعمار الجديد كان يتلاعب به ويضلله. لقد خُدع، وربما كان ذلك على الرغم من تواضعه الشخصي، بتصفيق الدول الغربيه التي كانت تثني على نيجيريا باعتبارها الديموقراطية الوحيدة في إفريقيا. واقع الأمر أن الدول الغربية كانت تعني بهذا الكلام، أن نيجيريا من وجهة النظر هذه هي الأسهل من بين الجميع في التأثير عليها. وأيًا كان الحال، فإن السير أبا بكر لم يدرس قط وبصورة علمية أسس المجتمع الذي تحكمه حكومته. لو فعل ابو بكر ذلك لادرك أن نيجيريا دونا عن سائر الدول التي في قارتنا، هي التي حصلت على الكثير وخسرت القليل في حال حدوث اتحاد حكومي لإفريقيا. رحمه الله". وفي ضوء التشخيص الدقيق من ناحية، والوقوع في أسر تطورات المرض وتطورات علاجه بالمفردات المتعلقة بتحضير الأرواح، نجد أن نيكروما فشل في إثبات أن تحليل الحاج السير أبي بكر يمكن تفنيده في المستقبل.

جاء تقدير الكمنولث لأبي بكر ممثلاً فيما قاله الرئيس الباكستاني أيوب خان، والسيد/ لي كوان يو، رئيس وزراء سنغافوره، والسير روبرت منزيس، رئيس وزراء أستراليا، الذي كان قد استقال من منصبه في تلك الأثناء، والذي قال: "جاءت وفاته صدمة كبيرة للكثيرين منا الذين بدأوا يحسبون أن مبادئ الحكومة الدستورية والحكم السلمي بدأت تتجلى وتظهر في نيجيريا". أشاد دين رسك، وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بأبي بكر، كما أشاد به أيضًا أوثانت، الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة. رأى الرجلان أبا بكر شخصية عالمية كبيرة، وهذا التكريم والإشادة لم يدخلا أذهان تلك الشخصيات الوضعية التي دمرته.

لم تعترف بريطانيا الجديدة رسميًا بوفاة أبي بكر؛ فقد أعربت الملكة هي ودوق آدنبره عن عميق أسفهما الشخصي لوفاة صديق كانا يكنان له تقديرًا عظيمًا، لكن عددًا كبيرًا جدًا من أصدقاء نيجيريا الصِّغار الذين عملوا فيها بدأ قلقهم يتزايد لعدم

صدور إدانة رسمية صريحة من الحكومة السياسية، لذلك الاغتيال، وذلك على الرغم من قيام السيد/ بوتملى من جانبه بالإعراب عن موافقته على أن العالم هو والكمنولث خسرا نصيراً قوياً من أنصار الخير. حدثت أيضاً مفاجأة كبيرة، نظراً لأن المجالس الدبلوماسية العالمية الكبيرة أبدت موافقتها على قبول الحكومة العسكرية باعتبارها خلفاً شرعياً لحكومة الحاج السير أبى بكر وبرئاسة الدكتور أزكوى، بدون اعتراف رسمى أو حتى الإشارة إلى الشرعية المرحلية **لحكومة الأمر الواقع**. بعد بضعة أيام أحس كل من إيرل Earl بيرث، فيكونت بويد Boyd، والفيكونت شاندوس Chandos برغبة قوية فى الكتابة لملء فراغ الساسة القائمين بالحكم، كتبوا إلى جريدة **الديلى تايمز**: "حققنا فى حياتنا العملية أشياء كثيرة مع السير أبى بكر تافاوا باليوا. لقد أحببناه حباً جماً وسوف نذكره دوماً من منطلق أن إنكاره لذاته يعد مثالاً يجب أن يحذو الناس حذوه على اختلاف مللهم وأديانهم. ونحن لا يمكن أن نسمح لوفاته بالمرور دون أن نعرب عن فزعنا وحزننا". وهذا هو اللورد هيد Head يكتب مؤبناً للرجل ومشيراً إلى المصاعب غير العادية، وربما الفريدة التى واجهت أبا بكر والمثقلة بإخلاصه العميق لربه وبلده". وهذا هو السير بريان Bryan شارود - سميث Smith وقد تأثر كثيراً بالصحافة التليفزيونية التى لا تعرف معنى الفضيلة، يجد نفسه مضطراً إلى الكتابة إلى جريدة **الديلى تلجراف**، عن مقابلة مع الرائد نيزيوجو، حول هجومه على منزل المستشار السياسى الرئيسى، تلك المقابلة التى عاملت القاتل الرئيسى كما لو كان لاعباً فائزاً من لاعبى كرة القدم.

تطلب الأمر من أحد أفراد المعارضة فى البرلمان، أثناء استجواب رئيس الوزراء فى مجلس العموم أن يحصل على تكريم للحاج السير أبى بكر من السيد/ هارولد ولسون، عندما أنكر أن هذه الأحداث قد أفسدت قرارات مؤتمر الكمنولث الذى حل خلاله ضيفاً على أبى بكر. وعندما جرى فتح كتب العزاء فى وزارة الخارجية فى ليجوس، وفى المفوضية العالية فى لندن، أشارت الصحافة إلى السيد/ أرثر بوتملى

وزير الدولة لشئون الكمنولث وقيامه بالتوقيع نيابة عن الحكومة البريطانية، فى الوقت الذى أتت فيه أيضًا على ذكر كل من السيد/ هارولد ماكميلان، لورد بويد، واللورد ملفرتون، كما أتت أيضًا على ذكر السفير الأمريكى السيد/ بروس Bruce. لكن رجال الصحافة البريطانية والشعب البريطانى بدأوا يفقدون اهتمامهم بمشاجرة أخرى فى بلد بعيد، بين أناس، هم لا يزالون لا يعرفون أى شىء عنهم، اللهم باستثناء أنهم صور لبعضهم البعض. كان الصحفيون البريطانيون والشعب البريطانى راضين على ما يبدو عن أن عملاً حاسمًا قد أعاد كلاً من القانون والنظام اللذين بدءا يتدهوران. كانت بين تلك القلة القليلة التى لا تعرف شيئًا، مزاعم راحوا يتبادلونها فيما بينهم، عن التزام الدبلوماسية الجديدة بالمسلمات التى كانت سائدة وأساسية إلى وقت قريب، أصاب الرعب هيئة العاملين مع المفوض السامى فى كادونا، بفعل الفكرة التى مفادها أنهم ربما يكونون "منحازين"، إذا ما عرضوا اللجوء المؤقت على كبير موظفى الشمال، والمحبوب حبًا جمًا من زملائه المقيمين، والذى قيل إنه مدرج على قائمة قتل نيزيوجو، وهنا تعين على المفوض السامى فى ليجوس صب الماء البارد على الطلب الذى مفاده أن القوات البريطانية يمكن أن تساعد فى قمع القسم المتمرد من الجيش النيجيرى وإخماده، مثلما فعلت القوات البريطانية قبل ذلك فى شرق إفريقيا ومن قبلها فى منطقة الخليج. راح الوزراء النيجيريون السابقون يعلقون على هذا الأمر تعليقات حرة مفادها أن شيئًا من هذا القبيل كان لا يمكن أن يحدث لو أن دوجلاس - هوم بقى رئيسًا للوزراء، أو لو أن دنجل فوت Dingle Foot، المدافع عن أولوو، لم يصبح المسئول القانونى الثانى فى حكومة ولسون. بقى الأمر محطًا للثرثرة والقيل والقال، لكنه أضر كثيرًا بالثقة الشعبية وأضر أيضًا بحسن النوايا الدبلوماسية.

بعد شهر، وفى ظل غياب أى تحرك رسمى فى اتجاه تأبين الرجل وإحياء ذكراه، قامت الرابطة البريطانية – النيجيرية بإعداد "اجتماع" تأبينى على الطريقة

الصَّحابية(*)، فى مقر جمعية الكمنولث الملكية. تكلم اللورد بويد عن ذكراهم الحميمة لصديق عزيز ورجل عظيم، وانضم إليه فى هذه الإشادة كبير أئمة المركز الثقافى الإسلامى فى لندن والسير جيمس روبرتسون، الذى تحدث إلى الحاضرين عن "بطل عظيم كانت لديه رؤية عن نيجيريا كدولة مستقلة.... وإنها لمأساة، أن الصورة السياسية النيجيرية الحالية، لم تشكل الأحداث على النحو الذى كان يريده أبو بكر". يزاد على ذلك أن الملكة ودوق أدنبره، ودوق ودوقة جلوسستر وكذلك الأميرة ألكسندرا كانوا ممثلين رسميًا فى هذا الاجتماع الاحتفائى شبه الرسمى، بواسطة أشخاص بارزين من عائلاتهم. مثلت حرم السيد/ ولسون زوجها فى ذلك الاجتماع. أما وزراء الحكومة الذين قبلوا الدعوة فهم: السيد/ بوتلمى، وزير شئون الكمنولث، واللورد لونجفورد، وزير المستعمرات، ووزير تنمية ما وراء البحار السيد/ آرثر جرينود، وحامل أختام الملكة السير فرانك سوسكايس. وقد اشتملت معارضة صاحبة الجلالة على كل من: السير أليك دوجلاس. هوم، والسيد/ دنكان سانديز، والسيد/ هنرى بروك، والسيد/ جون تايلنى **Tilney**. كانت هناك شخصيات نيجيرية من المقيمين فى لندن، من الأقاليم كلها، وقد حضروا ذلك الاجتماع بأعداد كبيرة. كان بصحبة مفوضى الكمنولث الساميين بعض المتقاعدين النيجيريين الذين لديهم ذكريات خاصة مع أبى بكر: السير بريان شارود ـ سميث، السير ستافورد فوستر. ستون **Foster - sutton**، والجيولوجى برنارد فاج، وآخرون كثيرون. لكن على الرغم من الإشارات والتنويهات الثانوية عن الذكريات، وعلى الرغم من إنشاء صندوق زمالة تذكارى من قبل الرابطة غير الرسمية التى نظمت هذا الاجتماع، فإن كل ما تعين عليهم تذكُّره ضاع على وجه السرعة فى الصحوة الشعبية العامة من ناحية وفى الاستخفاف الذى تولد عن التفسيرات الصحفية لماضٍ إمبريالى والآمال المرتقبة لإفريقيا من ناحية ثانية. بقيت نيجيريا أبى بكر، على امتداد

(*) الاجتماع الصَّحابى: quake meeting: اجتماع تقيمه الطائفة الصحابية فى بريطانيا ويتميز هذا الاجتماع بفترات صمت طويلة. (المترجم).

سنوات بعد ذلك، فى أحضان الأكاديميين غير الرئيسيين، بوصفها دليلاً إضافيًا على أفكارهم الغربية.

جاءت ردود الفعل الباكرة فى نيجيريا نفسها باهتة وسريعة الاختفاء. أدى تبخر الإرهابيين الفرعيين من الجانبين فى الإقليم الغربى، إلى السماح للجيش باستعادة النظام فى غضون أيام قلائل وبالطريقة المشهودة التى سبق أن تحدث عنها الدكتور ماجيكودونمى، وبدون حدوث أزمات ضميرية بين الضباط الأصاغر شديدى الحساسية. تحول ذلك الشعور بالنشاط والخفة الذى أبلغ عنه من كانو إلى الدخول ضمن تيار تحتى وطنى لإعادة الحسابات، بعد أن زادت الثرثرة، والقيل والقال، وذيوع الشائعات الرائجة والتخيلات، على المستوى المحلى. هذا يعنى أن ليجوس ظلت، وبكل تأكيد، مطوقة بالخوف والشكوك طيلة ثلاثة أشهر، وغير متيقنة ممن يجب أن تثق به، وكانت كادونا تقر تمامًا بأن الإجباويين هم أصحاب الكلمة والسيطرة، فى حين كان الشماليون أصحاب الأغلبية إلى وقت قريب، يشاركونهم بعض سلطاتهم إلى حد ما. من جانبهم راح الإجباويون وبخاصة الأكثر تحضرًا منهم، أمثال مبانيفو، ودايك، ونواكيدى يلقون باللوم على بريطانيا لمساعدتها السخية للشمال، وتحامل الضباط البريطانيون السابقون والبقية الموجودة منهم حاليًا، ومحاباتهم للشماليين، وأنهم كانوا ينظرون إلى الحاج السير أبى بكر باعتباره جزءًا من وكر التآمر. انتظرت قلة قليلة من الجنوبيين لتتبين مدى سرعة أولئك البريطانيين، الذين أحبوا قُصَّارهم ورفاقهم فى الإقليمين الغربى والشرقى، فى تلقى الإذن النهائى بالانصراف وبالتالى يختفون تمامًا من الأقاليم ومن المشاهد الإقليمية. **مسألة عدم معرفة أولئك الذين لم يموتوا فى الانقلاب والأسباب المنطقية لذلك، والإيمان القوى بالمسئولية الأخلاقية، أو المشاركة فى الجريمة من قبل كبار العسكريين والمدنيين الباقين على قيد الحياة، ومسألة الانتشار السريع لقناعة مفادها أن مليونى جنيه إنجليزى من المال الإسرائيلى هما اللذان أديا إلى مقتل شهداء الإسلام بواسطة الإمبريالية والصهيونية، وكذلك مسألة التسريبات**

الأمنية التى تربط المتآمرين بمكتب نيكروما للشئون الإفريقية، ومسألة كلام اهل الريف الخرافى الذى يؤكد أن المستشار السياسى الرئيسى نقل بمعجزة إلى مكة، وأنه سيعود منها بصفته "المهدى المنتظر" ليصبح "ملكًا فى الحال وفى المستقبل" - أدت هذه المسائل كلها، وأكثر منها إلى تشوش الأذهان، وقد قام الباحثون والمدافعون بتغطية هذه المسائل والكتابة عنها فى أماكن أخرى فى السنوات التى تلت ذلك.

خلّف الحاج السير أبو بكر وراءه عائلة (تسعة عشر طفلاً، من بينهم الطفلة زينب التى ولدت بعد وفاة أبيها)، ومنزلاً فى مزرعة، ومسكنًا فى كادونا، ولا شىء غير ذلك. وقد بقيت أمه العجوز المريضة عامًا واحدًا بعد وفاته. وعلى الرغم من تجدد بعض الشكوك حول ترك تقسيم تركة رئيس الوزراء لإجراءات المحكمة الوطنية المحلية المعتادة، فقد كانت هناك أيضًا بعض المنازعات الإضافية التى نأى بنفسه عنها أبو بكر جاربا رئيس الحى المخلص للمرحوم أبى بكر. لم يتبق شىء كثير كى يقوم القاضى بتقسيمه، حتى طبقًا للمذهب المالكى، على الرغم من أن التخلص من الحرج الناجم عن مسألة المنزل الموجود فى كادونا بإعطائه إلى جماعة نصر الإسلام، فى الوقت المناسب، وإذا ما نحينا جانبًا شيئًا من الفكّة الموضوعة فى صندوق، هى ومكتبته المُستهلكة وشيئًا أو شيئين من الأشياء الثمينة (مثل ساعة يده، وجهاز الراديو العالمى الذى يعمل على الموجة القصيرة، والسيف ذى الحد الواحد الذى أهداه إياه المستشار السياسى الرئيسى، نجد أن كل ما عدا ذلك جرى وضعه للعرض فى ملحق المعرض التذكارى الوطنى)، لم يتبق شىء بين أمه الحاجة إنًّا Inna والدته، وبين الأرامل والعوز والفاقة. كل هذه الممتلكات القليلة، التى كانت بهدف التأمين، أعيد تخصيصها من جديد وبطريقة غبية خالية من التقدير. هذا التصرف المشين الذى يدعو إلى السخرية يتساوى أيضًا مع ما حدث فى الوفاة، حيث جرى التخلى عن جثة المستشار السياسى الرئيسى، كما سلب الناس أيضًا محتويات منزله المشتعل، وهذه هى أسرة أبى بكر، وأطفاله اليتامى جرى تكديسهم فى وكر من أوكار الحيوانات المفترسة.

أما الصبيان اللذان كانا يتعلمان فى إنجلترا فقد جرت مواساتهما بواسطة ناظر المدرسة الحنون ترافورد آلين Allen، بدعم من الوصى عليهما جى أى بى هال Hall، وأمضيا عطلة نهاية الأسبوع مع مارى أوهارا، التى كانت ممرضة لوالدهما فى يوم من الأيام. وجرى بعد ذلك بصورة أو أخرى تغطية الرسوم المدرسية المطلوبة لكلية إبسوم Epsom، إلى أن تولت الحكومة العسكرية بقيادة اللواء جوون هذه المسألة بعد ذلك. كان بين زملائهما فى المدرسة بعض من الأفارقة والآسيويين، الذين كان السواد الأعظم منهم من أسر مهينة من الطبقة المتوسطة، وكانوا جميعًا محميين من الازدراء الطبقى والعنصرية العرقية التى كانت لدى المدارس النهارية البريطانية. ولما كان الصبيان محبين للعبة الرجبى، فقد كانا يحسان بالحرج عندما يتصرفان بطريقتهما الإفريقية، إلى أن جاء العم أحمد وأعادهما من المدرسة العامة إلى إكمال تعليمهما العالى فى الوطن فى بيئتهما الخاصة. على الرغم من أن الصبى الذى كان فى كلية كفى الحكومية جرى تمهيده للخبر عن طريق إبلاغه بمقتل راعيه المستشار السياسى الرئيسى، فقد استطاع ذلك الصبى تخمين المصير الذى آل إليه والده من الحرج الذى أصاب زملاءه التلاميذ، إلى أن أبلغه مسئول التغذية بالخبر، رأى ناظر المدرسة المقيم هو وزوجته أن يقوم مدرس بريطانى بمرافقة الصبى إلى موطنه فى باوتشى، ليقوم هناك بدور الرجل فى تهدئة أحزان النساء التى كانت مستمرة لأيام عدة بعد دفن الجثة. سمع ولد هورج، مفتش الشرطة العام المتقاعد، والذى ألحقه والده بمدرسة العاصمة فى كادونا، بخبر وفاة والد زميله وقال: "مسكين يا بالا".

على الرغم من هذه الظروف ذهب الأبناء الأصغر من هذين الصبيين فى دروب عملية حياتية مختلفة. تزوجت كل بنات أبى بكر، فيما عدا بنتًا واحدة اسمها رابى Rabi قاومت الزواج المبكر حرصًا منها على دراستها الأكاديمية، بعد حصولهن على المؤهلات العلمية من رجال معظمهم من الشخصيات المحلية المتميزة، كانت واحدة من هؤلاء البنات، يالوا Yalwa، قد تزوجت وهى حزينة فى سنة مبكرة، ونحت منحى والدها

بأن أصبحت منظمة لتعليم المرأة. وباستثناء على الذى توفى فى سن التاسعة، نجد أن الأبناء كبروا منهم من أصبح باحثًا إسلاميًا، ومنهم من أصبح أكاديميًا فى مجال العلوم، ومنهم من تدرب على الطيران، ومنهم من أصبح واحدًا من رجال الأعمال، وعلى الرغم من أن واحدًا من هؤلاء الأبناء أصبح صاحب خبرة فى مجال الفلسفات السياسية، فإن عباءة الزعامة السياسية التى ارتداها والده عزت عليه طوال عقود الانقلابات والتعمير التى تلت ذلك.

ومع ذلك، وعلى الرغم من أن أبا بكر لم يخلِّف وراءه ثروة أو قصورًا لأسرته، فإن روح الرجل ظهرت بشكل واضح بين الأطفال الذين ولدوا فيما بعد على نحو متأخر لم يتمكنوا معه من الكثير عن هذه الروح من حديثه عنها. قال أحدهم للمؤلف، إنهم ورثوا عن الرجل إحساسًا قويًا بالاتجاه فى العالم، وأن هذا الإحساس لن يذوى نظرًا لأن أبناءه ساروا فى الاتجاه نفسه. بدأوا يحسون أن ما وقع لم يكن مأساة، وإنما هو علاقة البداية بالنسبة لهم. ولما كان أراهم الطريق، فقد جاء عليهم الدور فى الكتابة، لا ليكتبوا شاهدا على قبر الرجل، وإنما ليكتبوا تصديرًا لحياة الرجل. كانت بل ولغة التعليق نغمته ونكهته، دقيقة، ولكنها مع ذلك كانت صدى صادرًا من قلب أب يعبر عن نفسه بطرق يتعذر على الابن ملاحظتها دومًا. كان أبو بكر على العكس من كثير من أبناء الناس العظام الذين جرى تدليلهم بصورة أو أخرى، لا يجلب العار على اسمه.

دفعت المبادأة المحلية الحكومات العسكرية فى نهاية المطاف إلى القيام بأعمال على غير رغبة منها. وهذا هو الحاج عبد الرحمن أوكين، سكرتير باوتشى المحلى، يضغط على حاكم الشمال العسكرى، المقدم حسان كاتسنا الذى رُقِّى مؤخرًا، لاتخاذ بعض الخطوات التى توضح المسئولية المركزية عن شئون المرحوم رئيس الوزراء. وقد عهد بالقيام بهذه المهمة إلى لجنة برئاسة أمير باوتشى وعضوية كل من كبير الأئمة، وقاضى القضاة، ورئيس الحى، ومسئول الحزب إضافة إلى سكرتير الخدمة المدنية فى

المكتب المحلى ومضت سنوات كثيرة بعد إقرار النتيجة وتقسيمها، قبل أن يتم الانتهاء من التعويضات اللازمة للأمور التى من قبيل ترميم المنزل. حتى ذلك الوقت كان أصدقاء أبى بكر ينظرون إلى تلك اللامبالاة المطولة من جانب سلطة ليجوس البعيدة باعتبارها شيئًا هجوميًا وموهنًا للعزيمة.

جاءت مسألة النصب التذكارى الوطنى متأخرة جدًا، بل إنها كانت أمرًا مفاجئًا لأهل باوتشى العاديين، ولبعض المؤمنين بالمبادئ الإسلامية الأساسية. بعد بضع سنوات من ترسيخ حكم اللواء جوون، وبعد تقسيم الإقليم الشمالى إلى ستة ولايات، اقترح مورمونى برًّا Bazza، الذى كان يشغل منصب كبير الإداريين فى ولاية باوتشى، على اللجنة التى يرأسها الأمير إقامة شىء قيم لتخليد ذكرى رئيس الوزراء على مستوى العالم. وجدت اللجنة أن هذه المسألة وطنية بحق وسرعان ما وصلت الفكرة إلى ليجوس، التى نمت هذه الفكرة فى تربتها الأجنبية دون أن يعترف بها أحد. وعلى الرغم من أن جوون كان له مستشارون يعرفون جيدًا شخصية أبى بكر المتواضعة والحساسيات الإسلامية (كان أوباسانجو Obasanjo مفوضًا للأشغال، وكان الشيخ شاجارى قد خلف أولوو كمفوض للمالية، وكان مختار طاهر، ولد مسجل محكمة باوتشى الأسبق نائبًا للسكرتير الدائم لمفوض الأشغال)، فإن خطة المباهاة الأساسية، التى قدرت بحوالى ١,٥ مليون جنيه إسترلينى، والتى دُعى المهندسون المعماريون إلى القيام بعرض تفاصيلها، يبدو أنها كانت تدور حول إصلاح اعوجاج الطرق الرئيسية وضبط مساراتها خلال بلدة باوتشى (وهذا مشروع أدوم وأقيم من أعمال الطرق التى تمت بالقرب من حديقة منزل الممثل المقيم، قبل عقد أو أكثر من الزمان)، إضافة إلى شق طريق للمشاة يبدأ من بوابة ونتى Wunti مارًا عبر المدينة إلى قبر أبى بكر، أسوة بالنصب التذكارى لكل من إبراهام لينكولن، وكمال أتاتورك. انخفضت الميزانية فى تلك الأثناء إلى حوالى ٧٠٠٠٠ جنيه إنجليزى. يعد الضريح الكبير الفخم الذى حل محل المُرَكَّب الذى جرت فيه عملية الدفن عملاً نبيلاً بحق. التصميم الذى وضعه روبن

أنكنسون، وهو من شركة فراى درو آتكنسون Frydrew Atkinson، فيه الكثير من معابد النيل عنه من المورث الباوتشى أو المورث التافاوى الباليوى. افتتح هذا الضريح فى شهر أغسطس من العام ١٩٧٩، أى قبل وقت قصير من العودة إلى الحكم المدنى. صحيح أنه لا يوجد سقف فوق الجزء المركزى من الضريح، حتى يصبح الغير مفتوحًا على السماء، لكن الاعتبارات الوطنية والسياسية السائدة فى ليجوس هى التى جبت العادات الأسرية المحلية والعادات الدينية المحلية أيضًا، وعليه جرى حفر الاسم والتواريخ على الغطاء الحجرى. صحيح أن زائر الضريح يحس بالإعجاب والإلهام، لكن أولئك الذين يعرفون الرجل الراقد هناك لا يسعهم إلا أن يقروا بأن موافقة الرجل الخجولة كانت مقصورة على الملحق الصغير الذى أقيم بعد ذلك ليكون مكتبة للباحثين فى رئيس الوزراء وأزمانه كيما يدرسوا ويتعمقوا فيما تبقى من كتبه، التى نجح الحاج أحمد قارى فى المحافظة عليها، وفى المتحف الذى يضم تذكاراته القليلة. هؤلاء الباحثون قد يخلِّدون الفكر الحزين الذى مفاده أن ثلثى الآباء المؤسسين لمنظمة الوحدة الإفريقية، قد جرى الإطاحة بهم عن طريق الانقلابات، ولم يمت ميتة طبيعية منهم سوى ستة فقط وهم فى مناصبهم، أو استقالوا منها طواعية واختيارًا.

قد يكون هناك بعض القراء الذين لا يريدون معرفة المزيد عن نيجيريا فى زمن أبى بكر أو عن تطورها، أو عن شعبها الذى لم يتغير، ومؤسساتها التى لم يعترف بها، على امتداد ستة انقلابات عسكرية، توسطتها حرب أهلية، وتجربة دستورية أكبر من الحكم المدنى، لكن هؤلاء القراء قد يتساءلون عن مستقبل الشخصيات الأخرى. ونحن إذا ما أوردنا قائمة بتلك الشخصيات تعين علينا أن نكون انتقائيين، ويحق لنا أن نبدأ ببعض الموظفين الحكوميين. هذا هو روبرت رايت وبريان شارود - سميث يتقاعدان ويعودان إلى حياتهما العائلية. وهذا جاك ماكفرسن يعين رئيسًا لمجلس إدارة هيئة تنمية مدينة من المدن الجديدة، ورئيسًا أيضًا لهيئة البرق واللاسلكى. وهذا هو فولى نويتز، ينقل بعد عمله مستشارًا فى سيراليون بعد الاستقلال إلى جزر البهاما، وعندما

تقاعد فى نهاية المطاف بقى مصدراً أساسيًا ومرجعًا حقيقيًا فى المسائل الخاصة بتشكيل حكومات مجلس الوزراء فى دول الكمنولث. وهذا هو جون ويلى روبرتسون يحصل على أرفع وسام فى بريطانيا. وهذا ميخائيل فارفل أصبح مشغولاً بمسألة نشر يوميات صمويل بيبنز Pepysكاملة. وهذا هو بطرس ستالارد يصبح مساعداً لحاكم جزيرة مان Man. أما ستانلى وى Wey فقد واصل عمله سكرتيراً للحكومات الجديدة، لكنه تحول إلى كاتب فلسفىٰ، ومؤسسًا للمعهد النيجيرى للعلاقات الدولية، وبقى مثل سيدة بلا تكريم من أمته، نظراً لعدم وجود شخصية صاحبة قامة طويلة يمكن أن توصى بمثل هذا التكريم. وهذا هو قفطان أصبح مشرفًا مساعداً فى هيئة شرطة باوتشى المحلية، أما أُوزكبابو فقد أصبح مسئولاً عن جوازات السفر فى الخدمة الدبلوماسية.

على المستوى السياسى نجد أن الدكتور نانمدى آزكوى، بعد أن رفض أجوى – إيرونسى خدماته، يعود بعد شهرين من التمرد بصفته مواطنًا خاصًا "وصحفيًا"، ليعيش كشخصية بارزة لها نفوذ وتأثير، لكنه لم يكن صاحب سلطة حقيقية. وهذا هو أوبافيمى أولوو يُطلق سراحه بواسطة جوون فى إشارة إلى المصالحة بعد مقتل إيرونسى، وقد شغل أولوو، شأنه شأن أمين كانو مناصب حكومية كبيرة ومتباينة، وترأس أيضًا مفوضيات كثيرة قبل التقاعد وهو سياسى كبير، ويروح ينتظر النداء الذى لم يصله مطلقًا قبل أن توافيه المنية. كان أولوو هو والدكتور آزكوى مرشحين غير ناجحين فى أن يكونا رئيسين تنفيذيين منتجين. أما كاشيم إبراهيم فقد جرى استدعاؤه من ميدوجورى مرات عدة ليقوم بدور المنسق، بحكم احترامه وكفايته، فى مسألة "تصنيف الأشياء" بعد حدوث شىء من الاضطراب. شق ميخائيل أُوكبارا طريقه إلى فرنسا، ثم حصل بعد ذلك على المزيد من التدريب المهنى فى دبلن قبل العودة إلى الوطن للعمل فى مجال الشفاء الطبى. أما الشيخ شاجارى فقد أصبح الرئيس التنفيذى، الذى كان يطمح إليه الآخرون، لكن هذه التجربة انهارت وتفتتت، أما

كنجسلى مبادوى، وجاجا واشوكو، وإينوا وادا ، وإيتوندى روسيجى، وعيسى كيتا ، وميتاما سول ، وآخرون كثيرون من أندادهم فقد عاشوا مواطنين بارزين ذوى مصالح خارج مجال السياسة . أما ثروة اوكوتاى - إيبوه الشخصية ، التى ربما قلت قليلا عن النصف مليون جنيه إنجليزى، فقد ظلت لسنوات عدة محلا لنزا ع المحاكم دون صدور حكم بصحتها. هناك أيضا اسماء كبيرة من المقاعد البرلمانية الخلفية مثل أديمولا، سويميمو **Soweimimo**، مبانيفو، حافظت على سمعتها واحترامها لنفسها ولحكمة القضاء فى إطار المجتمع القانونى الراقى بعد أن تقدم بهم السن. وصل الدكتور إلياس إلى أعلى المستويات فى محكمة العدل الدولية فى لاهاى، وواصل الدكتور ماجيكودونمى إدارته للمستشفيات والرعاية الدولية للمرضى. وهذا هو فرانسيس نوكيدى **Nwokedi**، مستشار أجوى - إيرونسى، يعمل فيما بعد مستشاراً لأجوكو أثناء الحرب الأهلية ، ثم يتحول إلى الطباعة فى سيراليون فى نهاية المطاف. الإتيان على ذكر الاسماء يثير الضغائن ، لكن يتعين هنا أن نأتى على ذكر بعض العسكر.

هذا هو ضابط حى باوتشى، سكرتير المجلس التنفيذى فى كادونا، وهذا هو ضابط الحى الأقدم فى أوكينى ، اللذان ورد اسماهما فى النص، يكتبان من الشرق الأقصى إلى اللواء آجوى - إيرونسى فى مطلع صيف العام١٩٦٦ الميلادى، ليذكرانه بتعارفهما القديم على زجاجات بيرة النجمة ، يوم أن كان "جونى إيرونسى" ضابطًا صغيراً وياورا "للحاكم العام"، ضابط حى باوتشى هذا تسرب اليأس إلى نفسه عندما علم بالخبر الذى مفاده أن هؤلاء المسئولين عن عملية الاغتيال ، والذين يقال إنهم محتجزون ، ستجرى محاكمتهم . ضابط الحى هذا لم يكن يعرف أن آجوى - إيرونسى نفسه كان من بين المطلوب تصفيتهم بواسطة بعض المتمردين ، فى أضعف الأحوال ، ولم يكن يعرف أيضا أن أولئك الذين حزنوا على أبى بكر هو والسواد الأعظم من الضباط الذين قتلوا لم يأسفوا بالضرورة على انتهاء الحكم القديم. وهذا هو السيد إيه كى ديزو **Disu**، الذى يشغل حاليا منصب السكرتير الرئيسى لرئيس

الحكومة العسكرية الفيدرالية، والذى كان من قبل مسئولا عن الإعلان مع الدكتور آزكوى، يرد ناقلا ذكريات اللواء الطبية وتأكيداته أن العدالة ستأخذ مجراها. بحلول شهر يونيو كان بوسع المحاكمة، التى يمكن أن تنتهى بإصدار أحكام بالإعدام، أن تكون مقبولة من الجميع بشكل عام، وربما تكون بذلك قد أنقذت الموقف. لكن مع عدم تقديم أى أحد للعدالة، وفى ضوء التصرف طبقًا لتوجيهات فرانسيس نوكيدى فى اتجاه إلغاء مظاهر الاتحاد الفيدرالى كلها، وتدمير كل أشكال الحكم المحلى ومعها منظومات الاستخبارات الوطنية التى خدمت الحكومة كلها منذ العام ١٩٠٠، ومن أجل توحيد الأسلحة كلها (الطريقة العسكرية الخادعة لإلغاء القبلية التى بدأت تنشط من جديد) توفى اللواء جونسون توماس أومنانكوى آجوى - إيرونسى فى انقلاب مضاد حدث فى اليوم التاسع والعشرين من شهر يوليو. وهنا برز المقدم يعقوب جوون، الذى أعاد الروح المعنوية إلى الجيش طوال فترة انتظار تقديم المتمردين إلى المحاكمة، بوصفه الرئيس العسكرى الثانى للدولة، كان المفوضون الأُول الذين عينهم يعقوب جوون: أوبافيمى أولوو، أنتونى إيناهورو، يوسف تاركا، وأمين كانو. وتلت ذلك الجهود المتعثرة من أجل إعادة بناء الوحدة الهشة بين الأعراق المختلفة التى حاول أبو بكر بناءها ذات يوم.

وهذا هو الرائد دوناتس Donatus أوكافور، الذى نظر إلى نفسه ذات يوم على أنه برز رئيسًا من وسط التمرد، يلقى حتفه فى سجن أبيوكوتا عقب الانقلاب المضاد مباشرة، جرى نشر التصريحات الصادرة عن الرائد دوناتس أوكافور، ولم يجر تفنيد هذه التصريحات على المستوى الشعبى من قبل الذين هم فى مناصب تسمح لهم باستنكار هذه التصريحات. **أما الرائد عمانويل إفياجونا فقد هرب من إينوجو، ثم ارتدى بعد ذلك ملابس امرأة، وهرب عن طريق إيبادان وداهومى إلى أن رُحِّب به بطلاً من قبل كفلائه فى غانا، ومنها جرى تسليمه هو وصمويل إيكوكو من حزب جماعة العمل فى ظل بعض التأكيدات من جانب أجوى – إيرونسى، بعد سقوط نيكروما، جرى**

وضع إفياجونا فى السجن، وتم يحاكم، فى الإقليم الشرقى، ثم أطلق سراحه ليقاتل بجوار أوجوكو فى الحرب الأهلية الانفصالية، لكنه أعدم فى نهاية المطاف بأوامر من قائده، إن لم يكن أُعدم بواسطة أوجوكو نفسه، لاتهامه بالاشتراك فى مؤامرة أخرى. كان المصير نفسه ينتظر فيكتور بانجو فى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٧ . عثر أيضًا على جثة الرائد كادونا نيزيوجو خلال اشتباك أثناء الحرب الأهلية، وقع بالقرب من نوساكا، ذاع رأى قوى مفاده أن نيزيوجو هو الآخر بواسطة الجانب الذى انحاز إليه وتركت جثته ليعثر عليها الموالون (كان كادونا نيزيوجو يعارض الانفصال منذ البداية)، على الرغم من قول الآخرين إن آسريه الفيدراليين غضبوا من وقاحته إلى الحد الذى جعلهم يقتلونه فورًا رميًا بالرصاص. أصبح ماديبو Madiebo "قائدًا عامًا" لبياقرا أثناء الحرب الأهلية. لم يتبق من المتآمرين سوى شخص واحد، لم يقدم أحد منهم إلى أية محكمة من المحاكم، أما هؤلاء الذين جرى احتجازهم منهم فكانوا يعاملون كما لو كانوا مسجونين سياسيين أصحاب امتيازات خاصة، كما أن الكثيرين منهم كانوا يعاملون فى كثير من الأحيان وكثير من الأماكن، من قبل الراديكاليين غير المدركين على أنهم وطنيون أبطال، هؤلاء الراديكاليون عجزوا عن الحكم على المزايا المادية والمعنوية للحكومات النيجيرية قبل العام ١٩٦٦ . لقد نشرت دفاعات كثير، لكن لم يقرأها سوى القليل من الناس، أما دفاع أفيوجونا فلم ينشر.

ربما كان الحاج السير أبو بكر، شأنه شأن أوليفر كرمويل، يريد أن نرسم له صورة "بملامحه الغليظة، وبثراته، وفسافيسه الصغيرة وكل شيء". نحن لم نتستر فى هذا الكتاب على أى شيء مما يتمكن البحث من اكتشافه بغض النظر عما إذا كان مشينًا أو غير مشين، يزاد على ذلك أن السواد الأعظم من المتشككين بين خصومه الذين عاصروه لم يذموه مطلقًا على أنه مواطن من نوع خاص. ومع ذلك، عثر المعلقون أصحاب الفكر الحر، الذين لم يحظوا مطلقًا بمتعة امتياز قيادة الحكومة وإغراءاتها وأخطارها، على الكثير الذى يمكن أن يستنكروه. وهنا يتعين أن نورد مثالاً على هذا

النوع من الإدانة، مخافة أن يحسب الناس هذا الكتاب نوعًا من سير القديسين، بعد وفاة الحاج السير أبى بكر قامت الفنانة السيدة/ كمنج بروس، التى سبق أن اعتبرت رئيس الوزراء صديقًا شخصيًا ومقربًا منها، بوصفها زوجة المفوض السامى، برسم صورة زيتية مقنعة ودقيقة، قامت شركة التبغ النيجيرية بإهدائها إلى المعهد النيجيرى للشئون الدولية فى العام ١٩٧٠ الميلادى، لتقوم بتعليقها بشكل واضح عند مدخل المعهد من باب تخليد ذكرى أبى بكر. لقد واجهت السيدة كمنج - بروس متاعب كبيرة فى العثور فى ليجوس على رجل له لون وظلال وجه رئيس الوزراء الراحل بالشكل الذى تحتفظ به فى ذاكرتها، حتى تتمكن من وضع ذلك على اللوحة. وعندما جرى رفع الستار عن اللوحة، اقتبس يعقوب جوون، الذى أصبح لواءً كلمات أبى بكر "إذا كنا ننشد الحقيقة والعدل، فلابد أن نبحث عن ذلك فى روح الإنسان. نحن بحاجة إلى تقرير الصراع فى عقول الرجال. الإنسان لابد أن يحظى بسلام داخلى مع نفسه إن أردنا أن يكون هناك سلام عالمى - لابد من عودته إلى الأمور المهمة". هذه المناسبة البريئة استثارت أحد المؤرخين فى جامعة أيف Ife، أن يرسم للرجل صورة كلامية مختلفة.

كتب هذا المؤرخ يقول: لو أن رئيس الوزراء الراحل كانت فيه ذرة من السمات والصفات التى عُزيت إليه من باب المبالغة فى الكرم، لما تطلب الأمر انقلابًا أو حكمًا عسكريًا لإزالة الفوضى الناجمة عن عدم الكفاية، والحكم السيئ، والسرقات، والخيانة التى قامت بها الحكومة. افتقار رئيس الوزراء الراحل إلى الرؤية، والشجاعة والإقناع، اللهم باستثناء متابعته للمزايا السياسية الضيقة، باعتبارها على النقيض تمامًا من الالتزام السياسى بالأهداف الوطنية وأهداف الوحدة الأوروبية، أمر لا يصدقه عقل. لقد أعلن حالة الطوارئ فى الإقليم الغربى فى ظل مبرر غير أمين، لكن رفض بطريقة متعجرفه طلبًا شعبيًا مماثلاً بإجراء مماثل عندما أصبح الإقليم الغربى من جديد على حافة حرب أهلية مدمرة، لقد كشف عن صغر عقل السياسى المتعطش للسلطة، رافضًا بذلك طريق الشرف والحنكة السياسية، ومستخدمًا بدلاً منها المنطق القانونى الزائف

الذى يقول: إن القانون والنظام فى العام ١٩٦٥ لم يجر الخروج عليهما لأنه كان هناك رئيس وزراء واحد، أما فى العام ١٩٦٢ فقد كان هناك وزراء متنافسين. هذا كلام غير أمين، وغير مسئول ومستهجن. كان أبو بكر يدافع فى كل لحظة عن صديقه الكبير وزير المالية فى اتهامه باستخدام سلطته فى ترويج مصالحه المالية والأعمالية. هذا يعنى أن نيجيريا تحولت إلى فردوس للاستثمارات الأجنبية، وحصلت على مكانة شبيهة بالأمة الإفريقية المصابة بالجرب، بسبب علاقة الحكومة الوثيقة مع "الأصدقاء التقليديين"، وفقدان الاهتمام بالمشكلات الرئيسية التى كانت تعصف بكل العالم الثالث الملتهب الوطنية والوعى، أو بالأحرى الدول التقدمية، مثل الاستعمار، والاستعمار الجديد، والتمييز العنصرى، والجامعة الإفريقية. رجل السلام هذا لم يتأثر بالجزائر، ولا بأنجولا، وموزمبيق وزامبيا، وملاوى وروديسيا، أو جنوب إفريقيا، أو كوبا، وفيتنام أو حتى بجمهورية الدومينكان. يضاف إلى ذلك أن موقفه من مقتل لومومبا الذى يعبر عن الوضاعة والدناءة، عن طريق القوى المجمعة للإمبريالية والرجعية الداخلية كان محيراً ومربكًا، ومع ذلك، وعندما "ارتفع نجم" تشومبى، كانت فى نيجيريا واحدة من أربعة أو خمسة حكومات إفريقية منحطة لم تخجل من أن تكون على علاقة حميمة مع نظام حكم خائن. وصف الناس لا مبالاة أبى بكر بالحملة القوية التى جردها الوطنيون الجزائريون على الاستعمار الفرنسى بالبرود. كانت رابطة الاستقلال الدولية النيجيرية، التى هى من بنات أفكار أبى بكر، ترمز إلى الخواء وانعدام الفاعلية وأنها مجرد واجهة زينية لنظام حكم أبى بكر تافاوا باليوا.

هذا الرد القاسى من جانب واحد من الأكاديميين، يجب أن نقرأه مقابل **الدفاع عن النفس الشفاهى**، والمضامين الواردة ضمن نص هذا الكتاب عن هذه الشخصية والأحداث المتصلة بها، ويتعين على القراء تكوين أحكامهم الخاصة بهم عن الإساءات التى تقف وراء كل من موقف التأييد وموقف الرفض. اللغة الصادرة عن جامعة الأيف لم تردد أى صدى من أصداء اللغة الصادرة عن الأعداء أو المنافسين السياسيين

الذين عاصروا أبا بكر، لقد اعترفوا جميعًا بأن الرجل كان صاحب عقل مفتوح. صدرت أيضًا عن ليجوس بعض النغمات النقدية المحسوبة وبخاصة إتش أو ديفيز Da-vies، الذى تساءل حول ما إذا كان قول أبى بكر فى العام ١٩٥٩ بأن حجم نيجيريا ومواردها غير المحدودة وحدها يمكن أن تجعلها واحدة من أهم الدول الإفريقية، يعد نوعًا من اللامبالاة أو السذاجة. والدرس المستفاد هنا يمكن تلخيصه فى أنه فى الوقت الذى تبدو فيه المنظومات الديموقراطية الحقيقية جاذبة، ومؤهلة تأهيلاً سيئًا لا يمكنها من سحق كل من الفساد الإجرامى والفساد الفكرى، فإن هذه المنظومات لا تحتفظ عن قناعة فى السلطة برجال خارقين لفترات طويلة، فيما يتعلق بأبى بكر فإنه لم يفكر فى يوم من الأيام أن يكون رجلاً خارقًا مزودًا بسلطات دكتاتورية تمكنه من تحقيق تلك الأهداف الكاسحة التى حُكم بها أولئك النقاد المحبطون. صحيح أن السلطة برزت، أولاً وقبل كل شىء، من فوهة ماسورة مدفع، وقد أُحْبطت هذه السلطة أيضًا بسبب الحقائق البشرية النيجيرية.

ومهما كانت مظاهر الضعف الأخرى التى تعزى إلى الحكومة الوحيدة التى كان أبو بكر كفئًا فى تعيينها فى تلك الظروف، فإنها أمسكت بنيجيريا كلها كوحدة سياسية. وبعد سبعة عشر شهرًا من إقالة هذه الحكومة دخلت البلاد فى حرب أهلية دامية، أزهقت أرواح أناس كثيرين، ولم تزهق الكثير من أرواح الضباط الشهيرين، ونيجيرى واحد مميز ـ ذلك الشاعر الإجباوى صاحب النزعة الرومانسية (جرى بعد تحقيق السلم اغتيال أكاديمى آخر بواسطة واحدة من الدوريات السكرانة). بعد ذلك بسنوات، وفى مجال الإشارة إلى الفساد المعاصر المنتشر وسط ثروات البترول، نقل عن القائد العسكرى للبلاد قوله إنه بالمقارنة مع ما فات وانتهى، "لم يحدث قط أن مرت بمثل هذا الحال السيئ". كل نداء "بالوحدة" أو المطالبة بها سواء أكان ذلك النداء أو المطالبة داخليين أو مذهبيين أو قاريين، هما فى حد ذاتهما توضيح، فى أضعف الأحوال، للتعددية، إن لم يكن للتفكك الفعلى، كل بطاقة حزبية جديدة تبدأ بكلمة

"مُتَّحد...." تبدو كما لو كانت ضامنًا للانقسام المبكر، لكن الحاج السير أبا بكر تحتم عليه أن يأخذ بعين اعتباره واقع المحددات السياسية التى كانت تتطلب موافقات تكتيكية - حفاظًا على مصالح الوحدة الداخلية التى كان يشتاق إليها - سواء أكانت تلك الموافقات على توزيع غير سليم لصناعة من صناعات الصلب، أو تعيين غير مناسب للواء من اللواءات. وإذا ما سلمنا بالتوزيع السكانى للأمة، نجد أن توزيع مثل هذه الصناعات أو إعطاء تلك الموافقات والتنازلات يجب أن يتم داخل إطار يؤكد للمستشار السياسى الرئيسى مطمئنات إلى أن الإقليم الشمالى هو صاحب التفوق العددى من الناحية السكانية، ويعطى أبا بكر نفسه تأكيداً بأن أى قسم آخر لا يمكن أن تكون له السيطرة العقدية عن طريق الاحتيال أو الدهاء.

أصر أولوو بعد إطلاق سراحه أن نيجيريا ليس فيها مجرد أربعة تجمعات عرقية وإنما عشرة تجمعات، تضم اثنتين وثلاثين أقلية شمالية، وتسعة أقليات شرقية (أقر أولوو معترفًا أن هناك حوالى ١٣,٦ مليون هوساوى وفولانى، ١٣ مليون من اليورووباويين، ٧,٨ مليون من الإجباويين، ٣,٢ مليون من الإفكيين Efik والإيبيبويين Ibibio، ٢,٩ مليون من الكانوريين، ١,٥ مليون من التيفيين Tivs 0.9من المليون من الإيجوس Ijos والإيدوس Edos، ٠,٦ من المليون من الأرهوبيين Urhobos، ٠,٥ من المليون من النيوبين Nupes). لو مد القدر فى أجل أبى بكر فلربما سعى إلى إحداث تغيير عن طريق التمثل والامتصاص بين كل هذه الشعوب، وذلك من خلال التلاقح الثقافى دائم الحركة. جرت هذه المحاولة بعد ذلك بفترة طويلة، على الرغم من رفض المعلمين الأجانب فى المناطق النائية التى جرى تقديمهم فيها على أنهم غرباء والذين سعوا إلى تغيير العادات الموروثة والمعتقدات التى

يعلمها الآباء للأبناء، كان الزعماء الإقليميون كلهم تقريباً تراودهم بعض الشكوك حول استخدام القوة فى المضى قدمًا فى تنفيذ مهامهم، لكن هؤلاء الزعماء الإقليميين هم الذين قال الناس عنهم بعد ذلك: "ربما كان الساسة القدماء فاسدين، لكنهم لم يتجولوا هنا وهناك ليقتلوا الناس رميًا بالرصاص". وظهرت خطورة موقف هؤلاء الزعماء، بعد ستة أشهر فقط من مقتل أبى بكر، عندما راح كبار زعماء الشمال يطالبون من جديد بالانفصال باعتبار ذلك إجراءً دفاعيًا (هيا قسمّوه araba, aware)، أو سوق مشتركة، ووكالة مركزية للخدمات المشتركة، بدلاً من دولة وحدوية فاعلة.

على الصعيد الاقتصادى، وقبل فورة البنية التحتية وتوزيع الثورة الجزئى، الناجمة عن اكتشاف البترول، اشتملت المبادأت التى كان يتحتم عزو فضلها إلى أبى بكر، على بدء العمل فى سد جبًا فى نهر النيجر، وسد شيرورو على نهر كادونا، كانت هناك دراسات أخرى لإقامة سد كبير آخر جنوبى لوكوجا Lokoja، لكنه تأخر بسبب الحرب الأهلية، كما اشتملت أيضًا على مصنع صلب آجاكوتا. لكن عندما قام الجنرال جوون بافتتاح سد كاينجى العظيم (وهو اليوم الذى سبق أن قال فيه أبو بكر لصديقه الحاج أبى بكر إمام، إنه عندما يشاهد افتتاح ذلك السد، فإنه سيموت سعيدًا) جاء بمثابة مؤشر على تقدير شعبى معاصر كبير لاسم رئيس الوزراء الراحل، وتشجيعه على إقامة المشروع منذ مطلع الخمسينيات، ومع ذلك لم يرد اسم هذا الرجل ضمن الخطب التى أُعدت مسوداتها فى مكاتب ليجوس. هذا المنظر المشهود الذى كان ضمن المتفرجين فى المواقع، ينفجر باكيًا.

يجرى تصحيح الوقائع التاريخية. وهذه هى صورة الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا لا تزال تظهر على العملة الورقية النيجيرية. لا يزال الرجل يُكَرَّم من قبل

معاصريه الذين لا يزالون على قيد الحياة، وعلى اختلاف أعراقهم، بما فيهم أيضًا أولئك الذين كانوا خصومًا له فى يوم من الأيام. أما جيل الشبان، الذين سنحت لهم الفرصة بالتعلم أو بالعمل فى الخدمة العامة فى ولايات بعيدة عن مواطنهم، ومساقط رءوسهم، فقد أصبحوا يقرون الآن أن قصة آبائهم قبل الاستقلال لم تكن قصة مذرية مثلما أكد المنقِّحون، هذا الجيل يعترف أيضًا أن أبا بكر كان بحق وحقيقة واحدًا من أبناء بلدهم العظماء، وواحدًا من المؤسسين الحقيقيين لأمتهم.

هذا الكتاب هو بمثابة مساهمة خجولة ومتواضعة، من أجنبى يفخر بأنه يذكره بالخير وبالحب، فى اتجاه تقدير وتقييم مستقبلى واسع النطاق لقامة ذلك الرجل وهامته المرتفعة. وبكلمات الهوسا التقليدية، عندما يؤبنون الراحلين العظام، أجدنى أقول:

يرحمه الله

المؤلف في سطور:

تريفور كلارك

مؤلف الكتاب ، رجل أسكتلندى تخرج فى جامعة أكسفورد ، وهو محام غير ممارس فى مدينة مدل تمبل . عمل هذا الرجل ضمن القوات البريطانية فى كل من سيراليون وجامبيا ، وبخاصة قوات الحدود الإفريقية الغربية الملكية ، فى فترة الحرب العالمية الثانية ، باعتبار هذه القوات جزءًا من الفرقة الحادية والثمانين المتمركزة فى وادى كالدان بعد انتهاء حرب المحيط الهادى ، جرى إلحاق تريفور كلارك على الفرقة الثانية والثمانين فى رانجون عاصمة بورما برتبة رائد.

التحق تريفور كلارك بخدمة صاحبة الجلالة الإدارية فى نيجيريا فى العام ١٩٤٨، ومارس الرجل وظيفة رئيس حى مساعد ممارسة ناجحة . كان الرجل مساعدًا الرئيس حى كاتاجوم فى بلده آزار ثم أصبح بعد ذلك رئيس حى الارى ، ثم بعد ذلك رئيسًا لباوتشى ، ثم أصبح بعد ذلك سكرتيرًا منابًا للمجلس التنفيذى ، فى مكتب حاكم نيجيريا ، فى مجلس وزراء الشمال ، ثم أصبح رئيس حى أول فى بلدة إجبيرا فى أوكينى . وفى باوتشى تعرف تريفور على السير أبى بكر نافا واباليوا تعرف جيدًا والتقاه بعد ذلك مرارًا فى كادونا ، وأوكينى ، وليجوس .

تقاعد تريفور كلارك من الخدمة العسكرية فى العام ١٩٧٧ ، عين مستشار المدينة أدنبره ، فى أسكتلندة ، وأصبح عضوًا فى لجنة أختبار كبار الموظفين .

المترجم فى سطور:

صبرى محمد حسن

أستاذ اللغويات غير المتفرغ ، له أكثر من عشرين بحثًا ومقالاً نشرت فى المجالات والصحف العربية المحلية والدولية منها :

له مقالات وأبحاث نشرت بمجلات الفيصل - الرياض - المملكة العربية السعودية، ومجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ، والمجلة العربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ، ومجلة الهلال - القاهرة - جمهورية مصر العربية .

وله كتب مترجمة إلى العربية منها :

(أ) كتب نشرتها دور نشر عربية .

١ - التفكيكية : النظرية والممارسة ، تأليف كرسيتوفرنوريس ، دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٢ - الشاعر والشكل ، تأليف : جدسون جيروم ، دار المريخ .

٣ - الاستراتيجية العربية والإسرائيلية وجهًا لوجه ، دار المريخ .

٤ - الأطفال والمخدرات ، دار المريخ .

(ب) كتب نشرتها دار آفاق الإبداع العالمية للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

١ - الموظف المشاكس .

٢ - عمل الفريق الفعال .

(جـ) كتب نشرت ضمن كتاب الهلال . القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١ - هارون الرشيد ، تأليف : فيلبى .

٢ - الكاكائين والمرهقين .

٣ - بنات مدمنى ومدمنات المسكرات .

(د) روايات مترجمة نشرت ضمن روايات الهلال .

١ - حلم ليلة إفريقية .

(هـ) كتب روايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، جمهورية مصر العربية .

١ - سبعة أنماط من الغموض ، تأليف : وليم أمبسون .

٢ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ، تأليف : بالجريف (جزءان) .

٣ - حركات التحرر الإفريقى ، تأليف : ريتشارد جبسون .

٤ - إرادة الإنسان فى علاج الإدمان .

٥ - قلب الجزيرة العربية (جزءان).

٦ - سيرتى الذاتية ، تأليف : أحمد بللو .

(و) روايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١ - سكين واحد لكل رجل .

٢ - نجوم حظر التجوال الجدد .

٣ - المهمة الاستوائية .

التصحيح اللغـوى : **علا طعمة**
الإشـــراف الفنـــى : **حسن كامل**